الكتاب الخامس عشر

دراسات وتأملات في
الأعياد الكنسية

(٢) الشهور من برمهات إلى مسرى

دكتور جميل نجيب سليمان

اســم السلسلـــــــة : نور الحياة
الكتــاب الخامس عشر : دراسات وتأملات في الأعياد الكنسية
(٢) الشهور من برمهات إلى مسرى
المـــــــــــــؤلف : دكتور جميل نجيب سليمان
www.gamilsoliman.org
gamilnsoliman@yahoo.com
الطبعـــــــــــــة : الأولي ٢٠١٦
الناشـــــــــــــر : بيت مدارس الأحد القبطي (ت : ٢٢٠٢٩٧٤٤)
٧٠ ش روض الفرج – القاهرة
رقـــم الإيـــــداع : ٢٠١٦/١١٦٧٣
الترقيـــــم الدولـــــي : 978-977-6439-88-7

صاحب القداسة والغبطة

البابا تواضروس الثاني

بابا الإسكندرية وبطريرك الكرازة المرقسية المائة والثامن عشر

المحتويـــات

كلمة إلى القارئ ٧

١ – أعياد شهر برمهات ٩

+ عيد اكتشاف خشبة الصليب (١٠ برمهات– ١٩ مارس) ١٠
+ عيد الأم (٢١ مارس – ١٢ برمهات) ١٣
+ عيد ظهور العذراء في الزيتون (٢٤برمهات ١٦٨٤ش– ٢ أبريل ١٩٦٨) ٢٠
+ عيد االقديس مكاريوس الكبير (٢٧ برمهات – ٥ أبريل) ٢٦
+ عيد البشارة (٢٩ برمهات – ٧ أبريل) ٣١
+ أحد التناصير ٣٧
– رؤية النور ٣٧

٢ – أعياد شهر برمودة ٤٥

+ عيد دخول المسيح أورشليم (أحد الشعانين) ٤٦
+ أسبوع الآلام ٥٤
– أسبوع الآلام وآفاقه الروحية ٥٤
+ خميس العهد أو الخميس الكبير ٦٠
+ الجمعة العظيمة ٧٠
– المسيح رئيس الكهنة العظيم والذبيحة الكاملة ٧٠
– عن ألحان جمعة الصلبوت ٨٤
+ سبت الفرح أو النور ٩٣
+ عيد القيامة ٩٦
– القيامة والخلاص ٩٦
– جسد قيامته وجسد قيامتنا ١٠٣
+ اثنين القيامة ١١٩
– معنا ولا نشعر به ١١٩
+ أحد توما ١٢٧
– المسيح يلتقي تلاميذه بعد القيامة ١٢٧
+ عيد مارجرجس الروماني (٢٣ برمودة — أول مايو) ١٣٧
+ عيد مارمرقس (٣٠ برمودة — ٨ مايو) ١٤١

٣ – **أعياد شهر بشنس** ١٥٥
+ عيد الصعود ١٥٦
– الصعود الإلهي بين عمل المسيح وحياة المؤمنين ١٥٦
+ عيد رئيس الملائكة ميخائيل (١٢ بشنس – ٢٠ مايو) ١٦٥
+ عيد القديس باخوميوس (أبي الشركة) (١٤ بشنس – ٢٢ مايو) ١٦٩
+ عيد دخول المسيح أرض مصر (٢٤ بشنس – أول يونيه) ١٧٢
+ عيد العنصرة ١٧٨
– قوة من الأعالي ١٧٨
– الروح القدس بين العهدين ١٨٧
٤ – **أعياد شهر بؤونة** ١٩٧
+ عيد القوي القديس الأنبا موسى (الأسود) (٢٤ بؤونة– ١يوليو) ١٩٨
٥ – **أعياد شهر أبيب** ٢٠٣
+ عيد الرسل (٥ أبيب – ١٢ يوليو) ٢٠٤
+ عيد الأنبا بيشوي (٨ أبيب – ١٥ يوليو) ٢١٤
٦ – **أعياد شهر مسرى** ٢١٩
+ عيد التجلي (١٣ مسرى– ١٩ أغسطس) ٢٢٠
+ عيد صعود جسد العذراء مريم (١٦ مسرى– ٢٢ أغسطس) ٢٣٦
– دعوة للاتضاع ٢٣٦
٧ – **ملاحق** ٢٤٩
ملحق رقم (١): شم النسيم ٢٥٠
ملحق رقم (٢): عن صلاة السجدة ٢٥٢

كلمة إلى القارئ

بهذا الكتاب، **الخامس عشر** من **"نور الحياة"** – سلسلة الدراسات في كلمة الله– نتم دراستنا الكتابية الروحية **للأعياد الكنسية**، التي احتوى الكتاب **الرابع عشر** القسم الأول منها، أي أعياد الشهور من **توت** إلى **أمشير**، والكتاب الحالي يستكمل دراستنا للأعياد من شهر **برمهات** حتى **نهاية العام القبطي**، أي من **عيد الصليب** إلى **صعود جسد السيدة العذراء**.

ولن نكرر في هذا الكتاب الفصول التمهيدية عن جذور الأعياد المسيحية في العهد القديم[1] والتي ضمها الكتاب السابق في صفحاته الأولى (١٠– ٤٨)، فهي تلقي الضوء على الأصول التاريخية للأعياد المسيحية وكيف نشأت في حضن الكنيسة. ونحث القارئ على العودة إليها لكي تكتمل أبعاد هذه الصورة التي تتصل اتصالاً وثيقاً بحياة الرب يسوع، وأحداث الكتاب المقدس بعهديه، والكرازة بالخلاص والحياة الأبدية.

وتضم هذه الفترة من السنة الطقسية عدداً من الأعياد السيدية وما في حكمها، هي على الترتيب بحسب موقعها: **عيد الصليب، عيد البشارة، أحد التناصير، عيد دخول المسيح أورشليم، أحد توما، عيد الصعود، عيد دخول المسيح أرض مصر، عيد العنصرة، عيد التجلي**. كما تحوي أيضاً عدداً كبيراً من أعياد **العذراء والملائكة والقديسين**.

وسواء في احتفالنا بأعياد الرب وقديسيه، أو فيما نكتب ونقرأ عن هذه الأعياد، فليس القصد مجرد المعرفة وإمداد العقل بالمعلومات، وإنما تغذية الفكر

---

(١) وهي عن **"أعياد العهد القديم"** الرئيسية السبعة بدءاً **بالفصح** وختاماً **بعيد المظال**، والتي احتفل بها الرب، وكشف عن الآفاق البعيدة لها، وأظهر بمجيئه ما كان خفياً من أبعادها التي لم يدركها إسرائيل، والتي أضاءها العهد الجديد ببشائره وأعمال الرسل ورسائلهم.

والقلب روحياً. فبالنسبة **لأعياد المسيح** فنحن نستعيد عمل الرب الخلاصي من أجلنا بتجسده وحياته وموته وقيامته. ففي كل مناسبة نحن نقترب إليه أكثر، ونسير في موكب نصرته، ونتفرس في بهاء مجده فنمتلئ بالنور ونتوشح بالنعمة، ونميل أكثر إلى التوبة وتغيير الداخل لكي نكون مستحقين له ولائقين بالانتماء إليه.

وفي احتفالنا **بأعياد القديسين** فلا يتوقف الأمر وينتهي على حضور قداس العيد للقديس، أو أخذ بركة جسده، وإنما أن نتذكر حياته المكرسة من أجل الله، وفي حالة **الشهيد** محبته لإلهه حتى الموت وسفك الدم، فتصير ذكراه إلهاماً لنا بالتطلع لحياة أفضل وأكثر بذلاً وعطاءً طاعة لكلمة الله **"انظروا إلى نهاية سيرتهم وتمثلوا بإيمانهم"** (عب١٣: ٧). وفي تمثلنا بهم فنحن نتصل بالمسيح **"كونوا متمثلين بي كما أنا أيضاً بالمسيح"** (١كو ١١: ١).

هكذا تصير أعياد الرب وقديسيه التي تحتفل بها الكنيسة بالقداسات مجتمعة حول جسد الرب ودمه، وتقرأ فيها فصول من رسائل البولس والكاثوليكون وسفر الأعمال والسنكسار والإنجيل، حافزاً جديداً لحياة أكثر استنارة وجهاداً وتطلعاً إلى الحياة الأبدية.

وفي سلسلة **"نور الحياة"** نحن نتناول **"الأعياد الكنسية"** من منظور الإنجيل، فتصير مدخلاً أخر لحفظ كلمة الله والتأمل فيها والالتزام بها في كل مواقف الحياة.

❋ ❋ ❋

ومن جديد، أسأل الرب، شمس البر، أن يبارك هذا الجهد لمجد اسمه وامتداد ملكوته بشفاعة العذراء مريم وتوسل سائر القديسين، وصلوات **أبينا صاحب القداسة البابا أنبا تواضروس الثاني**، كما أطلب صلوات كل من يقرأ هذه الكتب لتكون سبباً في اجتذاب العقول والقلوب للتتلمذ لكلمة الله **"نور الحياة"**. (مايو ٢٠١٦)

١

أعياد شهر برمهات

- **عيد اكتشاف خشبة الصليب (١٠ برمهات-١٩مارس)**
- **عيد الأم (١٢ برمهات- ٢١ مارس)**
- **عيد ظهور العذراء في الزيتون (٢٤ برمهات ١٦٨٤- ٢ أبريل ١٩٦٨)**
- **عيد القديس مكاريوس الكبير (٢٧ برمهات - ٥ أبريل)**
- **عيد البشارة (٢٩ برمهات - ٧ أبريل)**
- **أحد التناصير**

- رؤية النـــور

عيد اكتشاف خشبة الصليب (*)

(١٠ برمهات - ١٩ مارس)

وهو اليوم الذي تم فيه ظهور **الصليب المقدس** على يد الملكة **هيلانة** أم الملك **قسطنطين** (٣٢٦ م). وقد عرضنا لتفاصيل هذا الحدث الكبير في الكتاب الرابع عشر من **"نور الحياة"** تحت عنوان **"عيدا الصليب"** (ص٧٩). والعيد الحالي يقع دائماً أيام الصوم الكبير. على أن الكنيسة تقيم احتفالها الكبير بالصليب، في عيده الأخر (١٧ توت - ٢٧ سبتمبر)، الذي يمتد لثلاثة أيام، بمناسبة **إعادة خشبة الصليب** إلى القدس (٦٢٨) حيث انتزعها **هرقل** من أيدي الفرس بقيادة **كسرى**.

(*) **القراءات:** (وهي نفس قراءات اليوم الأول من العيد الثاني في ١٧ توت): **عشية:** مز٤: ٦، ٨، يو٨: ٢٨-٤٢؛ **باكر:** مز٦٠: ٤، ٥، يو١٢: ٢٦-٣٦؛ **القداس:** ١كو١: ١٧-٣١، ١بط٢: ١١-٢٥، أع١٠: ٣٤-٤٢، يو١٠: ٢٢-٣٨.

■ عن رموز الصليب في العهد القديم:

يجدر بالذكر هنا أن نشير إلى **رموز الصليب** (الخشبة) في **العهد القديم**. فنعرف أن أدم بعد أن أخطأ، وقد سمع **"صوت الرب الإله ماشياً في الجنة"**، اختبأ وامرأته يتستران **"في وسط شجر الجنة"** (تك٣: ٨). ونحن المؤمنون احتمينا وراء خشبة الصليب فستَر المصلوب عري خطايانا.

+ وفي تقديم **إبراهيم** ابنه الوحيد **اسحق** ذبيحة فوق **الحطب** (الخشب المشتعل) (تك٢٢: ٩)، كان هذا رمزاً لرفع المسيح على **خشبة الصليب**.

+ كما نذكر أن **يعقوب إسرائيل** أبا الأسباط لما بارك ابني **يوسف (منسى وافرايم)** عقد ذراعيه على شكل **الصليب**، فمد يمينه ووضعه على رأس **افرايم**، وهو الصغير (الذي كان يقف إلى يساره)، ويساره على رأس **منسى**، وهو البكر (الذي كان على يمينه)، ورغم أن **يوسف** أباهما أمسك بيد أبيه **يعقوب** لكي ينقل اليمنى إلى رأس ابنه البكر، ولكن **إسرائيل** أكد أنه يعرف ما يفعله (تك٤٨: ١٣-٢٠).

+ ونذكر أيضاً أن **موسى** عندما ضرب الصخرة بالخشبة خرج منها ماء يرتوي منه الشعب وينجو من الموت (خر١٧: ١-٦). هكذا أيضاً حينما طُعن **المسيح** المصلوب في جنبه بالحربة خرج منه دم وماء هو ماء الحياة والانفلات من موت الخطية (يو١٩: ٣٤، ١يو١: ٧).

+ كما أن **موسى** في حربه مع عماليق، التي كان يقودها **يشوع** في رفيديم، كان يقف على رأس التلة وعصاه في يده باسطاً ذراعيه على شكل **الصليب** طالباً معونة الله. **"وكان إذا رفع موسى يده أن إسرائيل يغلب**

وإذا خفض يده أن عماليق يغلب". وكان لما ثقلت ذراعاه، أن **هـــارون وحور** كانا يسندان ذراعيه واحداً من كل ناحية، حتى ظلت ذراعاه ثابتـــة إلى غروب الشمس، وحتى هزم **يشوع** عماليق (خر١٧: ٨-١٣). وهكذا فإن لنا في علامة الصليب النصرة على العدو ذلك أن "**كلمة الـــصليب... عندنا نحن المخلَّصين فهي قوة الله**" (١كو١: ١٨).

+ والرب في حديثه إلى نيقوديموس ذكر **الحية النحاسية** الـــتي رفعهـــا **موسى** في البرية على راية، وكان كل من ينظر إليها ممن لدغتهم الحيات كان يحيا (عد٢١: ٦-٩)، وبيّن أنها رمز لصليبه الذي سيُرفع عليه في قوله "**وكما رفع موسى الحية في البرية هكذا ينبغي أن يُرفع ابن الإنـــسان، لكـــي لا يهلك كل من يؤمن به بل تكون له الحياة الأبدية**" (يو٣: ١٤، ١٥).

"**فصنع موسى حية من النحاس ووضعها على الراية. فكان متى لدغت حية إنسانا ونظر إلى حية النحاس يحيا**" (عد ٢١: ٩)

عيد الأم [1]

(١٢ برمهات – ٢١ مارس)

في احتفالنا **بعيد الأم** نتأمل في الصفات النبيلة التي أودعها الله في قلب كل أم لتنشئة أولادها، ودورها في بناء الأسرة والمجتمع، رغم تفاوت النظرة إلى المرأة على مدى العصور بين من ينكر حقوقها ويحقّر من شأنها، ومن يحفظ لها قدرها ويؤكد على مساواتها بالرجل، كمخلوقة مكافئة في الكرامة، بحسب قصد الذي خلق الإنسان ذكراً وأنثى (تك١: ٢٧، ٥: ٢، مت١٩: ٤، مر١٠: ٦).

+ والاحتفال **بعيد الأم** قديم، وبدأ به الإغريق (اليونان) وفي روما القديمة. وفي العصور الحديثة سبقنا إلى الاحتفال به العديد من أمم

(١) هناك مواضيع أخرى ذات العلاقة تليق أيضاً باحتفالات **عيد الأم** مثل "**نساء الكتاب المقدس**"، "**المرأة بين العهدين**"، "**نساء حول المسيح وعند صليبه وقيامته**"، "**خدمة المرأة في العهد الجديد قديماً وحديثاً**"، "**الأسرة المسيحية**".

العالم[٢]. ويعود الاحتفال به في بلادنا إلى الكاتب الصحفي **علي أمين** الذي اقترح الاحتفال به في عموده اليومي "**فكرة**" في جريدة الأخبار في ٥ ديسمبر ١٩٥٥، وأختار له يوم ٢١ مارس بداية الربيع[٣]. وبدأ الاحتفال به في العام التالي (١٩٥٦/٣/٢١)، وصار احتفالاً قومياً وشعبياً تقديراً لرسالة الأم العظيمة وعطائها بغير حدود لأولادها وأسرتها وإتاحة الفرصة لتكريمها.

+ مغبوطة هي **الأم** وجليل مقامها، فهي مستودع الحياة وراعيتها. و**حواء** دُعيت بهذا الاسم لأنها "**أم كل حي**" (تك٣: ٢٠)، وهي وإن جاءت من آدم فمنها يأتي كل البشر رجالاً ونساءً. والأمومة غريزة في كل أنثى، في الإنسان والحيوان. والحنين للإنجاب نزوع طبيعي، وحتى الطفلة تجذبها دمية العروسة الطفلة، التي تحملها وتعتني بها وتبدّل ملابسها وتنام في حضنها، وربما كان عندها أكثر من عروسة. فهي أم منذ طفولتها إلى نهاية حياتها. والحرمان من الأمومة ثقيل جداً على كل زوجة. ونقرأ في العهد القديم أن **راحيل** قالت لزوجها **يعقوب** لما تأخر إنجابها: "**هب لي بنينَ وإلا فأنا أموت**" (تك٣٠: ١). و**حنة** زوجة **ألقانة** كانت مُرّة النفس تبكي في صلاتها وهي تطلب ابناً تقدمه للرب (١صم ١: ١٠، ١١).

+ و**الأم** هي مثال العطاء والاحتمال سواء أثناء فترة **الحمل** الحافلة بالمتاعب، والتي تقضيها بعض الأمهات راقدات في الفراش حفاظاً على الجنين، كما تتأثر خلالها صحة الأم، فالجنين يأخذ كيانه من جسد أمه

---

(٢) فالولايات المتحدة (منذ ١٩١٣) تحتفل به مع فرنسا والسويد وكندا وأستراليا ونيوزيلندا واليابان وجنوب أفريقيا في الأحد الثاني من مايو، والنرويج في فبراير، والمملكة المتحدة وأيرلندا في مارس، والأرجنتين في أكتوبر، وأسبانيا في ديسمبر.

(٣) ٢١ مارس هو أيضاً عيد **نوروز** (بمعنى اليوم الجديد) وبداية السنة الكردية.

لحماً وعظماً ودماً، أو عند **الولادة**، التي قد تمتد طويلاً، تصاحبها الأوجاع البالغة بحسب كلام الكتاب لحواء الأم الأولى **"تكثيراً أكثّر أتعاب حبلك. بالوجع تلدين أولاداً"** (تك٣: ١٦).

+ ورغم هذه الآلام المتوقعة، فكل زوجة تسعى بكل طريق للحمل، وتقبل بكل سرور تداعيات الولادة. والرب أشار إلى الخوف والحزن المصاحب لساعة الولادة بسبب الموت الذي يتهدد حياة الأم[٤]، ولكنها **"متى ولدت الطفل لا تعود تذكر الشدة بسبب الفرح لأنه قد ولد إنساناً في العالم"** (يو١٦: ٢١)، وقد تحققت أمنيتها وصارت أماً[٥].

+ والطفل ينمو باللبن الذي يرضعه من صدر أمه لعامين أو أكثر. وفي حضنها كل الوقت يشعر بالأمان والدفء والحماية والسعادة. وهي تتابع نموه وتفرح لأولى خطواته وأول أسنانه وأولى كلماته، وتصير هذه عندها أهم الأخبار التي ترددها. وهي مستعدة دوماً لإجابة مطالبه في أية ساعة من ساعات الليل أو النهار. وصحته وحاجاته هي شغلها الشاغل. وبكاؤه الذي قد يضيق به أبوه يجعلها على العكس تبذل كل ما تستطيع للتخفيف عنه وعودة ابتسامته، أو مساعدته على النوم الذي يعز عليه. وفي مرضه تصير هي المريضة ولا تسترد هدوءها إلا بعد أن يُشفى[٦].

---

(٤) الولادات المتعثرة هي من الأسباب الرئيسية التي تفقد فيها كثير من الأمهات حياتهن.

(٥) وفي الأوساط الشعبية، فالأم تتنازل عن اسمها وتفخر أن تُنادى بأم فلان، وتشتهر به حتى لينسى الناس اسمها الحقيقي.

(٦) انتحرت أم هندية (٢٠٠٥/٣/٢١) مضحية بحياتها لكي تستطيع أن تتبرع بقرنيتي عينيها لوليديها المصابين بالعمى (١٥، ١٧ عاماً) وإن كان الأطباء غير واثقين من أن إقدامها على هذا العمل سيساعد ولديها على استعادة بصرهما لأن الإجراءات القانونية يمكن أن تتسبب في تلف القرنيتين. أما الولدان فقالا أن الحياة ستصبح أكثر إظلاماً بدون أمهما، ولكنهما سيجتهدان في دراستهما حتى يحققا لها أمنيتها بأن يصبحا متفوقين.

+ وهي في المعمودية اشبينه التي تححد الشيطان باسمه، وتصير مسئولة عن رعايته إيمانياً حتى يشب عن الطوق. وهي معلمته ومربيته الأولى. منها يتعلم الكلام، والصلاة، والسلوك المهذب، قبل أن تقوم مؤسسات الحضانة والتعليم بدورها. وهي المساعد في حفظ الدروس وعمل الواجبات، ومنها يعرف طريق الكنيسة ومدارس الأحد وقراءة الكتاب والترنيم(٧).

+ **والأم الجديرة بهذا الاسم** تحب وتبذل وتنكر ذاتها بلا غرض أو مطمع ودون انتظار المقابل، وفرحها في أن تعطي بغير حساب أو منّ. وهي تهتم بخلاص أولادها كما تهتم بطعامهم وشرابهم وملبسهم وتعليمهم. وهي في حنانها ورعايتها لا تستجيب إلا لما هو جيد في طلباتهم. وهي لا تسمح بالتدليل الذي يفسدهم، وهي لا تنشغل بأي أمر أخر عن تربية أولادها، وهي لا تنزع إلى السيطرة وتشكيل شخصية أولادها وتطبيعهم بطبعها، ولا تميز في معاملة أولادها، وتتفق مع زوجها في أسلوب تربية أولادها بغير تنافس أو انحياز، ولا تتدخل في شئون أولادها المتزوجين وبناتها المتزوجات لئلا تصنع شقاقاً تتحمل تبعاته.

+ في **عيد الأم** نحتفل أيضاً بكل الزوجات (وخاصة الأرامل منهن) اللاتي لم ينجبن، لأنهن أمهات بالطبيعة، وسوف يفرغون أمومتهن سواء في أبناء وبنات أقاربهن، أو في خدمات الكنيسة. وقد أوصى الكتاب بإكرام الأرامل (١تي ٥: ٣).

---

(٧) وفي آيات الكتاب استخدم الله صفة **الأم** كي يعبر عن رعايته وإشفاقه علينا، فيقول "**هل تنسى المرأة رضيعها فلا ترحم ابن بطنها. حتى هؤلاء ينسين وأنا لا أنساك**" (إش ٤٩: ١٦)، "**وكإنسان تعزيه أمه هكذا أعزيكم أنا**" (إش٦٦: ١٣). ويقول لشعب إسرائيل الرافض "**يا أورشليم يا أورشليم كم مرة أردت أن أجمع أولادك كما تجمع الدجاجة فراخها تحت جناحيها ولم تريدوا**" (مت٢٣: ٣٧).

+ كما لا ننسى **الجدات** (١تي٥: ٤) سواء أم الأم أو أم الأب، فهن الأصل. وهن، وقد طعنّ في السن وربما تحاصرهم الوحدة والمرض، جديرات بأن نفيض عليهن بالحب والاهتمام وإنعاش حياتهن بالالتفاف حولهن والتأكيد أنهن لم يُنسيْن بل هن في القلب (٢تي١: ٥). ونضيف أيضاً **الحماة** سواء أم الزوجة أو أم الزوج، وهي مناسبة للتأكيد على المحبة والتقدير لهن. وإذا كان هناك ما يعكر الصفو فأن **عيد الأم** يتيح إعادة المياه إلى مجاريها وإزالة كل أسباب الجفاء. وعندنا مثال **راعوث الموآبية** التي ظلت ملتصقة بحماتها رغم وفاة زوجها وقالت لها "**لا تُلحّي عليّ أن أتركك وأرجع عنكِ. لأنه حيثما ذهبتِ أذهب. وحيثما بتِّ أبيت. شعبك شعبي. وإلهك إلهي. حيثما مُتِّ أموت وهناك أندفن**" (را١: ١٦، ١٧).

+ كما نذكر كل **البتولات المكرسات والراهبات**، اللاتي تنازلن عن أمومتهن الشخصية لكي يخدمن الجميع، ويصرن أمهات للكل. من هنا فنحن ندعو الراهبات "**تماف**" ⲧⲁⲙⲁϥ (أي أمي).

+ وينسحب اسم الأم أيضاً على **المعمودية** التي فيها وُلدنا جميعاً ولادة جديدة؛ وعلى **الكنيسة** عروس المسيح أمنا جميعاً، التي في حضنها تلتئم جماعة المؤمنين؛ وعلى **العذراء مريم** التي لما دعاها الرب أماً ليوحنا (يو١٩: ٢٧) صارت أماً لجميع المؤمنين.

كما يُطلق على **الوطن** لفظ **الأم**. والذين يتركون وطنهم الأصلي إلى أرض جديدة يعتبرون وطنهم القديم **الوطن الأم** Mother Land.

+ يبقى أنه كما أعطت الأم وبذلت من حياتها وجهدها من أجل أولادها، فهي جديرة مع الأب بالحب والإكرام بحسب الوصية الخامسة "**أكرم أباك وأمك**" (خر ٢٠: ١٢، تث٥: ١٦) التي هي أول وصية بوعد (مت١٥: ٤، مر٧: ١٠، لو١٨: ٢٠، أف٦: ١-٣، كو٣: ٢٠)، وتقدير ما بذلته في كل مناسبة، مع احترامهم ورعايتهم في شيخوختهم، وعدم استسهال إيداعهم بيوت المسنين للتخلص من عبئهم إلا في الظروف القاهرة. والكتاب يوصي "**تهابون كل إنسان أمه وأباه**" (لا١٩: ٣)، "**يا ابني احفظ وصايا أبيك** (تسمع تأديب أبيك)، **ولا تترك** (ترفض) **شريعة أمك. اربطها على قلبك دائماً. قلد بها عنقك. إذا ذهبت تهديك. إذا نمت تحرسك. وإذا استيقظت فهي تحدّثك**" (أم٦: ٢٠-٢٢، ١: ٨-٩). والكتاب يحذر من العقوق والتمرد "**من ضرب (شتم) أباه أو أمه يقتل قتلاً (فليمت موتاً)**" (خر٢١: ١٥-١٧، مت١٥: ٤، مر٧: ١٠)، "**لا تحتقر أمك إذا شاخت**" (أم٢٣: ٢٢).

ويقف **المسيح** أمامنا نموذجاً جديراً بالاقتداء، ومكتوب عنه أنه "**كان خاضعاً لهما** (لأمه ويوسف)" (لو٢: ٥١). ومكتوب عن **سليمان الملك** أنه لما جاءته أمه **بثشبع** لتكلمه عن أدونيا أخيه، أنه قام للقائها وسجد لها وجلس على كرسيه ووضع كرسياً لها عن يمينه (١مل٢: ١٩).

❁ ❁ ❁

يستثير الاحتفال **بعيد الأم** عواطفنا تجاه **الأم** كي نلاقي حبها ورعايتها لنا كل السنين بالوفاء والاهتمام بها ورد جمائلها. فمنه انبثق أيضاً الاحتفال في بلاد كثيرة بأعياد للأب والأخ والأخت، والأسرة بصورة عامة، مما

يدعم روابطها ويجدد محبة أفرادها بعضهم لبعض. فاقترابهم من بعضهم البعض واهتمامهم بأحوالهم في السراء والضراء، يستبعد الفتور والتفكك والعداء والأنانية ويفادي الخصام والخلاف. وفي قوة الأسرة تماسك كل المجتمع، وتراجُع الأخبار المحزنة عن بعض العائلات في صفحة الحوادث لغلبة الشر والذات على المحبة والإيثار.

كما أن الاحتفال **بعيد الأم والأسرة** يجدد أيضاً شعورنا بالفضل تجاه **الوطن**، الذي احتضننا صغاراً وكباراً، وهيأ لنا العلم والمعرفة والعمل والحماية، وأيضاً تجاه **الكنيسة** الأم الروحية التي فيها تعمدنا وتعلمنا الإيمان ومعرفة شخص المسيح وحفظ كلمة الإنجيل، ورعتنا صغاراً وكباراً وعائلات، وحوطت حولنا بنعمة الروح القدس.

من هنا يبدو غريباً ومناوئاً للفطرة منطق بعض المتعصبين الكارهين للحياة، الذين يرفضون **عيد الأم**، بل ويحرمونه، ويدينون من يحتفل به باعتباره بدعة جاءت من بلاد الغرب. والمشكلة هنا في الجمود والانغلاق وعدم إعمال العقل. وكل العقائد تحث على البر بالوالدين، والعاقل لا يرفض الرأي الصواب أو النصيحة الجيدة لأنها جاءت من غيره أو حتى إن جاءت من عدو. فنحن نتقدم ونتغير إلى الأفضل بالأفكار الجيدة ولا يهم مصدرها، وليس هناك أحق بالاتباع من **إكرام الوالدين ومحبة الوطن** لأننا مدينون لهم بحياتنا.

عيد ظهور العذراء في الزيتون
(٢٤ برمهات ١٦٨٤ - ٢ أبريل ١٩٦٨)

هذا أحدث **أعياد العذراء**[١] والذي يستعيد ذكرى هذا الحدث الذي جرى قبل أقل من نصف قرن وتابعه الملايين ممن يعيشون بيننا اليوم.

وكانت البداية أن لاحظ (عبد العزيز علي) خفير جراج هيئة النقل العام بحي الزيتون شرق القاهرة، أن نوراً متوهجاً يسطع ويتحرك على قبة كنيسة العذراء القريبة، وحسبه في البداية انعكاساً من مصدر للضوء. وفيما بعد تبين أنه على هيئة سيدة من النور تتحرك فوق القبة، فنادى زميله (مأمون عفيفي) مدرب سائقي النقل لكي يحاول معه تفسير ما يراه. فجاء ومعه أخرون من العمال (بينهم ياقوت علي) وفطنوا بعد بعض الوقت أن

(١) تحتفل الكنيسة بالأعياد الأخرى التالية **للعذراء مريم**: ميلادها (أول بشنس)، دخولها الهيكل (٣كيهك)، تذكار نياحتها (٢١ طوبة)، تكريس أول كنيسة باسمها (٢١ بؤونة)، ظهور جسدها بعد صعودها إلى السماء (١٦ مسرى).

ما يرونه هو شئ خارج عن هذا العالم، ولارتباطه بكنيسة العذراء فهي إذاً العذراء تظهر على كنيستها، والتي يؤمن بقداستها المسيحيون والمسلمون.

بعد ساعات قليلة كان الخبر ينتشر، خاصة مع استمرار الظهور أوقاتاً طويلة ولساعة متأخرة من الليل، واقترانه بظهور ما يشبه الحمام يطير في الليل بنور ساطع أبيض على غير سلوك الطيور.

بدأت جموع الناس تأتي إلى المكان من الغروب في انتظار ظهورها، مئات ثم ألافاً. وجاء الأمن ينظم هذه الجموع الحاشدة وليمنع مرور السيارات لحماية الناس، ويرتب أماكن للجلوس ويحدد أعداد الزائرين كل يوم. واجتذب الأمر وسائل الإعلام المحلية والخارجية والمسئولين في الكنيسة والدولة.

بعد حوالي شهر (٣٠ أبريل ١٩٦٨) أصدر المقر البابوي بياناً يؤكد فيه على حقيقة ظهور العذراء، استناداً إلى تقرير لجنة من نيافة **الأنبا أثناسيوس** أسقف بني سويف و**الأنبا غريغوريوس** أسقف البحث العلمي والدراسات القبطية وأخرين، الذين شاهدوا (في ١٩٦٨/٤/٢٣) ظهوراً مذهلاً غير مسبوق لعدة ساعات، وعقدوا بعد ذلك مؤتمراً صحفياً (١٩٦٨/٥/٤) أقرّوا فيه بصحة الظهور، وذكروا الأوضاع التي كانت تظهر بها العذراء، وأنه ما يبدو حماماً كبير الحجم هو ملائكة أو أرواح قديسين مصاحبة للظهور.

وفي ١٩٦٨/٥/٥ نشرت كل الصحف المصرية اليومية في الصفحة الأولى خبر هذا الظهور مصحوباً بصورة أكدت أنها حقيقية لم يتم التلاعب بها لظهور طيف العذراء على قباب كنيستها بالزيتون، أو في فتحات

أبراجها الأمامية والخلفية. كما قيل أن كبار رجال الدولة جاءوا وراقبوا الظهور من مواقع قريبة وتيقنوا من حقيقة الأمر. وأمروا بتوسيع المساحة المحيطة بالكنيسة لاستيعاب حشود الناس. فنقلوا الجراج الكبير مما أتاح مساحة فيما بعد لبناء كاتدرائية على اسم العذراء مقابل الكنيسة الصغيرة التي ظهرت فوقها.

لم يقتصر الأمر على مجرد الظهور الباهر، ولكن **ظهور العذراء** بعث انتعاشاً في حياة المؤمنين، فكانت الجماهير تقضي الليل في الصلاة والترنيم والتسبيح، ويسود الهدوء المكان لا أحاديث التسلية، فالجو العام كان روحياً معزياً. كما استعاد ظهور العذراء الكثيرين من جديد إلى الإيمان، وحضور القداسات واجتماعات الكنيسة، وممارسة حياة التوبة والتناول ومعرفة كلمة الله.

على أن هذا **الظهور** اختلف عن ظهورات سابقة للعذراء لشخص واحد أو لعدد محدود من الناس ولمدة قصيرة، مثل ظهورها التاريخي في القرن العاشر الميلادي للبطريرك **ابرآم بن زرعة**، أيام حكْم الخليفة **المعز لدين الله الفاطمي**، وقد طمأنته على تمام المعجزة التي طلبها الخليفة استناداً إلى آية الكتاب عن الإيمان الذي ينقل الجبال (مت١٧: ٢٠، ٢١: ٢١، مر١١: ٢٣، لو١٧: ٦).

وهناك أيضاً ظهورها في **لورد** Lourdes بفرنسا للفتاة **برناديت** (فبراير ١٨٥٨) لعدة مرات قصيرة، وفي **فاتيما** Fatima بالبرتغال لثلاث أطفال هم فقط الذين رأوها لست مرات محددة بدقائق وعلى فترات متباعدة بين ١٣ مايو و١٣ أكتوبر ١٩١٧.

ولكن **ظهور العذراء** في الزيتون يختلف لأنه استمر لأكثر من عام[٢] وإن لم يكن يومياً، وكان الظهور يمتد في كل مرة بين فترة قصيرة إلى عدة ساعات متصلة. كما كان الظهور عاماً لمئات الآلاف من كل الفئات والمستويات حتى بلغ صداه إلى كل العالم. واقترن الأمر بمعجزات شفاء كثيرة من أمراض مستعصية تم تسجيلها وتحقيقها طبياً، وقامت لجنة أسقفية لتقصي الحقائق بتوثيق شهادات أصحابها، تمجيداً لاسم الله ولشفاعة العذراء المملوءة مجداً.

■ ما وراء الظهور المبارك:

وكان التساؤل هو عن مغزى الظهور في الوقت والمكان الذي ظهرت فيه، وعن النتائج التي ترتبت عليه، وهل من رسالة يوجهها إلينا. وهنا نورد الملاحظات التالية:

(١) **ظهور العذراء** هو شهادة عن عالم الأرواح وحقيقة الحياة بعد الموت، ووحدة الكنيسة المجاهدة مع الكنيسة المنتصرة التي سبقتنا إلى فوق. فالعذراء ماتت ثم صعد جسدها، ولكن روحها مضت إلى الفردوس انتظاراً لليوم الأخير. وها هو الله يرسلها في الهيئة التي ظهرت عليها (وبدرجة ما كما ظهر **موسى** و**إيليا** إلى جانبي المسيح على جبل **التجلي**) لمساندة الإيمان والحث على التوبة والاستعداد، وإضرام رجاء الحياة الأبدية، تأكيداً على أن الموت ليس هو نهاية المطاف.

---

(٢) توالى ظهور العذراء في أماكن أخرى فيما بعد، وإن لم يكن بنفس السطوع أو طول الفترة التي اقترن بظهورها فوق كنيستها بالزيتون، فظهرت في كنيسة مارمرقس بأسيوط، وكنيسة الشهيدة دميانة بشبرا، ثم في كنيسة الوراق.

(٢) **ظهور العذراء** هو إعلان عن مقام العذراء المباركة في النساء (لو١: ٤٢)، السماء الثانية التي حوت ابن الله المتجسد، وحالات الشفاء التي تمت تشهد على قوة شفاعتها وقبولها عند مخلصها.

(٣) **ظهور العذراء** في ذلك الوقت كان مساندة للمسيحيين المضطهَدين في كل مكان، وانتهار من يضطهدونهم، وإظهار أنهم تحت رعاية من مات لأجل خلاص العالم. وهي مع قديسي الكنيسة **مارجرجس ومارمينا وفيلوباتير أبي سيفين** وغيرهم كفريق الإنقاذ المستعد دوماً للتدخل لحماية أولاد الله الذين يستغيثون بهم.

(٤) **ظهور العذراء** شهادة على صدق الإيمان المسيحي: فالعذراء هي أم المسيح "**الذي ليس بأحد غيره الخلاص**" (أع٤: ١٢)، والذي صُلب وقام وصعد إلى السموات وأرسل الروح القدس وسيأتي في مجده ليدين الأحياء والأموات. **فظهور العذراء** هو كرازة ساطعة لغير المؤمنين الذين آمن منهم كثيرون عقب هذا الظهور، أو سعوا بعده للتعرف على شخص المسيح أو قراءة كلمة الله، أو مقابلة العقائد وفحصها لاكتشاف الحق الإلهي، كما أنه تعضيد لإيمان المؤمنين وتأكيد الثقة في عناية الرب بشعبه إلى أخر الأيام.

(٥) يمكن القول أيضاً أن **العذراء**، إذ تعود من جديد بروحها إلى مصر[٣] التي جاءتها يوماً مع ابنها قبل حوالي ألفي عام تحتمي فيها من بطش هيرودس، تأتي إليها مرة أخرى والبلاد مثخنة بجراح هزيمة ساحقة

(٣) لا ننسى أن كنيسة العذراء بالزيتون هي بالفعل على المسار بين عين شمس والمطرية الذي قطعته العائلة المقدسة في الطريق إلى مصر القديمة.

فقدت فيها جنوداً وأرضاً وعتاداً، وامتدت أثارها إلى كل مناحي الحياة، فكان مجيئُها من جديد تعزية لمصر وشعبها وكنيستها ورفعاً لمعنوياتها وتجديداً للثقة في رعاية الله وعنايته.

(٦) قد لا يحتاج أصحاب الإيمان الراسخ والعلاقة الوثيقة المستمرة مع الله إلى معجزات أو ظهورات خارقة، ولكن لاشك أن مثل هذه التدخلات الإلهية الساطعة تسند ضعاف الإيمان والمتشككين والفاترين وأسرى العالم الحاضر وآماله، فيستفيقون من سباتهم ويستعيدون شركتهم مع الله. هذا لا يعني أن المؤمنين الثابتين لا يبالون بالمعجزة أو الظهور السماوي، وإنما هم يمجدون الله، ويتعاظم فرحهم بالذي أحبهم، ويضاعف أشواقهم إلى السماء.

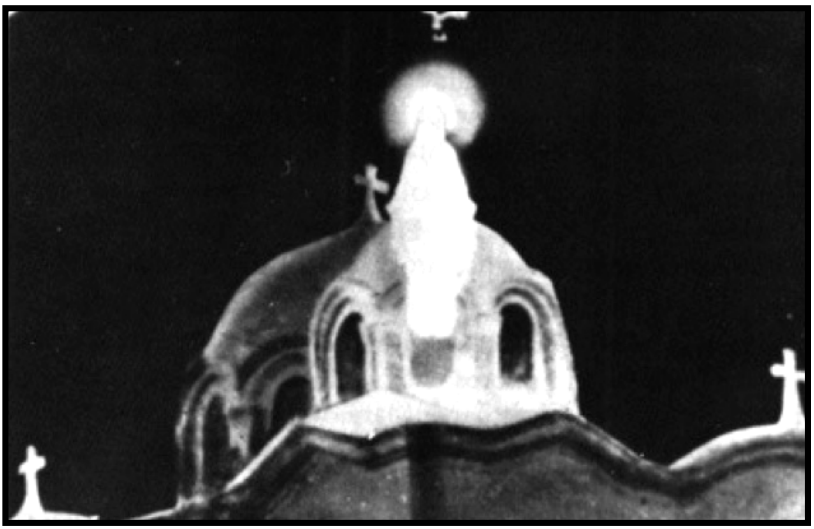

صورة نشرتها الصحف لتجلي العذراء فوق كنيستها بالزيتون

عيد القديس مكاريوس الكبير (أو المصري)[1]
(٢٧ برمهات)

القديس **مقارة** أو **أبو مقار** (**مكاريوس** باليونانية) (٣٠١-٣٩١) هو أول من سكن وادي النطرون أو برية شيهيت أو الإسقيط[2] من الرهبان، وهو أبو رهبان هذه البرية حتى أنها سميت **برية مقاريوس** أو **إسقيط مقاريوس**.

والقديس **أبو مقار** كان تلميذاً **للأنبا أنطونيوس** أبي جميع الرهبان في الصعيد وساحل البحر الأحمر، وهو الذي ألبسه اسكيم الرهبنة وأخذ عنه أساسيات الرهبنة من بتولية ونسك وتقشف وطاعة وفقر اختياري وعبادة

---

(١) تمييزاً له عن القديسين: **مكاريوس الإسكندري** المعاصر له (٣٠٢- ٣٩١) (مؤسس الرهبنة في **جبل القلالي** –غرب الدلنجات، محافظة البحيرة، ويحتفل بعيده ٦بشنس- ١٤ مايو)، و**مكاريوس الأسقف والشهيد** (٤٥١) رفيق **البابا ديسقورس** في المجمع. ولأنه أقدم الثلاثة وأشهرهم فيُعرف بالقديس **مقاريوس الكبير** أو **المصري** أو **أبو مقار**. ويُعرف الثلاثة معاً باسم "**الثلاث أنبا مقارات القديسين**" المذكورين في صلاة المجمع ضمن القداس الإلهي.

و**إنجيل القداس** من مت ٤: ٢٣- ٥: ١٦.

(٢) محرّفة عن المقابل اليوناني لكلمة **ناسك**.

وتقوى. وهو الذي وجهه لتأسيس رهبنة مماثلة في الشمال مقابل الرهبنة الأنطونية في الجنوب.

وقد وُلد **مقاريوس** سنة ٣٠٠ (أو ٣٠١) (أي بعد القديس **أنطونيوس** بحوالي نصف قرن) في بلدة **شبشير** (ششوير – المنوفية)، وتُسمى حالياً **أطَملاي**. وكان أبوه (إبراهيم) كاهناً ورعاً محباً للفقراء، واسم أمه التقية سارة. ولم يكن لهما ولد لسنوات حتى ظهر أبونا إبراهيم في حلم للأب إبراهيم وبشره بابن سيكون أباً روحياً ومرشداً لكثيرين. وبعد فترة تحقق الوعد كما تحقق لأبي الآباء، وسموا الوليد **مقار** (ومعناه سعيد أو طوباوي أو مغبوط أو مبارك).

شبَّ **مقار** كأبيه على محبة الله والتقوى، فرشحه أهل البلدة لخدمة الله وسامه الأسقف شماساً (قارئاً). وبعدها طلبوا أن يُرسم كاهناً ولكنه أعتذر لأنه لا يريد أن يتزوج ليحيا بتولاً مكرساً. على أن والديه والشعب ألزموه بالزواج لإمكان رسامته فخضع لهم، ولكنه لم يقترب من امرأته، وآثر الابتعاد عنها بالعمل مع الجمّالين. فكان يأخذ جمال أبيه مع غيره يحملون ملح النطرون إلى مصر حتى سموه **بمقاريوس الجمال**.

وفي إحدى الليالي رأى في منامه ملاكاً (الشاروبيم)[٣] يقول له أن هذا الجبل سيكون ميراثاً لك، وسيمتلئ ببنيه الروحيين. وبعد ذلك بثلاثة أيام، لما عاد إلى بيته، وجد امرأته قد انتقلت من هذا العالم بتولاً طاهرة ولم يحدثه أحد بعدها في زواجه من جديد. وعاش يخدم أباه الشيخ ويهتم بالفقراء ويقضي وقتاً طويلاً في الصلاة والعبادة. وبعد فترة مات أبوه ولحقت به أمه. فوزع أمواله وتوجه إلى خارج القرية وسكن في صومعة لعشر سنين متعبداً ناسكاً، يصنع السلال ويعطيها لمن يبيعها له ويقتات من

(٣) ظل هذا الشاروبيم رفيقاً ومرشداً **للقديس مقار** طيلة حياته حتى يوم نياحته، ومن هنا أُطلق عليه **اللابس الروح أنبا مقار**.

ثمنها. وفي هذه الفترة وبحسد إبليس اتهمه البعض زوراً أنه سقط مع فتاة، ادّعت عليه لكي تنجو من فضيحتها، وألزموه بإعالتها حتى تلد، بعد أن طافوا به البلدة وهم يشهرون به، فاحتمل الأمر رغم ظلمه كسيده، وجدّ في صنع السلال ليوفر المال اللازم لإعاشة المرأة. ولما جاء موعد الولادة تعذبت المرأة جداً واضطرت للاعتراف بالحقيقة، وجاءه الذين اتهموه لكي يطلبوا الصفح منه.

ومن جديد، وقد بلغ الأربعين، سعى أهل قريته لرسامته قساً ورغم رسامته فأنه آثر الوحدة، وألهمته العناية الإلهية عن طريق الشاروبيم أن يتجه إلى البرية غرب الدلتا، وحفر له مغارة في الصخر، فاجتذب الكثيرين يطلبون الإرشاد وينتهجون نهجه ويسكنون الصوامع من حوله.

ولما بلغت مسامعه سيرة **الأنبا أنطونيوس** في جبال البحر الأحمر، سار إليه (٣٤٣) ليسترشد به ويتعلم منه وسأله أن يقيم عنده. ولكن **القديس أنطونيوس** نصحه أن يطيع أمر الملاك وأن يؤسس لرهبنة مماثلة في **شيهيت** (ميزان القلوب). فحمل معه إرشاد الأنبا أنطونيوس وخبرته وتدبيره كأب لمئات الرهبان[٤]، وبدأ بنفسه يجاهد ضد ميول الجسد وحروب الشيطان، ويمارس العبادة والتسبيح والسهر والصلاة الدائمة، ويخرج الشياطين ويشفي المرضى (وقيل أيضاً إقامة الموتى). فذاعت سيرته وأقبل إليه محبو الوحدة والتأمل من داخل مصر وخارجها (من الشام والسودان وسائر أفريقيا بل أيضاً من أسيا الصغرى وأوروبا)، وكان بين هؤلاء ابنا الملك **فالنتيانوس الأول** (٣٦٤-٣٧٥) **مكسيموس ودوماديوس**[٥] اللذان هجرا أبهة الملك وتاقا لتكريس الحياة لله. وهكذا فإن الهارب من الكرامة والشهرة، لاحقته الكرامة والشهرة

(٤) قيل أنه قام بزيارة ثانية **للأنبا أنطونيوس** بعد هذه الزيارة بعشر سنوات تقريباً (٣٥٣).

(٥) القديسان اللذان ينتسب إليهما دير البراموس (أي الخاص بالرومانيين) وهو أول دير أسسه **القديس مقاريوس**، وكنيسته هي أقدم كنائس برية شيهيت.

ولكن كله كان لحساب مجد الله ورفع اسمه[٦].

ومما يذكر في سيرته أن الله لكي يحفظ له اتضاعه ولئلا ينتفخ مما اختبره من الإعلانات، أن جاءته رؤيا تقول له أنك لم تبلغ بعد درجة الكمال التي بلغتها امرأتان في الإسكندرية. فمضى إليهما ولما التقى بهما صرح لهما عن سبب مجيئه إليهما. فقالا له: "ماذا تتوقع أن تجد صلاحاً في امرأتين متزوجتين يعيشان في الهناء والنعيم؟". ولكنه لما ألحّ عليهما أقرّتا بأنهما تزوجتا من شقيقين منذ ١٥ سنة، ولكنهما خلال هذه الفترة عاشا معاً في سلام بغير خصام أو غيره حتى أنهما لا يميزان بين أبنائهما. بل قد رغبتا في الانفراد بأحد أديرة الراهبات، ولكن الزوجين لم يقبلا. فعاشا معاً كأنهما في دير. فتيقن **القديس مقاريوس** أن القداسة ليست خاصة بالبتوليين ولكن الله يهبها للجميع متزوجين أو غيرهم.

وفي سنة ٣٧٥ أوعز الشيطان إلى الإمبراطور **فالينس** Valens الأريوسي (٣٦٤-٣٧٨) باضطهاد المسيحيين في كل أنحاء مصر، فكلف **لوكيوس** ومعه مئات الجنود بالزحف على البرية وأديرتها وقبض على **مكاريوس المصري ومكاريوس الإسكندري** وكبار الرهبان ونفاهم إلى جزيرة فيله Philae جنوب أسوان، وكان كل سكانها من الوثنيين. وما أن رست سفينة الرهبان بالجزيرة حتى خرجت عليهم ابنة كاهن الجزيرة، وكان بها شيطان، تصرخ وتصيح ماذا أتى بهم، وهل يريدون أن يستولوا على جزيرتهم. فانتهر **القديس مقاريوس** الشيطان فخرج منها فاستردت عقلها وقبلت الإيمان، وأيضاً أبواها وأهل بيتها، وبعدهم كل سكان الجزيرة، مما سبب صدمة للوكيوس وأمر بإعادة الرهبان إلى بريتهم بعد أقل من عام.

---

(٦) لم يبق من مؤلفات **القديس مقاريوس** إلا كتاب عظاته المحتوية على ٥٠ عظة بالقبطية واليونانية إضافة إلى بعض أقواله في كتاب **بستان الرهبان**.

وقد تجاوز عمر **القديس مقاريوس** التسعين حتى ضعف جسده جداً، ولكنه ظل إلى النهاية يوصي أولاده بالثبات ومواصلة العبادة. وظهر له في ليلة انتقاله القديسان **أنطونيوس** و**باخوميوس** أب الشركة، وبشراه بانتقاله بعد تسعة أيام.

وفي الموعد المحدد ظهر له رفيقه الشاروبيم وجموع الروحيين وأسلم الروح في ٢٧ من برمهات سنة ١٠٨ ش. واجتمع حوله الرهبان (١٥٠٠) وصلوا عليه وتباركوا من جسده ثم دفنوه. وخلفه في قيادة الرهبان تلميذه **بفنوتيوس** (ببنودة أي عبد الله).

على أن شعبه في شبشير أخذوا جسده فيما بعد (٤٤٠)، وبنوا كنيسة على اسمه ودفنوه إلى جانب المذبح. ولكن البابا ميخائيل الثالث الـــ ٧١ (في القرن الثاني عشر) أعاده من جديد إلى البرية، ولايزال إلى الآن في ديره.

❋ ❋ ❋

هذا هو **القديس مقاريوس** الذي سميت البرية باسمه، والذي بدأ وحده فجذبت رائحته كل محبي العبادة والوحدة والتكريس، فامتلأت البرية بالآلاف وكثرت الأديرة التي تهدم أكثرها بالإغارات وموجات الإضطهاد، حتى لم يبق منها إلا أربعة أديرة: **البراموس** في الشمال و**الأنبا بيشوي** و**العذراء** (**السريان**) في الوسط و**أنبا مقار** في الجنوب. وخرج منها القديسون رهباناً وأساقفة وبطاركة خدموا كنيستهم ومجدوا إلههم وحافظوا على الإيمان.

عيد البشارة (*)

(٢٩ برمهات[1] - ٧ أبريل)

تحتفل الكنيسة **بعيد البشارة** Annunciation ، أي باليوم الذي بشر فيه **الملاك جبرائيل** السيدة العذراء ابنة الناصرة بتجسد ابن الله وميلاده منها، أي ببشرى الخلاص للبشر والنجاة من الموت ونوال الحياة الأبدية، أي بداية **العهد الجديد** وعيد الخليقة الجديدة.

وتسجل بشارة القديس لوقا تفاصيل المشهد الذي بدأه الملاك جبرائيل

(*) القراءات: **عشية:** مز١٤٤: ٥، ٧، لو٧: ٣٦-٥٠؛ **باكر:** مز٧٢: ٦، ٧، لـو١١: ٢٠-٢٨؛ **القداس:** رو٣: ١-٣١، ١يو١: ١- ٢: ٦، أع٧: ٢٣-٣٤، مز ٤٥: ١١، ١٠، لو١: ٢٦-٣٨.

(١) في يوم ٢٩ من كل شهر قبطي تعيد الكنيسة **بالبشارة والميلاد** (الذي تم بعد البشارة بـشهور تسعة - ٢٩ كيهك)، **والقيامة** (التي يُعتقد أنها تمت في ذات اليـوم - ٢٩ برمهـات، ويـذكر السنكسار أن يوم **الجمعة العظيمة** التي تم فيها صلب المسيح وقع في ٢٧ من برمهات). وقيل أيضاً أن ٢٩ برمهات هو يوم **خروج نوح** وعائلته من الفلك حيث بدأ العالم الجديد، وأيضاً يوم **خروج بني إسرائيل** من مصر وبدء رحلتهم إلى أرض الميعاد.

بتحية العذراء: "**سلام لك أيتها الممتلئة نعمة. الرب معك. مباركة أنت في النساء**". واللافت للنظر أن العذراء لم تندهش لمرأى المَلاك المهيب وإنما اضطربت من كلامه وما عسى أن يكون وراءه. فأفصح الملاك عن إرساليته وبشارته مطمئناً إياها وقائلاً "**لا تخافي يا مريم لأنك قد وجدت نعمة عند الله**"، ثم أعلن تحقيق الوعد القديم بمجيء المخلص من نسل امرأة ليسحق رأس الحية إبليس، الذي أسقط أدم وحواء أبا وأم كل حي (تك٣: ١٥)، وما كتبه الأنبياء بالوحي الإلهي من نبوات صعبة التصديق "**ولكن يعطيكم السيد نفسه آية: ها العذراء تحبل وتلد ابناً وتدعو اسمه عمانوئيل**[٢]" (إش٧: ١٤، مت١: ٢٣)، فيقول لها "**وها أنت تحبلين وتلدين ابناً وتسمينه يسوع. هذا يكون عظيماً وابن العلي يدعى، ويعطيه الرب الإله كرسي داود أبيه، ويملك على بيت يعقوب إلى الأبد. ولا يكون لملكه نهاية**" (لو١: ٢٨-٣٣).

وبالطبع كان الكلام غريباً على مسامعها. فالملاك يتكلم عن حبل وولادة لابن العلي فتقول متحيرة: "**كيف يكون لي هذا وأنا لست أعرف رجلاً**" (لو١: ٣٤). فيأتي الرد ناسباً الأمر كله إلى التدبير الإلهي "**الروح القدس يحل عليك وقوة العلي تظللك**"، ثم يسند إيمانها بما يكشف عن قدرة الله وإنعامه على **أليصابات** قريبتها العاقر الطاعنة في السن بابنٍ (**يوحنا** الذي يهيئ الطريق قدام ابن الله) "**لأن ليس شيء غير ممكن لدى الله**" (لو١: ٣٥-٣٧).

---

(٢) وهي النبوة التي ذكرها الملاك **ليوسف** الذي اضطرب لحمل مريم، والذي لم يشأ أن يشهّر بها لأنه كان باراً "**وأراد تخليتها سراً**" فظهر له وطمأنه "**أن الذي حُبل به فيها هو من الروح القدس، فستلد ابناً وتدعو اسمه يسوع** (مخلص). **لأنه يُخلص شعبه من خطاياهم. وهذا كله لكي يتم ما قيل من الرب بالنبي القائل**.. (ثم ذكر له النبوة) (مت١: ١٩-٢٣).

وهنا تذعن العذراء لخطة الله، وتصدق على أمره "**هوذا أنا أمة الرب. ليكن لي كقولك**" (لو١: ٣٨). وهكذا بدأ تحقيق الخلاص بيوم **البشارة**، أي الخبر السار، الذي أدخل الفرح من جديد في حياة الناس بعد أن ساد عليهم حزن الموت طويلاً. بل قد سبق مجيء المسيح قرون أربعة لم يكن فيها أنبياء وغلب عليها الصمت والغربة والظلام.

هكذا بشّر الملاك الرعاة بميلاد المسيح قائلاً: "**ها أنا أبشركم بفرح عظيم يكون لجميع الشعب. إنه وُلد لكم اليوم في مدينة داود مخلص هو المسيح الرب**" (لو٢: ١٠). ويذكر الكتاب أن **المجوس** حاملي الهدايا للمولود لما رأوا النجم الذي كان يتقدمهم في المشرق وجاء ووقف فوق حيث كان الصبي "**فرحوا فرحاً عظيماً جداً**" (مت٢: ١٠).

■ عن البشارة :

الإنجيل هو **البشارة** المفرحة. ومكتوب عن المسيح بعد بدأ كرازته أنه جاء إلى الجليل **يكرز ببشارة ملكوت الله** قائلاً: "**قد كمل الزمان واقترب ملكوت الله. فتوبوا وآمنوا بالإنجيل**" (مر١: ١٤، ١٥)[٣]. **والأناجيل** الأربعة نسميها **البشائر**، وكتّاب الأناجيل نسميهم **البشيرين**.

+ **والبشارة** في معناها الخاص ترتبط ارتباطاً مباشراً **بشخص المسيح** فهو موضوع البشارة. ومكتوب عن لقاء **فيلبس** الشماس بالخصي الحبشي الذي قاده للإيمان أنه "**بشره بيسوع**" (أع٨: ٣٥). **والقديس بولس** أيضاً

(٣) المسيح بشّرنا أيضاً بالغفران، وبإرسال الروح القدس وعمله فينا، وبوجوده معنا كل الأيام (مت٢٨: ٢٠)، وبمساندته لنا في الآلام (مت١١: ٢٩)، وبمجيئه ثانية لتمجيدنا وإدخالنا إلى ملكوته الأبدي.

لما التقى بالفلاسفة الأبيكوريين والرواقيين في أثينا **"كان يبشرهم بيسوع"** (أع١٧: ١٨).

+ وهدف **البشارة** هو **الخلاص** والمصالحة مع الله بالإيمان بشخص يسوع المسيح الذي حقق الفداء بموته وقيامته، ووسيلتها هي **الإنجيل** (بمعنى البشارة والكرازة أو الإنجيل المكتوب كلمة الله) **"الإنجيل الذي بشرتكم به"** (١كو١٥: ١).

+ ومجال **البشارة** هو العالم كله. وهي بدأت بمجيء الرب المتجسد، ولابد أن تستمر إلى آخر الأيام لتصل هبة الخلاص لكل البشر **"ويُكرز ببشارة الملكوت هذه في كل المسكونة شهادة لجميع الأمم ثم يأتي المنتهى"** (مت ٢٤: ١٤) (من حديث المسيح مع تلاميذه قبل صليبه عن الأيام الأخيرة).

+ والكرازة بإنجيل الخلاص، وعمل الله في حياتنا، ليست فقط مهمة التلاميذ والرسل والآباء والخدام، ولكنها عمل كل مؤمن اختبر الخلاص ويحيا في الإيمان وينتظر حياة الدهر الآتي. والرب بعد أن شفى الرجل ذا الأرواح النجسة قال له **"اذهب إلى بيتك وإلى أهلك واخبرهم كم صنع الرب بك ورحمك"** (مر٥: ١٩). ويقول الكتاب أنه **"مضى وابتدأ ينادي في العشر المدن كم صنع به يسوع. فتعجب الجميع"** (مر٥: ٢٠).

والرب لما دعا المؤمنين **"ملح الأرض ونور العالم"** فهو ضمناً كان يشير إلى مسئوليتهم بتفعيل دورهم في العالم **ملحاً** يحفظ ويصلح **"إن فسد الملح فبماذا يُملح. لا يصلح بعد لشيء إلا لأن يطرح خارجاً ويداس من الناس"** (مت٥: ١٣)، **ونوراً** يهدي ويبدد الظلمة ويبشر الجلوس في ظلال

الموت "**فلا يمكن أن تُخفى مدينة موضوعة على جبل، ولا يوقدون سراجاً ويضعونه تحت المكيال، بل على المنارة فيضيء لجميع الذين في البيت. فليضئ نوركم هكذا قدام الناس، لكي يروا أعمالكم الحسنة، ويمجدوا أباكم الذي في السموات**" (مت٥: ١٤-١٦).

+ وفي أيام **النبي أليشع** حاصر **جيش أرام** بخيله ومركباته طويلاً مدينة **السامرة** عاصمة إسرائيل، وعانى الشعب مجاعة شديدة حتى أكل الناس أولادهم. ولكن الرب أزعج جيش أرام بصوت مركبات وخيل جيش عظيم، فأصابهم الرعب حتى أنهم فروا مذعورين وقت العشاء للنجاة بأنفسهم، تاركين خيامهم وفيها كل ما كانوا قد استولوا عليه. وكان هناك **أربعة رجال برص** عضهم الجوع بنابه كغيرهم، وغامروا بالدخول إلى محلة الأراميين ليجدوا طعاماً. فأدهشهم أن وجدوا كل الخيام خالية والساحة يخيم عليها الصمت. فدخلوا خيمة وأكلوا وشربوا حتى شبعوا وأخذوا **فضة وذهب وثياب وطمروها**. ثم رجعوا ودخلوا خيمة أخرى وفعلوا هكذا. وفجأة توقفوا وقالوا بعضهم لبعض "**لسنا عاملين حسناً. هذا اليوم يوم بشارة ونحن صامتون!**" (٢مل٧: ٩).

فذهبوا من فورهم، وقبل أن يبدأ النهار، و**بشّروا** الإسرائيليين الذين سحقتهم المجاعة، وكان الملك يحسبها مكيدة أرامية لاستدراج جيشه ودحره، ولكن لما أرسل رسلاً ليتكشّفوا الأمر وجدوا كل ما نهبه الأراميون ملقى في الطريق بسبب هروبهم على عَجَل.

نعم.. عمرنا كله مجال **للبشارة** وإعلان محبة الله لنا، وعمل الخير، وإحياء الرجاء في قلوب الخطاة واليائسين، ولا يصح أن نصمت، أو نستصغر شأننا، أو نتحلل من التزامنا، أو نتهرب من أداء دورنا كتابعين للسيد. ولنستند على النعمة لكي نبقى بحياتنا وخدمتنا **بشارة** للسالكين في الظلمة وظلال الموت، وتشجيعاً ومساندة للمجاهدين والفاترين والمقصرين وفاقدي الرجاء، نقدم لكل منهم شخص المسيح المحب للخطاة، الفاتح ذراعيه لجميع المتعبين والثقيلي الأحمال (مت١١: ٢٩).

ولنعلم أن سقوطنا وإنحلالنا هو بهجة للساقطين ونصراً لعدو الخير. وأهل العالم يفرحون شامتين بنكسة المتدينين حتى لو كانوا مؤمنين شكليين، أو رجال دين محترفين خضعوا للشهوة متستّرين بموقعهم. ومحبتنا للمسيح وإدراكنا لحتمية دورنا في بشارة العالم والكرازة بالملكوت يُلزمنا أن ننتبه وألا نعتمد على ذواتنا وإنما على الروح القدس الذي يهب القوة، ويديم علينا نعمة الصمود في التجارب وغلبة الجسد.

"سلام لك أيتها الممتلئة نعمة. الرب معك مباركة أنت في النساء"

(لو١: ٢٨)

■ أحد التناصير(*)

رؤيـــة النـــور

بدا الأمر كأنه مصادفة.. ففيما كان الرب مجتازاً رأى إنساناً أعمـــى منذ ولادته. ولكن مجرى الأحداث يكشف أن هناك تدبيراً إلهياً، وأن الرب أراد أن يخاطبنا من خلال لقائه المعجزى بالمولود أعمى المغبوط. وألقـــت الحوارات المختلفة بين الرب وتلاميذه، وبين الأعمى البصير وجيرانه، وبينه وبين الفريسيين، وبين الرب وبينه، قبل وبعد المعجزة، وملابساتها، كـــثيراً من النور على أعمال الله معنا، وعلى التوجّه الصحيح فى معاملاتنا مع الله.

(١) **"فسأله تلاميذه قائلين يا معلم من أخطأ هذا أم أبواه حتى ولد أعمى. أجاب يسوع لا هذا أخطأ ولا أبواه لكن لتظهر أعمال الله فيه"** (يو ٩: ٢، ٣).

(*) القراءات: **القداس**: كو٣: ٥-١٧، ١يو٥: ١٣-٢١، أع٢٧: ٢٧-٣٧، يو٩: ١-٤١.

اختارت الكنيسة فصل إنجيل القداس عن **تفتيح عيني المولود أعمى** ليُقـــرأ في قـــداس أحـــد التناصير للعلاقة الوثيقة بين المعمودية والحياة في النور بعد الخروج من الظلام.

فالله يسمح للمتاعب والمشاكل والآلام أن تقتحم حياتنا، ليس كعقاب لأننا أخطأنا، وإنما هى فى جوهرها جزء من طبيعة الحياة التى شوهتها الخطية وسيماها النقص والضعف، ومع هذا فالله المحب يستخدمها كمجال **كى تظهر أعمال الله فينا**، أى ليكشف لنا عن رعايته وأبوته.

والله يتمجد فينا إذا رضينا شاكرين بما يسمح لنا به كمؤمنين يثقون دوما فى **محبة الله** "**الذى لم يشفق على ابنه بل بذله لأجلنا أجمعين**" (رو٨: ٣٢)، وأن كل الأشياء بالتالى "**تعمل معا للخير للذين يحبون الله**" (رو٨: ٢٨).

(٢) "**قال هذا وتفل على الأرض وصنع من التفل طينا وطلى بالطين عينى الأعمى. وقال له اذهب اغتسل فى بركة سلوام (الذى تفسيره مرسل). فمضى واغتسل وأتى بصيراً**" (يو٩: ٦، ٧).

من جديد يستخدم الخالق تراب الأرض (تك٢: ٧) ويصنع منه طينا ليمنح الأعمى عينين، لم تكونا له من قبل، فيرى النور والكون لأول مرة، كما تكمل رؤيته لابن الله الذى جاء لينير قلبه وعقله، وينقله من ظلمة الخطية القاتلة للنفس إلى الحياة فى النور. وهكذا يقدم المسيح نفسه إلها قادرا على كل شىء وعلى تلبية نداء كل محتاج "إلى الآن لم تطلبوا شيئا باسمى. **اطلبوا تأخذوا ليكون فرحكم كاملاً**" (يو١٦: ٢٤)، "**كل ما تطلبونه فى الصلاة مؤمنين تنالونه**" (مت٢١: ٢٢).

(٣) "**قال لى أذهب إلى بركة سلوام واغتسل فمضيت واغتسلت فأبصرت**" (يو٩: ١١).

كانت طاعة الأعمى وتصديقه وتنفيذه الأمين لأمر الرب بالذهاب إلى بركة سلوام والاغتسال من مائها، القسط الذى تحّمله الأعمى من تدبير الله الذى انتهى بأن نال الأعمى نعمة البصر التى حُرِمها منذ ولادته.

ولو كان قد ارتاب فى فاعلية الطين المختلَط باللعاب فى إعادة البصر لضرير، أو استثقل هذه المسيرة إلى بركة سلوام رغم توافر الماء حوله، أو لم يرُقه أن الرب لم يشفه فى الحال وحّمله هذا العبء، لما نال شيئا ولواصل مسيرة حياته فى الظلام.

إن خطة الله فى حياة الناس تتطلب مشاركتهم فى العمل synergism بكل إخلاص **"فإننا نحن عاملان مع الله"** (١كو٣: ٩) **"اشترك فى العمل مع عبيدك فى كل عمل صالح"** (أوشية المسافرين)، وهو ما عناه طلب المسيح واهب الحياة ممن حوله أن يرفعوا الحجر عن قبر لعازر وبعدها أقامه. فالله يكرم الإنسان ويحترم حريته بأن يشركه معه فى العمل. وبالتالى **فلكى نحصل على التغيير لابد من توفُّر إرادة التغيير فينا.** وسؤال المسيح لمريض بركة بيت حسدا **"أتريد أن تبرأ"** (يو٥: ٦) يحمل فى طياته هذه الضرورة التى يظنها البَعض أمرا مفروغا منه. ولكن هذا ليس صحيحا. فكثيرا ما طلبنا من الله الحياة الجديدة بينما نحن لا نريد أن نتخلى عن موقعنا فى الظلام. والنتيجة أننا **لا ننال شيئا من عند الرب** (يع١: ٧). والذين طلب الرب أن يضمهم إلى جماعة المفديين و لم يريدوا، ترَك لهم بيتهم خرابا (مت٢٣: ٣٧، ٣٨)..

هل يوجد حل لهؤلاء؟ نعم. يوجد. فالذين يفتقدون الإرادة وإن كانوا يرغبون فى تغيير الحياة فليطلبوها من الله **"أما من تعوزه.. فليطلب من الله الذى يعطى الجميع بسخاء ولا يعير فسيُعطى له"** (يع١: ٥)، **"أؤمن يا سيد فأعن ضعف إيمانى"**. (مر٩: ٢٤).

لا تكفى إذن النوايا الطيبة، بل لابد من الجهاد المستند للنعمة وممارسة الإيمان بالعمل لتأكيد الحاجة إلى الله كل الحياة.

(٤) **"فمضى واغتسل وأتى بصيرا"** (يو٩:٧). فى اغتسال الأعمى وعودته بصيرا إشارة سرّية إلى **المعمودية** كولادة جديدة وإعادة خلق بالروح القدس. وكما أن عينى الأعمى عندما اغتسلت استنارت، فإن ميلادنا الجديد بالروح يجعلنا أولادا لله. والإيمان يضرم عمل الروح هذا فيتجدد القلب والذهن والسلوك وتستنير الحياة برمتها.

من هنا فإن الكنيسة تسمى **المعمودية "سر الاستنارة"**. كما اختارت هذا الأحد من الصوم الكبير[١] ليكون يوما لتعميد (تنصير) المؤمنين الجدد وانتقالهم من جماعة الموعوظين (ثم للأطفال فيما بعد) لكى يشتركوا مع سائر الكنيسة فى الاحتفال بعيد القيامة الذى يلى الصوم الكبير.

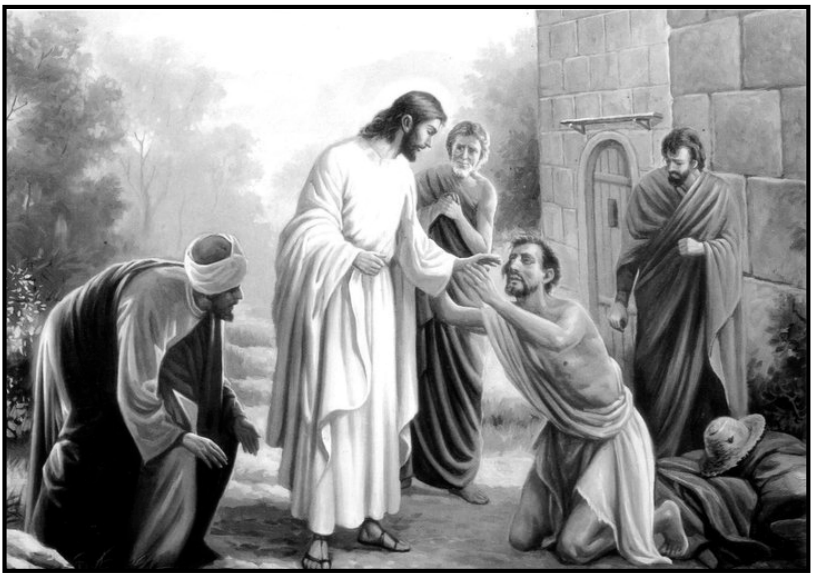

" اذهب اغتسل في بركة سلوام... فمضى واغتسل وأتى بصيرا " (يو ٩ : ٧)

(١) بعض الكنائس تمارس التعميد من **عشية أحد التناصير**، أى من عصر السبت (فقد أجرى الرب معجزة شفاء الأعمى يوم سبت – يو٩: ١٤)، بعد أن كان تعميد الموعوظين فى القرون المسيحية الأولى يتم يوم **سبت النور**.

العلاقة إذاً وثيقة بين **المعمودية والحياة فى النور** وقداسة القلب والحواس والتطلع إلى النور الأبدى. ويصير السلوك فى الظلمة - من ثم - استهتارا بنعمة المعمودية وإنكارا للإيمان "**إن قلنا إن لنا شركة معه وسلكنا فى الظلمة نكذب ولسنا نعمل الحق**" (١يو١: ٦)، ولكن تبقى التوبة دائما باباً مفتوحاً للعودة إلى النور.

(**٥**) تقدم لنا أحاديث الأعمى الذى أبصر نموذجا فى تدرج المعرفة بالرب حتى تكتمل فى الإيمان به:

+ "**إنسان يُقال له يسوع** صنع طينا وطلى عينى.." (يو٩: ١١)؛
+ "**إنه نبى**" (يو٩: ١٧)؛
+ "**إنما أعلم شيئاً واحداً: أني كنت أعمى والآن أُبصر**" (يو٩: ٢٥)؛
+ "لو لم يكن **هذا من الله** لم يقدر أن يفعل شيئا" (يو٩: ٣٣)؛
+ أتؤمن **بابن الله**.. من هو يا سيد لأومن به. فقال له يسوع قد رأيته والذى يتكلم معك هو هو، **فقال أؤمن يا سيد وسجد له**" (يو٩: ٣٨).

فاكتشافنا لله كمخلص قد يحتاج وقتا (أو ربما عمرا)، واجتياز مراحل تتصاعد حتى يأتى الاختبار الحقيقى وإعلان الإيمان وممارسته بالعمل. **وأولى الخطوات هى التوبة الشاملة وتغيير اتجاه الحياة نحو المخلص وملكوته.**

وعلينا ألا نكتفى بأن يكون المسيح **رفيق طريق** لبعض الوقت ثم نفترق، أو أن يكون بالنسبة لنا **معلماً عظيماً** تثير كلماته الإعجاب دون أن نستطيع تنفيذ وصاياه، أو **أحد رجال الله** الذين يصنعون المعجزات بقوة الله، أو حتى أن يكون **نبياً** تحدث عن المستقبل وصدقت كلماته.. **فالمسيح أعظم بما لا يقاس.** إنه **ابن الله** الذى صالحنا مع الآب بموته (رو٥: ١٠، ٢كو٥: ١٩) إذ أحبنا حتى المنتهى، **والنور الحقيقى** الذى ينير كل إنسان

(يو١: ٩)، **ومخلص العالم الوحيد** (أع٤: ١٢)، والقادر أن يهبنا هنا **الحياة الجديدة** المنتصرة (٢كو٢: ١٤) وفى الدهر الآتى **الحياة الأبدية** (مر١٠: ٣٠، لو١٨: ٣٠): وعلينا ألا نرضى بأقل من ذلك.

■ الخطية عمى :

يصح القول إن **الخاطئ** - المتمسك بخطيئته - هو أيضاً **أعمى "لأنهم مبصرين لا يبصرون"** (مت١٣: ١٣، لو٨: ١٠): فهو أعمى روحياً وإن كان مبصرا جسديا. فالخطية (الظلمة) أعمت عينيه الروحيتين (١يو٢: ١١) وصار خاضعاً لسيطرتها، عاجزا عن رؤية الحق وإدراك انحرافه عن الوصية وتغربه عن الله وعصيانه، ومستعبداً تحت أركان العالم، وغافلاً عما ينتظره من مصير: "**لأن الذي ليس عنده هذه** (الإيمان والمحبة وسائر الفضائل الموهوبة لنا بالنعمة) **هو أعمى قصير النظر قد نسي تطهير خطاياه السالفة"** (٢بط ١: ٩).

■ عن الخطية والظلمة :

وعلاقة الخطية بالظلمة فى كلمات الكتاب واضحة:

"إن كانت عينك **شريرة** فجسدك كله يكون **مظلماً**" (مت٦: ٢٣، لو١١: ٣٤)؛

"من يحب أخاه يثبت في النور وليس فيه عثرة، وأما من يبغض أخاه **فهو فى الظلمة، وفى الظلمة يسلك**، ولا يعلم أين يمضى **لأن الظلمة أعمت عينيه**"(١يو٢: ١٠، ١١)؛

"فسيروا مادام **لكم النور** لئلا يدرككم **الظلام**. والذى يسير فى **الظلام** لا يعلم إلى أين يذهب"(يو١٢: ٣٥)؛

"كنتم قبلا ظلمة وأما الآن **فنور** فى **الرب**"(اف٥: ٨).

■ كيف نبصر؟

ولن يتخلص الخاطى من ضلاله وينجو من الهلاك الذى يترصده إلا:

+ باكتشاف عماه وانحرافه وحاجته وإحزانه لروح الله الذى ناله بالمعمودية، ورفض الحياة البائسة التى يمكن أن تستمر إلى النهاية. هكذا كان صوت الله لملاك كنيسة اللاودكيين يكشف له عن ضلاله "**لأنك تقول إني أنا غني وقد استغنيت ولا حاجة لي إلى شئ، ولست تعلم أنك أنت الشقى والبئس وفقير وأعمى وعريان**" (رؤ٣: ١٧).

+ بالالتجاء **بالتوبة** إلى الإله المحب القادر على منح الرؤية والبصيرة الروحية والتحرر من قيود الظلام: "**روح الرب علىَّ لأنه مسحنى لأبشر المساكين** أرسلنى لأشفى المنكسرى القلوب لأنادى للمأسورين بالإطلاق **وللعمى بالبصر** وأرسل المنسحقين فى الحرية"(إش٤٢: ٧، ٦١: ١، لو٤: ١٨)؛

"أنا هو نور العالم من يتبعنى فلا يمشى فى الظلمة بل يكون له نور الحياة"(يو٨: ١٢)؛

"أنا قد جئت نورا إلى العالم حتى كل من يؤمن بى لا يمكث فى الظلمة" (يو١٢: ٤٦)؛

"أشير عليك أن تشترى منى ذهبا مصفى بالنار لكى تستغنى وثيابا بيضا لكى تلبس فلا يظهر خزى عريتك وكحّل عينيك بكحل لكى تبصر. إنى كل من أحبه أوبخه وأؤدبه فكن غيورا وتب"(رؤ٣: ١٨، ١٩).

+ بالاحتماء فى قوة الله ووسائط نعمته: صلاةً وكلمةً وتوبةً وشركةً فى الجسد والدم ليظل الروح الذى ولدنا فى المعمودية مُضرماً هادياً، والتوبة متأججة، والتغيير إلى الأفضل متواصلاً، متذكرا قول الرب لمريض بيت

حسدا بعد شفائه"**ها أنت قد برئت. فلا تخطئ أيضاً لئلا يكون لك أشر**"(يو٥: ١٤)؛ "**وهذه هي الدينونة أن النور قد جاء إلى العالم وأحب الناس الظلمة أكثر من النور لأن أعمالهم كانت شريرة**" (يو٣: ١٩).

❋ ❋ ❋

بعد إعلان الأعمى عن إيمانه وسجوده للرب، أى بعد أن أكتمل له نور العينين ونور القلب، قال الرب فى أعقاب هذه المعجزة الكبيرة "**لدينونة أتيت أنا إلى هذا العالم حتى يبصر الذين لا يبصرون ويعمى الذين يبصرون**"(يو٩: ٣٩). فإذا كان الرب هو **نور الحياة** ونبع الحب الذى يفيض قلبه إشفاقا ورحمة على الخطاة الذين يلجأون إليه، وإذ يلتقونه ينالون نعمة التغيير وينتقلون من الموت إلى الحياة، فإنه للخطاة الآخرين، الرافضين دعوة الخلاص، هو الجبّار الآتى يوما **للدينونة**، كما ذكر الرب قبلا فى حديثه إلى نيقوديموس "**الذى لا يؤمن قد دين لأنه لم يؤمن باسم ابن الله الوحيد**"(يو٣: ١٨)، أو كما قال المعمدان لتلاميذه "**الذى يؤمن بالابن له حياة أبدية والذى لا يؤمن بالابن لن يرى حياة بل يمكث عليه غضب الله**" (يو٣: ٣٦).

أمام عيوننا **الآن** – **وحتى النفس الأخير** – يطالعنا وجه المسيح المخلص بكل حنانه المتدفق.. **ولكنه فى اليوم الأخير** سيأتى فى مجده **لإعلان الخلاص الأخير وتمجيد قديسيه** (عب٩: ٢٨، ١بط١: ٥) من ناحية، ولدينونة الخاطئ "**من داس ابن الله وحسب دم العهد الذى قُدّس به دنسا وازدرى بروح النعمة**"(عب١٠: ٢٩) من ناحية أخرى.

فهل يبقى بعد مجال للاختيار بين النور والظلمة؟!

٢

أعياد شهر برمودة

- **عيد دخول المسيح أورشليم (أحد الشعانين)**
- **أسبوع الآلام**
  - أسبوع الآلام وأفاقه الروحية
- **خميس العهد أو الخميس الكبير**
- **الجمعة العظيمة**
  - المسيح رئيس الكهنة العظيم والذبيحة الكاملة
  - عن ألحان جمعة الصلبوت
- **سبت النور**
- **عيد القيامة**
  - القيامة والخلاص
  - جسد قيامته وجسد قيامتنا
- **اثنين القيامة**
  - معنا ولا نشعر به
- **أحد توما**
  - المسيح يلتقي تلاميذه بعد القيامة
- **عيد مارجرجس (٢٣ برمودة – أول مايو)**
- **عيد مارمرقس (٣٠ برمودة – ٨ مايو)**

عيد دخول المسيح أورشليم

(أحد الشعانين) (*)

أكثر من ثلاث سنوات مضت منذ استعلان المسيح المتفرّد على ضفاف الأردن بعد أن أعتمد من يوحنا (مت٣: ١٦، ١٧). وخلال سنوات خدمته هذه كان الرب – من ناحيته – يتفادى التصعيد مع السلطات الرومانية والدينية، بغير تنازل عن قول الحق، كي لا يتعجّل يوم الصليب قبل الوقت المعين.

كما كان يكبح مشاعر الجموع الذين كانوا يريدونه زعيماً قادراً على تحريرهم (يو٦: ١٥)، بل إنه كان يوصي من يصنع معهم آية ألا يذيعوا ما جرى (مت١٥: ١٦، مر٣: ١٢، ٥: ٤٣، لو٨: ٥٦)، كما أوصى

(*) **القراءات: عشية:** مز١١٨: ٢٥، ٢٦، يو١٢: ١-١١؛ **باكر:** مز٦٨: ١٩، ٣٥، لو١٠: ١-١٠؛ **القداس:** عب٩: ١١-٢٨، ١بط٤: ١-١١، أع٢٨: ١١-٣١، مز٨١: ٣، ١، ٢، مت٢١: ١-١٧، مر١١: ١-١١، لو١٩: ٢٩-٤٨، يو١٢: ١٢-١٩.

تلاميذه ألا يخبروا أحداً بما رأوه يوم التجلي (مت١٧: ٩، مر٩: ٩، لو٩: ٣٦).

كان الرب يعرف كل ما سوف يأتي عليه بحسب التدبير، وهكذا أفصح لتلاميذه مراراً عن صلبه وموته وقيامته قبل زمان (مت١٦: ٢١، ١٧: ٢٣، مر٨: ٣١، ٩: ٣١، لو٩: ٢٢).

على أنه لما جاء ملء الزمان لاجتياز الآلام رأينا الرب يمسك بيده زمام الأحداث، ويتحول من الكرازة الهادئة، والبعد عن أورشليم والهيكل، إلى المجاهرة بغير تحفظ ودخوله أورشليم بموكب احتفالي غير مسبوق، ويقبل عن رضا إعلانه ملكاً، وهو ما رفضه قبلاً، وذلك قبل أيام خمسة من الاحتفال بالفصح، حيث تمتلئ أورشليم باليهود الآتين من الداخل والخارج (يو١١: ٥٥)، فضلاً عن أن معجزة إقامة لعازر الباهرة لم يكن قد مضى عليها إلا أيام، فهذه بدورها أسهمت في زيادة أعداد من احتفلوا بدخوله أورشليم (يو١٢: ١٨). وقبل هؤلاء وبعدهم كان حوله محبّوه من الجليليين الذين عرفوه معلماً صادقاً لا يهاب الأقوياء، وكصاحب معجزات خفّف عن الآلاف آلامهم، فمَن غيره يكون الملك على كرسي داود أبيه؟!

■ مسار الأحداث السابقة :

أثارت إقامة الرب للعازر، وإيمان الكثيرين به، مخاوف رؤساء الكهنة والفريسيين وعزمهم على التخلص منه[1]، حتى أن قيافا رئيس الكهنة قال "**إنه خير لنا أن يموت إنسان واحد عن الشعب ولا تهلك الأمة كلها**" (يو١١: ٥٠).

كان الرب وقتها في **بيت عنيا**، ولما علم بنيتهم أن يقتلوه مضى إلى برية الأردن حيث مكث مع تلاميذه في مدينة **أفرايم**، شمال غربي أريحا

(١) بل أنهم تشاوروا ليقتلوا لعازر أيضاً (يو١٢: ١٠).

(يو١١: ٥٣، ٥٤) لعدة أيام، عاد بعدها إلى **بيت عنيا**[٢]، قبل الفصح بستة أيام (السبت) ليحضر مع تلاميذه حفل عشاء أقيم ابتهاجاً بقيامة لعازر (يو١٢: ١، ٢)، الذي كان أحد المتكئين، حيث احتشد كثير من اليهود "**جاءوا ليس لأجل يسوع فقط، بل ينظروا أيضاً لعازر الذي أقامه من الأموات**" (يو١٢: ٩). وخلال الحفل قامت مريم ودهنت قدمي الرب بالطيب ومسحتهما بشعرها، والرب رأى في فعلها هذا أنها سبقت وكفّنته قبل موته القريب (مت٢٦: ١٢). وهو يذكر في حديثه الموت والتكفين الذي ينتظره بعد أيام بغير اضطراب ولا وجل، كأنه يتكلم عن شخص أخر، فهو "**عالم بكل ما يأتي عليه**" (يو١٨: ٤)، وهو متأهب له.

■ في الطريق إلى أورشليم :

صباح الأحد بدأ الرب مسيرته من بيت عنيا صاعداً إلى أورشليم، وهو يتقدم تلاميذه الذين كانوا متحيرين، بل وخائفين (مر١٠: ٣٢)، وهم يرون معلمهم صامتاً، واجتاحهم شعور غامض أنهم مقبلون على أيام صعبة. والرب يشفق عليهم ويأخذهم على انفراد (فقد كان حولهم كثيرون من الصاعدين إلى الهيكل) ويصارحهم بما ينتظره وينتظرهم، قائلاً لهم من جديد "**ها نحن صاعدون إلى أورشليم (وسيتم كل ما هو مكتوب بالأنبياء عن ابن الإنسان) وابن الإنسان يُسلَّم إلى رؤساء الكهنة والكتبة فيحكمون عليه بالموت ويسلمونه إلى الأمم لكي يهزأوا به (ويُشتم) (ويتفلون عليه) ويجلدوه ويصلبوه (ويقتلونه) وفي اليوم الثالث يقوم**" (مت٢٠: ١٧-١٩، مر١٠: ٣٣، ٣٤، لو١٨: ٣١-٣٣). ورغم أن

---

(٢) في الطريق من **أفرايم** إلى **بيت عنيا** مروا **بأريحا** أولاً (التي تبعد حوالي ٢٠ ميلاً شرقي أورشليم) حيث شفى الرب أعميين تبعاه فيما بعد (مت٢٠: ٢٩-٣٤)، وإن كان البشيران مرقس ولوقا يذكران واحداً فقط منهما اسمه **بارتيماوس ابن تيماوس** (مر١٠: ٤٦)، ويبدو أنه كان معروفاً في المكان (مر١٠: ٤٦-٥٢، لو١٨: ٣٥-٤٣). ثم كان لقاء الرب **بزكّا** (لو١٩: ١-١٠)، وحديثه عن مثل **العبيد العشرة** (لو١٩: ١١-٢٧).

الكلام كان جدًّا هذه المرة، ولكن التلاميذ لم يدركوا مغزاه، ومكتوب "**وأما هم فلم يفهموا من ذلك شيئاً، وكان هذا الأمر مُخفًى عنهم ولم يعلموا ما قيل**" (لو١٨: ٣٤)، فالرب كان يتقدم نحو الصليب ويحمل عبئه وحده، وإن لم يكن أبداً وحده (يو١٦: ٣٢).

ولما صاروا أمام قرية **بيت فاجي**[٣] القريبة "**أرسل الرب اثنين من تلاميذه وقال لهما: اذهبا إلى القرية التي أمامكما. فللوقت وأنتما داخلان تجدان جحشاً مربوطاً لم يجلس عليه أحد من الناس (قط)، فحُلاه وأتيا به، وإن قال لكما أحد لماذا تفعلان هذا فقولا الرب محتاج إليه. فللوقت يرسله إلى هنا**" (مر١١: ١-٣، لو١٩: ٢٩-٣١)[٤]. وكلمات الرب تكشف أنه **كلي المعرفة**، ويتكلم بسلطان مؤكداً أن ما يطلبه سيتم. وفي نفس الوقت فهو لم يتخلّ عن اتضاعه، ولم يترفع "**الرب**" أن يتقدم إلى البشر كأنه "**محتاج**". ونعرف أن التلميذين "**وجدا كما قال لهما**" (لو١٩: ٣٢)، وأتيا بالجحش وألقيا عليه ثيابهما فجلس عليه (مر١١: ٧).

---

(٣) أو "بيت التين" Fig الذي تشتهر بزراعته.

(٤) ولكن **إنجيل متى** يشير إلى "**أتان مربوطة وجحش معها**" تحقيقاً لنبوة **زكريا** قبل حوالي خمسة قرون "**قولوا لابنة صهيون: هوذا ملكك يأتيك وديعاً، راكباً على أتان وجحش ابن أتان**" (مت٢١: ٢، ٥)، والتي يذكرها **القديس يوحنا** "**لا تخافي يا ابنة صهيون. هوذا ملكك يأتيك جالساً على جحش أتان**" (يو١٢: ١٥)، والنص كما جاء في نبوة زكريا "**ابتهجي جداً يا ابنة صهيون. اهتفي يا بنت أورشليم. هوذا ملكك يأتي إليك. هو عادل ومنصور وديع وراكب على حمار وعلى جحش ابن أتان**" (زك٩: ٩). وهذه النبوة تستدعي نبوة أقدم قالها **يعقوب** وهو يعطي البركات لأولاده وكان الكلام عن **يهوذا** (الذي من سبطه جاء المسيح) ونصّه "**رابطاً بالكرمة جحشه وبالجَفنة ابن أتانه، غسل بالخمر لباسه وبدم العنب ثوبه**" (تك٤٩: ١١). والكلمات تكشف عن ارتباط دخول الرب أورشليم على الجحش ابن الأتان والدم النازف بالصليب يوم الفصح. والبعض يرى أن الاختلاف بين النصوص قد يرجع لقصور في الترجمة السبعينية من العبرية إلى اليونانية. ولكن للتوفيق بين النصوص فهناك من يقول أن الرب جلس على الجحش الصغير وحده ولكن أمه الأتان كانت معه لارتباطه بها. والبعض يقبل أن الرب تنقل بين الجحش والأتان (مت٢١: ٧) فالمسافة لم تكن قصيرة حتى بلغ أورشليم.

والرب في جلوسه على الجحش[٥] يقدم نفسه كملك مختلف: فهو "**وديع ومتواضع القلب**" (مت١١: ٢٩)، ولا يركب فرساً مطهماً ويمسك سيفاً وحوله جنود، كالملوك الفاتحين، وإنما حوله تلاميذه البسطاء وجمع صغير يهتف له مسبحاً، وهو ملك عادل ومنصور يصنع سلاماً ويستولي على القلوب ببذله حياته عنها حباً وهي تتبعه إيماناً.

■ يستقبلونه ملكاً :

مع هذا، فقد استقبله الناس **ملكاً**. هكذا فرش الجموع ثيابهم كي يسير عليها[٦] وآخرون فرشوا الطريق بأغصان الشجر (مت٢١: ٧، ٨، مر١١: ٧، ٨، لو١٩: ٣٥، ٣٦)، والبعض "أخذوا **سعوف النخل** وخرجوا للقائه" (يو١٢: ١٣)[٧]، "**والجموع الذين تقدموا والذين تبعوا كانوا يصرخون قائلين: أوصنا**[٨] **لابن داود. مبارك الآتي باسم الرب. (مباركة مملكة أبينا داود الآتية باسم الرب). أوصنا في الأعالي**" (مز١١٨: ٢٥، ٢٦، مت٢١: ٩، مر١١: ٩، ١٠)[٩]، ويتبادلون التسبيح

---

(٥) في تفسير العلامة **أوريجانوس** والقديس **أغسطينوس** أن **الأتان** يرمز إلى الأمة اليهودية **والجحش** إلى الأمم، وأن ما يذكره الكتاب أن الجحش "**لم يجلس عليه أحد**" يشير إلى جهل الأمم، كما أن رضى الجحش بجلوس الرب عليه يشير إلى قبول الأمم الإيمان.

(٦) مذكور في سفر الملوك عند مسح ياهو ابن يهوشافاط ملكاً على إسرائيل أن كل واحد من عبيده "**أخذ ثوبه ووضعه تحته على الدرج نفسه** وضربوا بالبوق وقالوا: قد ملك ياهو" (٢مل ٩: ١-١٣).

(٧) في سفر الرؤيا نرى من جديد **سعف النخل** في أيدي المفديين المتسربلين بالثياب البيض في موكب مشابه يصرخون أمام العرش وأمام الخروف قائلين: "**الخلاص** (= أوصنا) **لإلهنا الجالس على العرش وللخروف**" (رؤ٧: ٩، ١٠)، كما كانت سعوف النخل تستخدم في عيدي المظال والتجديد.

(٨) **أوصنا** (وأصلها بالآرامية **هوشيعنّا** أي أعن – ٢صم١٤: ٤، وتُشتق منها كلمة الشعانين) معناها **يا رب خلّص أو انقذ** (مز ١١٨: ٢٥).

(٩) الكنيسة تستخدم هذا النص في احتفالها بأحد الشعانين بلحن بهيج كأنه "**سلام الملك**" باللغات اليونانية: **Ϩⲣⲁⲥⲟⲩⲏⲙⲉⲛⲟⲥ إفلوجيمينوس**...: **أي مبارك الآتي باسم الرب**، والقبطية: **Ⲱⲥⲁⲛⲛⲁ ϩⲉⲛ ⲛⲏⲉⲧⲃⲟⲥ أوصنا خين ني اتتشوسي**، أي: **أوصنا في الأعالي. هذا هو ملك إسرائيل**"، كما تستخدمه في مرد الإبركسيس ومرد الإنجيل. وخلال القداس يمسك الشعب بسعوف النخل احتفالاً بالمخلص كما فعلت الجموع في ذلك الزمان.

والرد كفريقين ثم يشتركان معاً.

"**ولما قرب الموكب عند منحدر جبل الزيتون ابتدأ كل جمهور التلاميذ** (أي المؤمنين) **يفرحون ويسبحون بصوت عظيم لأجل جميع القوات التي نظروا قائلين: مبارك الملك الآتي باسم الرب (ملك إسرائيل). سلام في السماء ومجد في الأعالي**" (لو١٩: ٣٧، ٣٨، يو١٢: ١٣).

وفي هتاف الجموع فرح وابتهاج، وتمجيد لملك إسرائيل الآتي باسم الرب، كما أن فيه توسل لطلب المعونة والخلاص واستعادة مملكة داود التي داسها الغرباء.

"**أوصنا لابن داود. مبارك الآتي باسم الرب. أوصنا في الأعالي**" (مت٢١: ٩)

■ في الهيكل :

من باب هيرودس في سور المدينة، دخل الرب بموكبه أورشليم "**فارتجّت المدينة كلها**"، والوافدون من الخارج سألوا "**مَن هذا؟**" فجاءهم رد الجموع "**هذا يسوع** النبي الذي من ناصرة الجليل". ولما بلغ الرب الهيكل استمر هتاف الصغار والكبار "**أوصنا لابن داود**" مما أثار رؤساء

الكتبة والكهنة والفريسيين وطلبوا من يسوع أن ينتهرهم (ربما خشية إثارة السلطات الرومانية)، فأجاب قائلاً "أما قرأتم قط: **من أفواه الأطفال والرضع هيأت تسبيحاً**"[١٠] (مز٨: ٢، مت٢١: ١٦)، "**إن سكت هؤلاء فالحجارة تصرخ**" (لو١٩: ٤٠).

على أن الرب فيما هو يقترب من المدينة نظر إليها وبكى عليها قائلاً "**إنك لو علمت أنت أيضاً، حتى يومك هذا، ما هو لسلامك، ولكن قد أُخفي عن عينيك. فأنه ستأتي أيام ويحيط بك أعداؤك بمترسة، ويحدقون بك ويحاصرونك من كل جانب ويهدمونك وبنيك فيك، ولا يتركون فيك حجراً على حجر، لأنك لم تعرفي زمان افتقادك**" (لو١٩: ٤١-٤٤).

والرب هنا لا يبكي على أطلال مدينة وهيكل، وإنما على شعب اختاره منذ القديم، وأحاطه برعايته على امتداد القرون، ليكون نوراً وبشارة لمن حوله، ولما تعثّر جاء لخلاصه وكل العالم معه، ولكنه قابل دعوته بالصدود والكراهية، وهكذا أفلتت منه فرصة النجاة.

وقلب الله لا يزال ينفطر من أجل كل خاطئ "**وهو لا يشاء أن يهلك أناس بل أن يقبل الجميع إلى التوبة**" (٢بط ٣: ٩). وعلى كل واحدٍ أن يعرف أن أيام حياته هي زمان افتقاده، وهي لن تدوم.

■ بيتي بيت صلاة :

في المساء رجع الرب مع الاثنى عشر إلى بيت عنيا، وعاد إلى أورشليم في اليوم التالي (مر١١: ١٢، ١٥) حيث "**كان يعلّم كل يوم في الهيكل**" (لو١٩: ٤٧). "**ولما دخل يسوع الهيكل ابتدأ يُخرج الذين كانوا يبيعون ويشترون... وقلب موائد الصيارفة وكراسي باعة الحمام، ولم يدع أحداً**

(١٠) بداية المزمور الثامن تفصح عن أن تسبيح الأطفال هو للرب الذي اسمه مُمجد في كل الأرض وجلاله فوق السموات.

يجتاز بمتاع". وقال لهم "**مكتوب.. بيتي بيت صلاة يدعى لجميع الأمم، وأنتم جعلتموه مغارة لصوص**" (إش ٥٦: ٧، إر٧: ١١، مت٢١: ١٣، مر١١: ١٧)[١١].

الرب أخذته الغيرة على بيته (مز٦٩: ٩)، فأخذ في طرد المتاجرين بالدين (١تي٦: ٥) الذين حولوا بيت الصلاة إلى سوق للبيع والشراء، وبدل أن يمتلئ رواق الأمم بالمؤمنين ازدحم بالباعة والصيارفة والخراف والحمام، وساده الهرج والمرج، وتغرَّب فيه صاحب البيت وأُهين اسمه، **على أنه ظل في نفس الوقت على عهده مع المساكين وفاض بتحننه على العمي والعرج الذين تقدموا إليه فشفاهم** (مت٢١: ١٤).

وصوت الرب يرن في أذاننا محذراً، إلى اليوم، من أن تتحول كنائسنا إلى نوادٍ اجتماعية أو أسواق للتجارة، ويكون الرب أخر من نلتفت إليه أو نشعر بحضوره. وهو لن يتأخر عن التدخل والردع.

❀ ❀ ❀

كما رأينا.. فالرب لما دخل أورشليم كان هناك من احتفى به فرحاً وهتف له، وهناك من ضاق به وتشاور على التخلص منه، كما كان هناك المتغربون غير المبالين الذين لا يشغلهم سوى ذواتهم وأموالهم.

والرب واقف على الباب يريد أن يدخل إلى حياتنا، فأين نحن من هؤلاء؟!

---

(١١) هناك بعض الاختلاف في ترتيب الأحداث بين الأناجيل، ففي **بشارتي متى ولوقا** كان طرد الباعة يوم الأحد، ولكنه كان في اليوم التالي في **بشارة مرقس**. كما أن **القديس يوحنا** يسجل طرد الرب للباعة في بداية خدمته (يو٢: ١٣-١٧)، وإن أشار هنا أن الرب صنع سوطاً من حبال، بما يعني أن يكون الرب قد طرد الباعة مرتين.

■أسبوع الآلام

أُسبوع الآلام وآفاقه الروحية(*)

لحوالى قرنين من عمر الكنيسة كان أسبوع الآلام يحتفل به منفصلاً عن الصوم الأربعينى.. ولكن بدءاً من حبرية البابا ديمتريوس الكرام (١٨٨م) صار أسبوع الآلام تالياً مباشرة للصوم الأربعينى. وهو يبدو تعديلاً غاية فى التوفيق، إذ صارت الكنيسة تحتفل بأسبوع آلام المخلص بعد أن تهيأت بالصوم الطويل وما يرافقه من القداسات الكثيرة والصلوات المتواترة والأجواء المناسبة للتوبة والعودة إلى الله.

وإذا كان **الصوم الكبير** يبرز بين أيام العبادة فى الكنيسة باعتباره الصوم الذى بدأه الرب فصار لنا.. فإن تاج الأيام يحمله **أسبوع الآلام** دون منازع، حيث تكرس الكنيسة كل وقتها لمتابعة عريسها المحب وهو يتقدم غير هيّاب

(*) يُستفاد أيضاً من مقال: "**حول الترتيبات الطقسية لأسبوع الآلام**" في **الكتاب الثالث** من "**نور الحياة**" (ص ٩٦)، الذي يناقش بعض الأفكار التي تضيف إلى جوانب القوة في طقوس ونصوص الصلوات.

نحو الصليب والموت لأجل كل واحد (عب ٢: ٩).. وهو الأسبوع الذى اجتمعت له من المعانى ما لم تجتمع لغيره من الأسابيع والأيام.

ونحن هنا نتناول **سمات أربعة** يتفرد بها هذا الأسبوع الذى ينتظر المؤمنون قدومه باللهفة والحنين عاماً بعد عام.

■ فهو أولاً : أسبوع البصخة :

(باليونانية) أو **الفصح** (بالعبرية) بمعنى **عبور**، ففيه توقف الرمز القديم (**أى خروف الفصح**) الذى برشّ دمه نجا أبكار إسرائيل من الموت "**فأرى الدم وأعبر عنكم** فلا يكون عليكم ضربة للهلاك" (خر ١٢: ١٣)، وتم خروج بنى إسرائيل من مصر وخلاصهم من عبودية فرعون وعبورهم البحر إلى سيناء فأرض كنعان، وجاء المرموز إليه **فصحنا الجديد مخلص كل العالم**، الذى بدم صليبه والإيمان به ننجو من أسر إبليس وسجن الموت وننال الحياة الأبدية "**لأن فصحنا أيضاً المسيح قد ذبح لأجلنا**" (١كو٥: ٧).

وقد ظلت علاقة المسيح بالفصح والفداء بادية منذ ميلاده حين كان التدبير أن يكون ذلك فى **مزود للبقر** (المعدة للذبح)، وأشار إليه المعمدان قبل المعمودية "هوذا **حمل الله** الذى يرفع خطية العالم" (يو ١: ٢٩). وحتى بعد قيامة الرب بقيت آثار المسامير وطعنة الحربة فى جسده علامة محبة أبدية خُتمت بالدم. وفى رؤياه ذكر عنه **القديس يوحنا**".. ورأيت فإذا فى وسط العرش... **خروف قائم كأنه مذبوح**" (رؤ ٥: ٦)، كما سمع ترنيمة الشيوخ الجديدة "**مستحق أنت أن تأخذ السفر وتفتح ختومه لأنك ذُبحت واشتريتنا لله بدمك**" (رؤ٥: ٩)، وهتاف الملائكة " **مستحق هو الخروف المذبوح أن يأخذ القدرة والغنى والحكمة والقوة والكرامة والمجد والبركة**" (رؤ ٥: ١٢)، وهى التسبحة التى تترنم بها الكنيسة مئات المرات خلال صلوات هذا الأسبوع العظيم.

ولكن بينما احتاج خروف الفصح إلى كاهن ليقدمه، فإن الرب ينفرد بأن اجتمع فيه الكاهن والذبيحة والمقدَّم عنهم. **وينفرد الكاهن هنا أنه**

قدوس بلا خطية وكهنوته دائم لا يزول، وتنفرد الذبيحة بأنها تمت **مرة واحدة فحققت فداءً أبدياً**، وبأن الرب قد اتحد بالإنسان بتجسده فهو يموت عنه بينما هو فيه.

وفى هذا يذكر سفر العبرانيين "**وأما هذا فمن أجل أنه يبقى إلى الأبد له كهنوت لا يزول فمن ثم يقدر أن يخلص أيضاً إلى التمام الذين يتقدمون به إلى الله إذ هو حيّ فى كل حين ليشفع فيهم. لأنه كان يليق بنا رئيس كهنة مثل هذا قدوس بلا شر ولا دنس قد انفصل عن الخطاة وصار أعلى من السموات الذى ليس له اضطرار كل يوم مثل رؤساء الكهنة أن يقدم ذبائح أولاً عن خطايا نفسه ثم عن خطايا الشعب لأنه فعل هذا مرة واحدة إذ قدّم نفسه**" (عب ٧: ٢٤-٢٦)، "وأما المسيح وهو قد جاء **رئيس كهنة للخيرات العتيدة** فبالمسكن الأعظم والأكمل غير المصنوع بيد، أى الذى ليس من هذه الخليقة، وليس بدم تيوس وعجول، **بل بدم نفسه، دخل مرة واحدة إلى الأقداس فوجد فداءً أبدياً** ...ولكنه الآن قد أُظهر مرة عند انقضاء الدهور **ليبطل الخطية بذبيحة نفسه**... هكذا المسيح أيضاً بعدما قُدِّم **مرة** لكى يحمل خطايا كثيرين، **سيظهر ثانية بلا خطية للخلاص للذين ينتظرونه**" (عب ٩: ١١، ١٢، ٢٦- ٢٨)، "لأنه **بقربانٍ واحدٍ** قد أكمل **إلى الأبد** المقدَّسين"(عب١٠: ١٤).

■ وهو ثانياً : أسبوع تتميم الخلاص:

أو المرحلة الحاسمة منه، حيث تتصاعد الأحداث إلى نقطة اللاعودة : من أحزان جثسيمانى ومعاناتها، إلى المحاكمات الظالمة المحفوفة بخيانات الأصدقاء وهروبهم، فآلام ما قبل الصليب، وساعات الصليب الثلاث التى تعجز الكلمات عن الإحاطة بما جازه الرب خلالها، فالموت، ثم القيامة المظفرة فى اليوم الثالث.

فهو أسبوع آلام الرب، ومجده أيضاً، أى مجد الصليب ومجد القيامة التى أتمت عمل الصليب ووجهه الآخر، وفى هذا يقول الرب "**قد أتت الساعة**

ليتمجد ابن الإنسان.. أيها الآب نجنى من هذه الساعة ولكن لأجل هذا أتيت **إلى هذه الساعة... وأنا أن ارتفعت عن الأرض أجذب الىّ الجميع**" (يو ١٢: ٢٣، ٢٧، ٣٢).

وهكذا تحققت فى هذا الأسبوع نبوات الأجيال بدءاً من وعد الله بأن **يسحق نسلُ المرأة رأس الحية** (تك ٣: ١٥)، والرموز من **تقديم اسحق** ذبيحة (تك ٢٢)، إلى **الحية النحاسية** (عد٢١) **وذبائح العهد القديم**.. بل أن **داود**، فى مزموره الثانى والعشرين، **وإشعياء**، فى الأصحاحين الثالث والخمسين والثالث والستين من سفره، واللذين تفصلهما القرون عن يوم الصليب، يكتبان عنه كأنهما شاهدا عيان.. وفيما يلى مختارات من هذه الفصول:

فمن المزمور الثانى والعشرين "**إلهى إلهى لماذا تركتنى**...كل الذين يروْننى يستهزئون بى... قائلين **اتكل على الرب فلينجّه... ثقبوا يدىّ ورجلىّ**، أُحصِى كلَّ عظامى.... **يقسمون ثيابى بينهم وعلى لباسى يقترعون**" (مز ٢٢:١، ٧ ، ٨ ، ١٦-١٨).

ومن الأصحاح الثالث والخمسين من **سفر إشعياء** "لاصورة له ولا جمال فننظر إليه ولا منظر فنشتهيه. **محتقر ومخذول من الناس. رجل أوجاع ومختبر الحزن**. وكمستّر عنه وجوهنا محتقر فلم نعتدّ به. **لكن أحزاننا حملها وأوجاعنا تحملها.. وهو مجروح لأجل معاصينا مسحوق لأجل آثامنا... والرب وَضَع عليه إثم جميعنا. ظُلم أما هو فتذلل ولم يفتح فاه... وجُعل مع الأشرار قبره ومع غنىّ عند موته... أما الرب فسُرّ بأن يسحقه بالحزن. إن جعل نفسه ذبيحة إثم**... سكب للموت نفسه **وأُحصى مع أثمة**" (إش ٥٣:٢-٧، ٩، ١٠، ١٢).

ومن الأصحاح الثالث والستين "**قد دست المعصرة وحدى** ومن الشعوب لم يكن معى أحد... فنظرت ولم يكن معين وتحيرت إذ لم يكن عاضد" (إش ٦٣:٣، ٥).

ولكن النبوات الأخرى التى تمت حرفياً يوم الصليب كثيرة ونختار منها ما يلى: "**بذلت ظهرى للضاربين** وخدى للناتفين. **وجهى لم أستر عن العار والبصق**" (إش٥٠: ٦)، "**وفى عطشى يسقونى خلاّ**" (مز ٦٩: ٢١)، "**فى يدك أستودع روحى**" (مز٣١: ٥)،"فينظرون إلى الذين **طعنوه**" (زك١٢: ١٠)، "ويكون فى ذلك اليوم يقول السيد الرب **أنى أُغيّب الشمس فى الظهر وأُقتِم الأرض فى يوم نور**" (عا ٨ : ٩).

كما تحققت فى هذا الأسبوع أيضاً ما أشار إليه **ملاك البشارة** "**وتدعو اسمه يسوع لأنه يخلص شعبه من خطاياهم**" (مت ١: ٢١).. "ولد لكم اليوم.. **مخلص** هو المسيح الرب (لو ٢: ١١)، ونبوات **زكريا الكاهن** "أقام لنا **قرن خلاص** فى بيت داود فتاه" (لو ١: ٦٩) **وسمعان الشيخ** "لأن عينى قد **أبصرتا خلاصك**" (لو ٢: ٣٠) وما تنبأ به لمريم "ها إن هذا قد وضع **لسقوط وقيام كثيرين فى إسرائيل ولعلامة تقاوم.. "** (لو ٢: ٣٤).

■ وهو ثالثاً : أسبوع التعاليم الأخيرة:

التى تتضمن تأسيس الكنيسة الجديدة (مثل **الكرامين**: مت ٢١، مر١٢، لو٢٠، ومثل **العرس** عن الملكوت : مت ٢٢)، ونبوات المستقبل القريب الذى تحقق (رفض الكهنوت اليهودى **وخراب أورشليم** : مت٢٣، ٢٤، مر ١٣)، **وعلامات المجئ الثانى** (مت٢٤، مر ١٣، لو ٢١)، **وأمثلة الاستعداد له ومشاهد منه** (مت ٢٤، ٢٥، مر ١٣، لو ٢١).

كما تحققت فيه خلاصة تعاليمه : "**أن ابن الإنسان لم يأت ليُخدم بل ليخدم ويبذل نفسه فدية عن كثيرين**" (مت ٢٠: ٢٨).. "**إن لم تقع حبة الحنطة فى الأرض وتمت فهى تبقى وحدها ولكن إن ماتت تأتى بثمر كثير.. من يحب نفسه يهلكها ومن يبغض نفسه فى هذا العالم يحفظها إلى حياة أبدية**" (يو ١٢: ٢٤، ٢٥).

■ وهو رابعاً : أسبوع العبادة والصلاة الدائمة :

حيث نتابع مع الكنيسة بالخشوع والشكر خطوات المسيح الأخيرة – نائباً عنا ولأجلنا – نحو الجلجثة والتى تتضمنها بكل تفصيل قراءات قطمارس البصخة من العهدين القديم والجديد فى ساعاتها الخمس النهارية والخمس الليلية، نتفرس فى شخصه، ونزاحم الجموع لنظل قرب صليبه، صليبنا، متأملين عمله الخلاصى لأجلنا ومجتهدين أن نّفرغ له الوقت والفكر، وهاتفين بتسابيح الكنيسة وألحانها التى لا تتكرر فى غير هذا الأسبوع[1]، فنقول مع الملائكة: "**لك القوة والمجد والبركة والعزة.. يا عمانوئيل إلهنا وملكنا... ياربى يسوع المسيح مخلصى الصالح.. قوتى وتسبحتى هو الرب وصار لى خلاصاً مقدساً**"، ونردد مع اللص اليمين سارق الفردوس "**اذكرنى يارب... ياقدوس.. ياسيد – متى جئت فى ملكوتِك**"، وننشد مع المرتلين "**هذا الذى أصعد ذاته ذبيحة مقبولة على الصليب عن خلاص جنسنا فاشتمه أبوه الصالح وقت المساء على الجلجثة**"، ونسجد أمامه مع الساجدين فى ختام يوم الصليب.

إنه وقت مراجعة النفس وانحنائها بالتوبة أمام مخلصها المصلوب وتسأل الرحمة الإلهية لتنال الغفران.

❁ ❁ ❁

احتفال الكنيسة بأسبوع الآلام صيحة ونداء للغفران لأنه زمان الافتقاد، "**هوذا الآن وقت مقبول .. "هوذا الآن يوم خلاص**" (٢كو ٦: ٢)، ومشاهد أسبوع الصليب تتجسد أمامنا ومعها شهادات الأنبياء وتحقيق المواعيد.

فلنتبع الرب فى طريق الصليب ونعترف به مخلصاً للحياة.

---

(١) انظر (ص ٨٤) "**عن ألحان جمعة الصلبوت**".

خميس العهد أو الخميس الكبير(*)

وسط أسبوع آلام الرب يقف **خميس العهد** كواحد من الأيام الكبيرة في إرسالية الرب الخلاصية، ويرتبط عضوياً بتوقيته وأحداثه بذبيحة الصليب اليوم التالي، يوم الخلاص العظيم، الذي جلس فيه الملك على عرشه الدامي.

ويتميز هذا اليوم بأن أسس فيه الرب **سر الشكر** أو **الإفخارستيا**، حيث قدم المسيح نفسه إلى تلاميذه ذبيح ينزف دمه، قبل ساعات من

(*) القراءات: **باكر**: أع١: ١٥-٢٠، مز٥٥: ٢١، ١٢، لو٢٢: ٧-١٣؛
اللقان: ١تي ٤: ٩- ٥: ١٠، مز٥١: ٧-١٠، يو١٣: ١-١٧؛
القداس: ١كو ١١: ٢٣-٣٤، مز٢٣: ٥، ٤١: ٩، مت٢٦: ٢٠-٢٩.
يُستفاد أيضاً من مقال "**المسيح فصحنا**" في **الكتاب الثاني** من "**نور الحياة**" (ص٥٨)، ومقال "**الطعام الباقي للحياة الأبدية**" و"**معجزة إشباع الجموع**" و"**يسوع المسيح خبز الحياة**" (وهي المتعلقة بأناجيل الأحد الأول والثاني والثالث من شهر أمشير) في الكتاب **الثاني عشر** من "**نور الحياة**" (ص٦٤، ٧٤، ٨٣ على الترتيب).

ارتفاعه عن الصليب ليموت من أجل خلاص العالم. وسبق تقديم الرب جسده ودمه لتلاميذه أن انحنى وغسل أرجل تلاميذه. ونعرض هنا لهذين الحدثين وانعكاساتهما في حياة الكنيسة والمؤمنين.

■ أولاً: المسيح يغسل أرجل تلاميذه (يو١٣: ١- ٢٩):

كلف الرب بطرس ويوحنا بإعداد الفصح مع **"أول أيام الفطير"** (مت٢٦: ١٧، مر١٤: ١٢). وقبل أن يأكلوا الفصح، قام الرب عن العشاء و**"خلع ثيابه وأخذ منشفة واتزر بها، ثم صب ماء في مغسل وابتدأ يغسل أرجل التلاميذ ويمسحهما بالمنشفة التي كان متزراً بها"**.

كان الاغتسال طقساً لازماً للكهنة قبل الخدمة في الخيمة، وقبل الأكل في البيت اليهودي. وكان غسل الأرجل من واجبات الضيافة خاصة للآتين من بعيد وقد غطى أقدامهم تراب الطريق، وهذا كان من مهام العبيد.

والرب، وهو يخلع ثيابه ويتزر بمنشفة تتدلى من حول وسطه، ويصب ماء في مغسل[1]، هو هنا يمارس وظيفة العبد، ويحقق بهذا نبوات الأنبياء عنه (إش ٤١: ٨، ٤٢: ١، ٥٢: ١٣، زك٣: ٨). وهو في تجسده تنازل و**"أخلى نفسه آخذاً صورة عبد"** (في٢: ٨). ولكنه يظل تحت هذه الهيئة **"ملك الملوك ورب الأرباب"** (١تي ٦: ١٥، رؤ١٧: ١٤، ١٩: ١٦) **"الألف والياء البداية والنهاية.. القادر على كل شيء"**

---

(١) الكنيسة تمارس **طقس غسل الأرجل** يوم الاحتفال بخميس العهد. فتصلي **قداس الماء** أو **اللقان** (الذي تمارسه أيضاً في عيدي الغطاس والرسل- واللقان كلمة يونانية تعني المرحضة التي تستخدم في غسل الأرجل) وينحني الأسقف أو الكاهن ليغسل أقدام كل الخدام والشعب. وفي بعض الكنائس يُختار فقط اثنا عشر شخصاً (من الرجال أو الرجال والنساء) ولا يشترط أن يكونوا من المؤمنين، وقد يؤتى بعضهم من السجون، ويتولى الأسقف أو رئيس الأساقفة غسل القدمين جيداً وتقبيلهما كممارسة للاتضاع تمثلاً بالسيد.

(رؤ١: ٨، ٢٢: ١٣)، الذي بقدرته عاش على الأرض بشراً بل وعبداً[٢].

وها هو من جديد يقدم فعل اتضاع حقيقي لا يقوى عليه إلا هو[٣]، إذ أراد **"وهو عالم أن ساعته قد جاءت لينتقل من هذا العالم إلى الآب"** أن يقدم نفسه مثالاً لتلاميذه الذين أحبهم إلى المنتهى، ولكل الآتين من بعدهم. فبعد أن غسل أرجلهم وارتدى ثيابه اتكأ معهم كالسيد والمعلم، وابتدأ يوضح لهم مغزى ما عمل متسائلاً **"أتفهمون ما قد صنعت بكم؟ أنتم تدعونني معلماً وسيداً وحسناً تقولون لأني أنا كذلك. فإن كنت وأنا السيد والمعلم قد غسلت أرجلكم، فأنتم يجب عليكم أن يغسل بعضكم أرجل بعض"** ذلك **"أنه ليس عبد أعظم من سيده ولا رسول أعظم من مرسله"** (يو١٣: ١٣، ١٤: ١٧) وقال من قبل **"يكفي التلميذ أن يكون كمعلمه والعبد كسيده"** (مت١٠: ٢٤-٢٥).

ليس القصد بالطبع غسل الأرجل بحد ذاته، وإنما ما وراء الفعل، أي ممارسة الاتضاع مع الآخرين وعدم التعالي على أحد والتمثل في هذا بالرب الذي وهو السيد والمعلم تصرف معهم كعبد، فكم بالحري من هم أصلاً عبيدٌ لله. وبالنسبة لهم كخدام الله لا يليق أن تكون هناك بينهم منافسة على المكان الأول، ولكي يقدموا أنفسهم للمؤمنين قدوة (١كو٤: ٢٦، في٣: ١٧، ٢تس٣: ٩، ١تي ٤: ١٢، تي٢: ٧) مقتدين بسيدهم

---

(٢) نذكر هنا أمه الفقيرة وولادته في مذود لأنه **"لم يكن لهما موضعاً في المنزل"** (لو٢: ٧)، واضطرار أمه، وهو طفل، للهرب به من الوطن إلى مصر، وعاش ثلاثين عاماً نجاراً يعمل ليقيت نفسه وأمه. والذي اختارهم تلاميذاً كان أكثرهم صيادين. وخلال سني خدمته لم يكن له أين يسند رأسه، ولم يكن يحمل كيساً، ونساء مؤمنات كن يخدمنه من أموالهن (لو٨: ٣)، وحتى احتفاله بالفصح كان في بيت أم مرقس. وهو طلب من الكل أن **"تعلموا مني لأني وديع ومتواضع القلب"** (مت١١: ٢٩) مؤكداً أن كل **"من يتضع يرتفع ومن يرتفع يتضع"** (لو١٤: ١١، ١٨: ١٤)، وهو دعا كل من يتبعه أن **"ينكر نفسه"** (مت ١٦: ٢٤، مر٨: ٣٤، لو٩: ٢٣).

(٣) فالإنسان عندما يتضع فهو لا يتنازل أو يتصاغر لأنه تراب، وحياته وكل فضائله ليست منه وإنما هي عطية الله. فالمسيح وحده بتجسده وقبوله الألم والموت هو المتضع الحقيقي.

(١كو١١: ١)، **فالإيمان بالمسيح** يستدعي **الاتضاع**، والاتضاع يستدعي **المحبة** وسائر الفضائل: **"مقدمين بعضكم بعضاً في الكرامة"** (رو١٢: ١٠)، **"محتملين بعضكم بعضاً ومسامحين بعضكم بعضاً إن كان لأحد على أحد شكوى. كما غفر لكم المسيح هكذا أنتم أيضاً"** (كو٣: ١٣).

+ والرب أراد أن يذكِّر تلاميذه بمواقف سابقة لهم في منافسة بعضهم البعض والتطلع للمكان الأول والسعي للرئاسة ووصاياه لهم إزاءها **"إن لم ترجعوا وتصيروا مثل الأولاد** (في بساطتهم ورضاهم بأن يكونوا الأصغر) **فلن تدخلوا ملكوت السموات"** (مت١٨: ٣)، **"من أراد أن يصير فيكم عظيماً فليكن لكم خادماً، ومن أراد أن يكون فيكم أولاً فليكن لكم** (للجميع) **عبداً. لأن ابن الإنسان لم يأتِ ليُخدم بل ليَخدم وليبذل نفسه فدية عن كثيرين"** (مت٢٠: ٢٦، ٢٧، مر١٠: ٤٤، ٤٥).

+ بل أن الكتاب يذكر حتى بعد غسل الأرجل، وبعد تأسيس سر الشكر، وما كشفه الرب عن الآلام القادمة، أنه قامت "مشاجرة" بين التلاميذ **"من منهم يظن أنه يكون أكبر"** (لو٢٢: ٢٤).

+ ولا يفوتنا ونحن نعرض لهذا الحدث أن نذكر تمنّع بطرس لأن يغسل الرب قدميه، وقد هاله أن يقوم السيد والمعلم بوظيفة العبد، وقال له مستنكراً **"يا سيد أنت تغسل رجليّ؟"**. والرب في وداعته رد عليه قائلاً **"لست تعلم أنت الآن ما أنا أصنع ولكنك ستفهم فيما بعد"**. ولكن بطرس ظل على عدم قبوله لتنازل الرب **"لن تغسل رجلي أبداً"**. فأجابه الرب من جديد **"إن كنت لا أغسلك فليس لك معي نصيب"**. هنا أدرك بطرس قيمة هذا العمل، ولكنه حسبه بالكم لا بالكيف، وقال للرب **"ليس رجلي فقط بل يدي ورأسي"**. هنا قال له الرب هذا القانون الروحي **"الذي قد اغتسل ليس له حاجة إلا إلى غسل رجليه بل هو طاهر كله. وأنتم طاهرون ولكن ليس كلكم** (يقصد عدا يهوذا مسلّمه)" (يو١٣: ٦-١٠).

والقصد أن المؤمن الذي **قد اعتمد** ويحيا التوبة هو "**طاهر كله**"، ولكن هذا لا يمنع أنه قد يخطئ بالضعف. ولكن هذه الخطايا هي طارئة ولا يتمسك بها المؤمن، ويراها شاذة خارجة عن سياق الإيمان الذي يحياه، وسرعان ما يتخلى عنها تائباً نادماً. وهذا يشبه الشخص النظيف الذي قد تتسخ أقدامه من الطريق فيغسلها ولا يحتاج إلى أن يغتسل كله. فالمؤمن الحق قد تحدد موقعه من الله، وانحصر رجاؤه فيه، وقد ثبّت وجهه نحو الحياة الأبدية. هو طاهر كله، والخطية إن حدثت فهي نبت غريب ينتزعه أولاً بأول بالتوبة، ولا يحتاج أن يعتمد من جديد، فالابن الضال لم يكن قد فقد موقعه عندما عاد إلى أبيه تائباً.

+ كما ننتبه أيضاً إلى إشارة الرب في ختام حديثه لتلاميذه، وقبل أن يقدم **الفصح الجديد** إلى أن في وسطهم من هو ليس طاهراً، الذي سيسلمه، مستعيداً قول الكتاب "**الذي يأكل معي الخبز رفع عليّ عقبه**" (مز٤١: ٩، مت٢٦: ٢٣، يو١٣: ١٨). ورغم أن الرب يعرف بما ألقاه الشيطان في قلب يهوذا ولكنه انحنى له هو أيضاً وغسل قدميه(!) مع سائر التلاميذ (بمن فيهم أيضاً من سينكره بعد ساعات، ولكنه لم يرفضه أو ينفي عنه طهارته كيهوذا، لأنه كان عارفاً أنه سيعود إليه باكياً).

وبغير مواربة أفصح الرب بالقول لتلاميذه "**إن واحداً منكم سيسلمني**"، فتحير تلاميذه وأخذوا جميعهم يتساءلون. وأومأ بطرس إلى يوحنا، الذي كان متكئاً في حضن يسوع، لكي يسأله عمن يكون. فأجاب الرب بأنه الذي يغمس اللقمة ويعطيه، وأضاف "**ولكن ويل لذلك الرجل الذي به يُسلم ابن الإنسان. كان خيراً له لو لم يُولد**".

وفي محاولة لإخفاء سقطته تساءل **يهوذا** مع من تساءلوا "**هل أنا هو يا سيدي؟**" فقال له الرب: "**أنت قلت**". وفي إنجيل معلمنا يوحنا "**أنه بعد اللقمة دخله الشيطان**"، وقال له الرب "**ما أنت تعمله فاعمله بأكثر**

سرعة.. فذاك لما أخذ اللقمة (من مائدة الفصح) **خرج للوقت. وكان ليلاً"**. والتعبير موفق جداً. فظلام الليل اجتمع مع ظلمة القلب الذي غلبته عتمة الشر والخيانة. مع كل هذا لم يصدق أكثر التلاميذ، لنقاوة قلبهم، أن يكون واحداً منهم الذي يسلم المعلم المحب والمحبوب للموت، وظنوا، لأن الصندوق كان مع يهوذا، أن الرب كلفه أن يشتري شيئاً للعيد أو أن يعطي مالاً للفقراء (مت٢٦: ٢٠-٢٥، مر١٤: ١٧-٢١، لو٢٢: ٢١-٢٣، يو١٣: ٢١-٣٠).

■ ثانياً: تأسيس سر الشكر:

اختار الرب بتدبير مقصود غاية في الدقة ليلة عيد **الفصح القديم** لكي يرسم لنا **الفصح الجديد: "أما يسوع، قبل عيد الفصح، وهو عالم أن ساعته قد جاءت لينتقل من هذا العالم"** (يو١٣: ١) أخذ في رسم سر الأسرار. كان **الفصح القديم** باباً للخروج من العبودية والعبور إلى الحرية والنجاة من الموت، حيث دم الخروف على القائمتين والعتبة العليا (في مثل تلك الليلة قبل ألف وخمسمائة عام)، وإذ يرى الملاك الدم، يعبر على بيوت العبرانيين (خر١٢: ١٣) فينجون من الموت، أما في غيرها فكان الموت يخطف الأبكار. وظل الاحتفال بالفصح على مدى القرون تذكاراً لخلاص الرب القادر على كل شيء. وقد جاء الوقت ليكون المسيح في اليوم التالي **"فصحنا الجديد"** الذي يُذبح لأجلنا (١كو٥: ٧)، لينتهي الرمز وتأتي الحقيقة، ويكون الخلاص لا لشعب بعينه وإنما لكل الشعوب والأمم لآخر الأيام.

ولكي يمهد الرب من قبل لما رسمه في هذه الليلة، صنع خلال خدمته معجزتين لتكثير الخبز وإشباع الجموع. وبعد المعجزة الأولى أخذ الرب ينقل ذهن الناس إلى **الطعام الباقي للحياة الأبدية**، وأنه إذا كان المن هو طعام العبرانيين في البرية في سنوات التيه، فإن الذين أكلوه ماتوا أيضاً.

ولكن ها هو المسيح "**الخبز الحقيقي**"، "**خبز الله**"، "**خبز الحياة**"، "**الخبز الحي الذي نزل من السماء**" الذي من يأكل منه لا يموت بل "**يحيا إلى الأبد**". وأوضح الأمر أكثر في قوله "**والخبز الذي أنا أعطي هو جسدي الذي أبذله من أجل حياة العالم... من يأكل جسدي ويشرب دمي فله حياة أبدية وأنا أقيمه في اليوم الأخير.. يثبت فيّ وأنا أثبت فيه**" (يو٦: ٣٢، ٣٣، ٤٨-٥٨).

وإذ نأتي إلى احتفال الرب **بالفصح القديم** للمرة الثالثة والأخيرة، وبعد أن غسل أرجل تلاميذه، يستبق الرب أحداث الصليب التي تختم على المشهد، والتي تحل بعد ساعات، لكي يقدم **جسده** المكسور (قبل أن يُكسر) ودمه المسفوك (قبل أن يُسفك) **كالفصح الجديد** الذي كل من يأكله يحيا إلى الأبد. فأخذ يسوع خبزاً وبارك وكسر وأعطى التلاميذ قائلاً "**خذوا كلوا. هذا هو جسدي. وأخذ كأساً وشكر وأعطاهم قائلاً: اشربوا منها كلكم لأن هذا هو دمي الذي للعهد الجديد، الذي يسفك من أجل كثيرين لمغفرة الخطايا. اصنعوا هذا لذكري**"[٤] (مت٢٦: ٢٦-٢٨، مر١٤: ٢٢-٢٤، لو٢٢: ١٧-٢٢).

ها هو الرب في ذات ليلة **الفصح القديم** يطوي صفحته كرمز ويحل محله كخروف **الفصح الجديد**، فصح الدهور و**حمل الله** (يو١: ٢٩، ٣٦)

---

(٤) كان أول إشارة إلى رسم سر الإفخارستيا في رسالة القديس بولس الأولى إلى أهل كورنثوس وذلك قبل أن تكتب في إنجيل مرقس أقدم الأناجيل، فكتب "**لأنني تسلمت من الرب ما سلمتكم أيضاً أن الرب يسوع في الليلة التي أُسلم فيها أخذ خبزاً وشكر فكسّر وقال خذوا كلوا هذا هو جسدي المكسور لأجلكم. اصنعوا هذا لذكري. كذلك الكأس أيضاً بعد ما تعشوا** (أي أكلوا الفصح) **قائلاً هذه الكأس هي العهد الجديد بدمي. اصنعوا هذا كلما شربتم لذكري. فأنكم كلما أكلتم هذا الخبز وشربتم هذه الكأس تخبرون بموت الرب إلى أن يجيء. إذاً أي من أكل من هذا الخبز أو شرب كأس الرب بدون استحقاق يكون مجرماً في جسد الرب ودمه**" (١كو١١: ٢٣-٢٧).

الذي بلا عيب ولا دنس (١بط١: ١٩)، مذبوحاً بالنية، استحضاراً مبكراً للصليب[٥] **"لأن فصحنا أيضاً المسيح قد ذُبح لأجلنا"** (١كو٥: ٧)، ويصير دمه علامة أمام الله للنجاة من الموت، ويتمم خروجاً جديداً عابراً من هذا العالم منتقلاً إلى ملكوت الآب (مت٢٦: ٩، يو١٣: ١).

وفي رؤيا يوحنا يتكرر كثيراً مشهد وذكْر الخروف الذي ذُبح ولكنه قام حاملاً جراحات الصليب **"خروف قائم كأنه مذبوح"** (رؤ٥: ٦)، والكنيسة بالتالي هي امرأة الخروف (رؤ٢١: ٩)، وسيكون مجيء الرب هو **"عرس الخروف وامرأته هيأت نفسها"** (رؤ١٩: ٧)، وفي المدينة المقدسة يكون الخروف هو هيكلها وسراجها (رؤ٢١: ٢٢، ٢٣).

وكما قام الرب في أول الأسبوع، هكذا صار **يوم الأحد** في الكنيسة موعد **الفصح الأسبوعي، قداس الأحد،** طاعةً لكلمات الرب **"اصنعوا هذا لذكري.. اصنعوا هذا كلما شربتم لذكري"**[٦] (لو٢٢: ١٩، ١كو١١: ٢٤، ٢٥). وهكذا صار **"يومَ الرب"** (رؤ١: ١٠) وعيداً أسبوعياً تقدس فيه الكنيسة **الفصح الجديد،** حيث تشترك جماعة المؤمنين في تناول الجسد والدم الإلهيين (أع٢: ٤٢، ٤٦، ٢٠: ٧) من يد الرب، كما جرى يوم خميس العهد، يتوحدون معه، ويثبتون فيه، ويبشرون بخلاصه، وينتظرون مجيئه بحسب وعده.

---

(٥) لارتباط **سر الشكر** الذي رسمه الرب في يوم الخميس بالصليب الذي ارتفع عليه يوم الجمعة وقيامة الرب معطي الحياة فجر الأحد، فأن قسمة **خميس العهد** هي عن **ذبح اسحق** الذي شرع فيه **أبونا إبراهيم**، ولكن الله إذ رأى محبته له منعه من ذبح ابنه الوحيد، الذي بعودته حياً صار رمزاً لموت الرب وقيامته حياً في اليوم الثالث.

(٦) المقابل اليوناني لكلمة **جسد** التي استخدمها الرب في قوله **"خذوا كلوا هذا هو جسدي"** (مت٢٦: ٢٦، مر١٤: ٢٢، لو٢٢: ١٩) هو Soma ومفهومه في الآرامية هو كل الكيان المتحد باللاهوت، وحيث يعبر الدم عن الحياة **"لأن نفس الجسد هي في الدم"** (لا١٧: ١١) **"كما أرسلني الآب الحي وأنا حي بالآب فمن يأكلني فهو يحيا بي"**.

فيما بعد صارت الكنيسة تحتفل بالفصح الجديد أيضاً في أيام الصوم حتى صارت القداسات يومية، وصار الأسبوع كله أحداً واحداً ممتداً يحتفي بالصليب والقيامة، ويوجه الأنظار نحو **الفصح الأخير** بمجيئ الرب الثاني (مت٢٦: ٢٩، مر١٤: ١٥، لو٢٢: ١٦).

والرب عندما قدم جسده ودمه لتلاميذه ليلة آلامه (حيث عُلق ظهر اليوم التالي على الصليب باعتباره **الفصح الحقيقي** الذي يختم على حمل الفصح الذي كان يُذبح في نفس التوقيت وللمرة الأخيرة)، كان يرسم "**هذا السر العظيم**" لحياة كل المؤمنين.

ونحن في التناول لا نأكل لحماً وعظاماً تحت أعراض الخبز ولا نشرب دماً بشرياً تحت أغراض الخمر (وقد حرم الله أكله- تك٩: ٤، لا١٧: ١٢، ١٤، تث١٢: ٢٣). فجسد المسيح[٧] هو لغذاء الروح "**الروح هو الذي يحيي أما الجسد** (وحده) **فلا يفيد شيئاً، الكلام الذي أكلمكم به هو روح وحياة**" (يو٦: ٦٣). كما أن الدم هو تعبير عن الحياة "**لأن نفس الجسد هي في الدم.. لأن نفس كل جسد دمه هو بنفسه**" (لا١٧: ١١، ١٤). والكنيسة تصف الإفخارستيا "**الصعيدة المقدسة الناطقة الروحانية غير الدموية**" (صلاة الصلح- القداس الكيرلسي)، "**ودم يسوع المسيح ابنه يطهر من كل خطية**" (١يو١: ٧) وليس لصحة الجسد. وكلام الرب لم يكن عن الجسد المادي وأكله وإنما على "**الطعام الباقي للحياة الأبدية**". هذا هو المأكل الحق للجسد والمشرب الحق للدم. وهذا أمر سري لا ندري كنهه ولا نستطيع أن نسبر غوره ولا نعرف كيف يتم[٨].

---

(٧) "**لذكري**" لا تعني مجرد التذكر أو إحياء ذكر حدث مضى، ولكنها تقصد استحضاراً حياً لعشاء الرب ليلة آلامه لأن "**يسوع المسيح هو هو أمساً واليوم وإلى الأبد**" (عب١٣: ٨).

(٨) بحسب الإيمان الأرثوذكسي بكنيستنا فلا نستخدم تعبير "**التحول** المادي للخبز والخمر إلى جسد الرب ودمه"، وإنما أن الخبز "**ينتقل**" ليحوي فيه جسد الرب وأن الخمر "**ينتقل**" ليحوي فيه دم الرب. وفي "**سر حلول الروح القدس**" يقول الكاهن سراً "**ليحل روحك القدوس علينا وعلى هذه القرابين الموضوعة ويطهرها وينقلها ويظهرها قدساً لقديسيك**" (القداس الباسيلي)، "**ليحل روح قدسك على هذا الخبز وهذه الكأس لكي يتطهرا وينتقلا**" (القداس الكيرلسي).

وعمل الإفخارستيا فينا هو عمل روحي وليس عملاً مادياً، فدم المسيح **يطهر الضمائر من أعمال ميتة** (عب٩: ١٤)، ويعطَى لغفران الخطايا (١يو١: ٧). والجسد والدم لا يصيران جزءاً من خلايانا وأنسجتنا ودمنا - كما يقول البعض- وإلا فإنه مع تحلل أجسادنا بالموت ينسحب هذا ضمناً على ما أخذناه فينا من جسد المسيح ودمه، وهذا لا يمكن أن يكون، وحاشا لمن يهب الحياة وانتصر على الموت أن يسود عليه الموت. النظرة الروحية لا العقلية تعفينا من التفكير جسدياً في مصير ما نأكله وما نشربه في التناول. ما ينبغي أن ننشغل به هو اتحادنا بالمسيح وطهارة ضمائرنا وممارسة حياتنا الأبدية من الآن.

* * *

الإفخارستيا هي عطية المسيح العظمى التي تتصل مباشرة بفدائه ودم صليبه، وهي تقتضي استعداداً روحياً وقلبياً بالتوبة والاعتراف والتوسل والمخافة. ونحن نتقدم للمائدة فالمسيح حاضر على المذبح وهو الذي يناول كما فعل في العلية قبل زمان. ومعلمنا بولس ينبهنا "**كأس البركة التي نباركها أليست هي شركة دم المسيح، والخبز الذي نكسره أليس هو شركة جسد المسيح**" (١كو١٠: ١٦). والكنيسة تنبهنا إلى رهبة هذه اللحظة "**فلنقف حسناً. لنقف بتقوى. لنقف باتصال. لنقف بسلام. لنقف بخوف الله ورعدة وخشوع**"، وحول الرب تقف الملائكة ورؤساء الملائكة، والسيرافيم والشاروبيم يسترون وجوههم من بهاء عظمة مجده غير المنظور ولا المنطوق به.

والكتاب يوصينا "**ليمتحن الإنسان نفسه وهكذا يأكل من الخبز ويشرب من الكأس**" (١كو ١١: ٢٨). فبركات الإفخارستيا لا ننالها آلياً، وإنما يلزم أن نؤمن بالمسيح مخلصاً لأنه "**بدون إيمان لا يمكن إرضاؤه**" (عب١١: ٦).

■ الجمعة العظيمة(*)

المسيح رئيس الكهنة العظيم والذبيحة الكاملة

ربما بَقِيَ **ملكي صادق** – رغم ما يحمله من دلالات – كشهاب ظهر في فجر التاريخ القديم لأبينا **إبراهيم** (تك ١٤: ١٨-٢٠)، ثم توارى في ثنايا الأحداث، وإن طفا اسمه على السطح وسط القرون في كلمات مزمور داود (مز ١١٠: ٤) التي تشير إلى **كهنوت المسيح الأبدي**: "أقسم الرب ولن يندم **أنت كاهن إلى الأبد على رتبة ملكي صادق**". وبعدها لم تأتِ إشارة أخرى عن كهنوت المسيح غير هدايا المجوس (مت ٢: ١١) الذين ألهمهم الوحي أن يُقدِّموا **ذهباً** (**للمسيح الملك** المخلِّص الذي غلب إبليس وخلَّص البشر من بين براثنه)[1]، **ولباناً** (**للمسيح الإله والكاهن**)، **ومُرًّا** (**للمسيح المتألِّم** ذبيحاً على الصليب، وحنوطاً لقبره).

(*) يُستفاد أيضاً من مقال: "**نعم.. جاء ليموت كي يهب الحياة**" في **الكتاب الثاني** من "**نور الحياة**" (ص٨٠)، و"**نحن والصليب والخلاص**" في **الكتاب السادس** (ص ٣٢).

(١) "**إذ جرَّد الرياسات والسلاطين أشهرهم جهاراً ظافراً بهم فيه** (في الصليب)" (كو ٢: ١٥)

نقول ربما بقيت هذه الإشارات عن **المسيح رئيس الكهنة العظيم والذبيحة الكاملة** غير المسبوقة، والتي قدَّمها الرب مرة واحدة فصنع فداءً أبدياً لكل العالم[٢]، لولا أن بعض العبرانيين (اليهود) المتنصِّرين، بعد سنوات من إيمانهم بالمخلِّص وتحت وطأة اضطهادهم من اليهود المتشدِّدين لاتِّباعهم المسيح، أخذوا يراجعون أنفسهم وإيمانهم وينظرون إلى ما آلوا إليه مفتقدين تراثهم وتاريخهم، آباءهم ومواعيدهم، هيكلهم وكهنوتهم، ذبائحهم وطقوسهم، وقد تحوَّلوا إلى أقلية منبوذة تتقاذفها الأمواج ويتهددها خطر الارتداد، مما حفز **القديس بولس**[٣] للتصدِّي والدفاع عن الإيمان. فصار تراجعهم بركة لكل المؤمنين.

هكذا أُتيح أن يضم العهد الجديد سفراً كاملاً كحبات عقد نفيس تلمع فيه من حياة السيِّد صفته **كرئيس كهنة عظيم** متفرِّد، قدَّم ذاته **ذبيحة كاملة** لا مثيل لها، ويميط اللثام عن كل الأسرار منذ **ملكي صادق وهارون** حتى ذبيحة الصليب وإلى آخر الدهور، ويكشف لكل يهودي (وأُممي) آمن بالمسيح أن ما ناله أعظم بما لا يُقاس مما تخلَّى عنه. فالذي فقده آل إلى الزوال ولم تَعُدْ له قائمة، والذي ربحه هو غاية كل النبوَّات، مخلِّص العالم وواهب الحياة الأبدية.

وإن كان المسيح قد مارس عملياً كهنوته عندما خدم الكلمة في الهيكل (لو ٤: ١٦-٢١)، وعلَّم وبشَّر وافتقد، وأسَّس الأسرار وقدَّم نفسه ذبيحة، وأرسل تلاميذه للكرازة بالخلاص؛ إلاَّ أنه لم يستخدم لقب الكاهن أو رئيس الكهنة في أحاديثه عن نفسه كما لم تتضمن كتابات الرسل هذا اللقب عن المسيح، وكأنما رتَّب الوحي الإلهي الظروف **لكي يكتب القديس بولس سفراً خاصاً** بأكمله عن كهنوت المسيح الفريد.

---

(٢) "**وطُعن في جنبه بالحربة، فجرى منه دم وماء غفراناً لكل العالم وتخضّب بهما جسده**" (القسمة السريانية).

(٣) كاتب "**الرسالة إلى العبرانيين**" بحسب التقليد الآبائي الكنسي.

■أولاً: التدبير الإلهي يشير إلى سمو كهنوت المسيح وتفرُّده:

(١) المسيح أعظم من الكهنة اللاويين لأنه رئيس كهنة على رتبة ملكي صادق[٤]:

في فجر التاريخ القديم يظهر كالبرق الخاطف شخص **ملكي صادق** الذي يلتقي **إبراهيم** أبي الآباء بعد انتصاره على الملوك. ويُسجِّل عنه سفر التكوين هذه الكلمات القليلة: "**وملكي صادق ملك شاليم أخرج خبزاً وخمراً، وكان كاهناً لله العلي، وباركه وقال: مبارك أبرام من الله العلي مالك السموات والأرض، ومبارك الله العلي الذي أسلم أعداءك في يدك. فأعطاه عُشراً من كل شيء**" (تك ١٤: ١٨-٢٠)[٥].

فالله أظهر الملك الكاهن **ملكي صادق**، بشخصيته واسمه وألقابه، رمزاً مبكِّراً لكهنوت المسيح الكامل، ويرسم مُقدَّماً بصورة ما ملامح مخلِّص العالم، فهو يُشرق فجأة دون مقدمات ودون إشارة إلى نَسَبه، تحيط به العلامات التي ستتحقق في ملء الزمان: **خبز وخمر الإفخارستيا، وإبراهيم أبو الآباء يُقدِّم له العشور من كل شيء**، وهي علامة خضوع وتسليم العهد القديم كله لابن الله مدشِّن العهد الجديد بدمه (مت ٢٦: ٢٨، مر ١٤: ٢٤، لو ٢٢: ٢٠).

---

(٤) في صلوات الكنيسة وألحانها إشارات كثيرة عن كهنوت المسيح وامتيازه، فتقول الكلمات الأولى من قسمة صوم الرسل للابن: "أنت هو كلمة الآب، الإله الذي قبل الدهور، **رئيس الكهنة الأعظم**". وفي آحاد الصوم الكبير وجمعة ختام الصوم يُرتَّل لحن: **ميغالو ارشي إيريفس** ⲙⲉⲅⲁⲗⲟⲛ ⲁⲣⲭⲓⲉⲣⲉⲩⲥ، ومعناه: "**رئيس الكهنة الأعظم** الطاهر إلى الأبد، قدوس الله. على طقس **ملكي صادق** الكامل، قدوس الله. المتجسِّد من الروح القدس ومن القديسة مريم البتول بسرٍّ عظيم، قدوس الذي لا يموت، ارحمنا". وفي قسمة سبت الفرح: "وصار سابقاً صائراً **رئيس كهنة إلى الأبد على رتبة ملكي صادق**".

(٥) بين صلوات القسمة في القداس الإلهي هناك "**قسمة ملكي صادق**" غير الشائعة التي تسجل هذا الحدث الفريد بلقاء **ملكي صادق** وأبينا **إبراهيم** وبتفاصيل أكثر مما جاء في سفر التكوين.

ويضيف كاتب سفر العبرانيين رموزاً أخرى عن **ملكي صادق** تجعل المطابقة مع جوانب من حياة الرب ما يملأ القلب بالرهبة والخشوع إزاء كمال التدبير الإلهي:

"لأن **ملكي صادق** هذا، **ملك ساليم، كاهن الله العلي، الذي استقبل** إبراهيم (المنتصر) **راجعاً من كسرة الملوك** (كَدَرلَعومر والذين معه) **وباركه، الذي قَسَمَ له إبراهيم عُشراً من كل شيء. المُترجَم أولاً ملك البر ثم أيضاً ملك ساليم** أي **ملك السلام**[٦]. **بلا أب بلا أُم بلا نَسَب. لا بداءة أيام له ولا نهاية حياة** (فهذا كله لم يُسجِّله سفر التكوين)، **بل هو مُشبَّه بابن الله. هذا** (أي ابن الله) **يبقى كاهناً إلى الأبد. ثم انظروا ما أعظم هذا الذي أعطاه إبراهيم رئيس الآباء، عُشراً أيضاً من رأس الغنائم. وأما الذين هم من بني لاوي، الذين يأخذون الكهنوت، فلهم وصية أن يُعشِّروا** (أن يأخذوا العشور من) **الشعب بمقتضى الناموس... ولكن الذي ليس له نَسَب منهم قد عَشَّر إبراهيم، وبارَك الذي له المواعيد. وبدون كل مشاجرة** (بغير جدال): **الأصغر يُبارَك من الأكبر** (أو الأكبر هو الذي يبارِك الأصغر)... **إن لاوي أيضاً الآخذ الأعشار** (أي الكهنة اللاويين) **قد عُشِّر** (أي قدَّم العشور) **بإبراهيم، لأنه كان بعد في صُلْب أبيه** (أي إبراهيم) **حين استقبله ملكي صادق.**

فلو كان بالكهنوت اللاوي كمال... ماذا كانت الحاجة بعد إلى أن يقوم كاهن آخر (أي المسيح) على رتبة **ملكي صادق**، ولا يُقال على رتبة **هارون؟**... لأن الذي يُقال عنه هذا (أي المسيح) كان شريكاً في سبط آخر (يهوذا) لم يُلازِم أحدٌ منه المذبح. فإنه واضحٌ أن ربنا قد طلع من

---

(٦) قابل مع "**رئيس السلام**" (إش ٩: ٦). وقد أتى المسيح فعلاً إلى العالم بالنعمة والحق (يو ١: ١٧)، وبهما صار البر والسلام.

سبط **يهوذا**، الذي لم يتكلَّم (يذكر) عنه **موسى** شيئاً من جهة الكهنوت. وذلك أكثر وضوحاً أيضاً إن كان على شبه **ملكي صادق** يقوم كاهن آخر (أي المسيح)... لأن أولئك بدون قَسَم قد صاروا كهنة، وأما هذا (المسيح) فبقَسَم من القائل له: **أقسم الرب ولن يندم، أنت كاهن إلى الأبد على رتبة ملكي صادق... فمن أجل أنه** (أي المسيح) **يبقى إلى الأبد، له كهنوت لا يزول**" (عب ٧: ١-١٧ ، ٢١-٢٤).

فالقَسَم الوارد في المزمور لا ينطبق على الكهنة اللاويين فهم خطاة وزائلون، وبالتالي متعدِّدون وهم خدَّام عهد بائد، ولكنه ينطبق فقط على الملك الكاهن الأبدي ابن داود الحقيقي **يسوع** المخلِّص الوحيد خادم العهد الجديد والنهائي بجسده المصلوب ودمه المسفوك المُعبَّر عنه بخبز وخمر الإفخارستيا، كما كان قديماً عهد **ملكي صادق** الذي عشَّر له **إبراهيم** (وكل **إسرائيل** في صلبه) وبورك منه كأصغر يُبارَك من الأكبر.

(٢) المسيح رئيس كهنة أبدي في السموات، إذ قدَّم نفسه ذبيحة دائمة الفعل في الأقداس:

"وأما رأس الكلام فهو أن لنا **رئيس كهنة مثل هذا قد جلس في يمين عرش العظمة في السموات**" (أع ٧: ٥٦، عب ١: ٣)، "**خادماً للأقداس والمسكن الحقيقي الذي نصبه الرب لا إنسان**" (عب ٨: ١و٢).

فالكهنة اللاويون الذين على الأرض يُقدِّمون قرابين حسب الناموس، فهم يخدمون **شبه السماويَّات** وظلها (عب ٨: ٣-٥)، أما الرب فقد "حصل على خدمة أفضل بمقدار ما هو **وسيط أيضاً لعهد أعظم** (مما صنعه الله مع موسى عند خروج بني إسرائيل من مصر)" (عب ٨: ٦)، "وهو قد جاء **رئيس كهنة للخيرات العتيدة** (أي لعطايا النعمة وهي في الأساس الروح القدس والحياة الأبدية)، فبالمسكن الأعظم والأكمل غير المصنوع

بيدٍ أي الذي ليس من هذه الخليقة (أي السماء حيث عرش الله)، وليس بدمٍ تيوس وعجول بل **بدم نفسه** (ذبيحة الصليب) **دخل مرة واحدة إلى الأقداس** (بصعوده إلى السماء) **فوجد** (فحقَّق لنا having obtained) **فداءً أبدياً**... ولأجل هذا هو **وسيط عهد جديد**" (عب ٩: ١١و١٢و١٥)؛

"لأن **المسيح** لم يدخل إلى أقداس مصنوعة بيد **أشباه الحقيقية** (خيمة الاجتماع – هيكل سليمان)، بل إلى **السماء عينها**، ليظهر الآن أمام وجه الله لأجلنا، ولا ليُقدِّم نفسه مراراً كثيرة كما يدخل رئيس الكهنة إلى الأقداس كل سنة بدم آخر. فإذ ذاك كان يجب أن يتألَّم مراراً كثيرة منذ تأسيس العالم (لو لم تكن ذبيحة الصليب كافية للخلاص)، ولكنه الآن قد **أُظهِر مرة عند انقضاء الدهور** (يوم الصليب) **ليُبطل الخطية بذبيحة نفسه**" (عب ٩: ٢٤-٢٦)، من هنا "**نحن مقدَّسون بتقديم جسد يسوع المسيح** (كذبيحة) **مرَّة واحدة**" (عب ١٠: ١٠).

رئيس كهنتنا العظيم، إذاً، يختلف عن غيره، فهو حيٌّ لا يموت، وهو بار قدوس بلا عيب، وهو يجلس على عرشه في الأعالي، وهو قدَّم نفسه ذبيحة دائمة قادرة أن تغفر خطايا كل مَن يتقدم إليه وبه، مؤمناً تائباً، في العالم كله وإلى آخر الأيام.

(٣) المسيح هو الذبيحة الفريدة الكاملة[٧]:

وهي **فريدة** لأن الرب كرئيس كهنة لم يتقدَّم بدم تيوس وعجول، بل **دخل إلى الأقداس بدمه هو. فكان هو نفسه الذبيحة المقدَّمة** والتي تجاوز أثرها شعب إسرائيل ليشمل العالم كله (عب ٩: ١٢)، وهي **كاملة** لأنها بلا عيب، وقُدِّمت **مرة واحدة**، فصنعت **فداءً أبدياً**. فقيامة الرب من

---

(٧) في أعياد الصليب ويوم الجمعة العظيمة من أسبوع الآلام يُرتَّل لحن فاي إيتاف إنف ⲫⲁⲓ ⲉⲧⲁϥⲉⲛϥ، ومعناه: "هذا الذي أصعد ذاته **ذبيحة مقبولة على الصليب** عن خلاص جنسنا، فاشتمَّه أبوه الصالح وقت المساء على الجلجثة".

الموت جعلت الذبيحة حية دائمة، والفداء أبدياً، والمصالحة مع الآب لا تتكرر. وهي من ناحية حقَّقت شروط ذبيحة الفصح (١كو ٥: ٧)، فكانت **بلا عيب** (من جهة البر)، **ولم يكسر منها عظم** (عد ٩: ١٢، يو ١٩: ٣٦)، **وأهرق دمها خارج المحلة** (عب ١٣: ١٢و١٣)، وتقدَّم بها الرب مرتفعاً على الصليب في اليوم التالي لاحتفاله بالفصح مع تلاميذه والذي رسم بعده سر الشكر، وهي من ناحية ختمت على كل الذبائح القديمة المتعددة التي رمزت جميعاً لها، والتي كانت فقط تُقدِّس إلى طهارة الجسد (عب ٩: ١٣)، وبالتالي كان يلزم تكرارها، فأثبتت قصورها ونسختها، وبَطُل تقديمها منذ يوم الصليب بانشقاق حجاب الهيكل (مت ٢٧: ٥١، مر ١٥: ٣٨، لو ٢٣: ٤٥)، وخراب الهيكل تحقيقاً لنبوَّة السيِّد (مت ٢٤: ٢، مر ١٣: ٢، لو ٢١: ٦).

فالرب تَمَّم طقس تقديم الذبيحة بصورة كاملة غير مسبوقة وغير متكررة، ففيه اجتمع **المقدِّم** (**رئيس كهنة** قدوس على طقس ملكي صادق)، **والمقدَّم عنهم** (**البشر** الذين أخذ جسدهم دون خطيتهم – عب ٧: ٢٦)، **والتقدمة** (**ذبيحة الحب** الكاملة والدائمة التي تُخلِّص إلى التمام)، كما جمع في شخصه أيضاً **الإله والإنسان** المقصود مصالحته. ومن ناحية أخرى، فقد كان الآب **المُصالِح** (الذي أحب العالم حتى بذل ابنه الوحيد لأجلنا أجمعين – يو ٣: ١٦، رو ٨: ٣٢)، **والمصالَح معاً**: "ولكن الكل **من الله الذي صالحنا لنفسه بيسوع المسيح وأعطانا خدمة المصالحة، أي أن الله كان في المسيح مُصالحاً العالم لنفسه**، غير حاسب لهم خطاياهم **وواضعاً فينا كلمة المصالحة... نطلب عن المسيح تصالحوا مع الله**" (٢كو ٥: ١٨-٢٠)، وأعلن الآب قبوله للذبيحة بقيامة الرب من بين الأموات.

ومنذ ولادته في مذود الخراف المعدَّة للذبح (لو ٢: ٧و١٢و١٦)، وخلال خدمته؛ ظلَّت الإشارات والكلمات تتوالى مبكراً عن مهمة الرب

الخلاصية وسفك دمه. فالمعمدان يُلقِّبه بـ **"حمل الله الذي يرفع خطية العالم"** (يو ١: ٢٩و٣٦)، والرب لا يتهيب الحديث عن بذل نفسه من أجل حياة العالم وتسليمه للموت (مت ١٦: ٢١؛ ١٧: ٢٢؛ ٢٠: ١٨و١٩، مر ٨: ٣١؛ ١٠: ٣٣و٣٤، لو ٩: ٢٢؛ ١٨: ٣٢و٣٣، يو ٦: ٥١؛ ١٠: ١١). ونبوَّات الأجيال يأتي أوانها لتتحقَّق: **"كشاة تُساق إلى الذبح وكنعجة صامتة أمام جازِّيها، فلم يفتح فاه... أما الربَّ فسُرَّ أن يسحقه بالحزن، إنْ جعل نفسه ذبيحة إثم.."** (إش ٥٣: ٧و١٠).

ولقد رسم الرب **سر الإفخارستيا** عشية موته ليستمر الصليب على مذبح العهد الجديد، وليتجدَّد حضور الذبيحة (الناطقة الروحانية، غير الدموية) في القداس: **"هذه الكأس هي العهد الجديد بدمي الذي يُسفك عنكم"** (لو ٢٢: ٢٠، ١كو ١١: ٢٥). فغاية القداس أن يستمر الصليب والقيامة ليمكن لنا أن نتحد بذبيحة الجلجثة ونخلص إلى التمام: **"مقدسة ومملوءة مجداً هذه الذبيحة التي ذُبحت عن حياة العالم كله. آمين الليلويا"** (قسمة أعياد الملائكة والقديسين)؛ وتقول قسمة **سبت الفرح: "أتيتَ يا سيدنا وأنقذتنا بمعرفة صليبك الحقيقية، وأنعمت لنا بشجرة الحياة التي هي جسدك الإلهي ودمك الحقيقي"**.

▪ثانياً: المسيح رئيس كهنة عظيم بمؤهِّلاته ومهامه الفريدة:

(١) يخلص ويشفع[٨] إلى التمام:

فهو يُخلِّص هنا على الأرض واهباً الحياة الجديدة في النور وغلبة الخطية، ويُتمم الخلاص بالحياة الأبدية وتمجيد قديسيه في مجيئه الثاني في نهاية الدهور للخلاص الأخير والدينونة:

"وإذ كُمِّل صار لجميع الذين يُطيعونه، **سبب خلاص أبدي"** (عب ٥: ٩)؛

"وأما هذا فمِن أجل أنه **يبقى إلى الأبد**، له **كهنوت لا يزول**. فمِن ثَمَّ يقدر

(٨) الكلمة اليونانية "ابرسفيتيروس"، أي "الشيخ – القس"، تعني ضمن ما تعني: "الشفيع" أو "الوسيط".

أن يُخلِّص أيضاً إلى التمام الذين يتقدَّمون به إلى الله، **إذ هو حيٌّ في كل حين ليشفع فيهم**" (عب ٧: ٢٤و٢٥)؛

"وهو حَمَلَ خطية كثيرين، **وشفع في المذنبين**" (إش ٥٣: ١٢)؛

"وإن أخطأ أحدٌ فلنا شفيعٌ عند الآب، يسوع المسيح البار، وهو كفَّارة لخطايانا، ليس لخطايانا فقط، بل لخطايا كل العالم أيضاً" (١يو ٢: ١و٢)؛

"وكما وُضِعَ للناس أن يموتوا مرة ثم بعد ذلك الدينونة؛ **هكذا المسيح أيضاً**، بعدما قُدِّم مرة لكي يحمل خطايا كثيرين (المجيء الأول)، **سيظهر ثانيةً** (المجيء الثاني) **بلا خطية للخلاص** (الأخير) **للذين ينتظرونه**" (عب ٩: ٢٧و٢٨)؛

"متى أُظهِرَ المسيحُ حياتُنا، فحينئذٍ تُظهَرون أنتم أيضاً معه في المجد" (كو ٣: ٤).

وشفاعة المسيح الكفَّارية الفريدة الدائمة هي أساس شفاعة القديسين التوسلية، وهذه تستمد وجودها وجدواها من شفاعة المسيح الكاملة الوحيدة. فكما أن المسيح قد دُعِيَ "**ملك الملوك ورب الأرباب**" (١تي ٦: ١٥، رؤ ١٧: ١٤؛ ١٩: ١٦)، فهو أيضاً بنفس القياس "**شفيع الشفعاء**"[٩].

(٢) مُرسِل الروح القدس:

فالمسيح، حسب وعده وبعد صعوده وجلوسه عن يمين الآب (يو ١٦: ٧)، أرسل الروح القدس الذي يلد المؤمنين الجُدُد بالمعمودية (يو ١: ٣٣)، ويُقدِّس سائر الأسرار، وهو يُقدِّسنا ويسندنا ويعزينا ويبكِّتنا مستثيراً توبتنا، ويُذكِّرنا بكل وصايا الكتاب، ويهبنا القوة للحياة الجديدة، ومغالبة الآلام، والتطلُّع إلى الأبدية، والشهادة للعالم بحياة المسيح فينا، ويمكث فينا إلى الأبد (يو ١٤: ١٦). وهذه هي "**الخيرات العتيدة**"

(٩) راجع مقال: "**يسوع المسيح الشفيع الكامل**" في **الكتاب الثاني** من "**نور الحياة**"، (ص١٢٨).

(أو الآتية to come، أي التي للدهر الآتي) (مت ٧: ٧و١١، لو ١١: ١٣) التي يشير كاتب الرسالة إلى العبرانيين أن المسيح جاء **رئيس كهنة** لها (عب٩: ١١)[١٠]، والتي نالها منذ الآن في اسم **يسوع رئيس الكهنة العظيم** وشفيعنا الحي أمام الآب وإلى آخر الدهور.

(٣) بلا خطية ولا ضعف مكمّلا إلى الأبد:

فالرب تمَّم كل بر (مت ٣: ١٥) وتحدَّى أعداءه أن يمسكوا عليه زلة ما قائلاً: **"مَن منكم يُبكّتني على خطية"** (يو ٨: ٤٦)، وإشعياء تنبأ عن نقاوته وبره: **"على أنه لم يعمل ظلماً، ولم يوجد في فمه غش"** (إش ٥٣: ٩). وذكر عنه **سفر العبرانيين:**

"لأنه كان يليق بنا رئيس كهنة مثل هذا، **قدوسٌ بلا شر ولا دنس، قد انفصل عن الخطاة** وصار أعلى من السموات (بالصعود وجلوسه عن يمين الآب)، الذي ليس له اضطرار كل يوم مثل رؤساء الكهنة (اليهود) **أن يُقدِّم ذبائح أولاً عن خطايا نفسه ثم عن خطايا الشعب، لأنه فعل هذا مرة واحدة،** إذ قدَّم نفسه (على الصليب). فإن الناموس يُقيم أُناساً بهم ضعف رؤساء كهنة، أما **كلمة القَسَم التي بعد الناموس** (العهد الجديد) فتُقيم ابناً **مُكمَّلاً إلى الأبد"** (عب ٧: ٢٦-٢٨).

فالمسيح اشترك معنا في الآلام وليس في الخطية. وعلى العكس، فالخطية والضعف تحيطان برئيس كهنة الناموس:

"أن كل رئيس كهنة مأخوذ من الناس يُقام لأجل الناس في ما لله، لكي يُقدِّم قرابين وذبائح عن الخطايا، قادراً أن يترفَّق بالجُهَّال والضالين، **إذ هو أيضاً مُحاط بالضعف. ولهذا الضعف يلتزم أنه كما يُقدِّم عن الخطايا لأجل الشعب هكذا أيضاً لأجل نفسه"**(عب ٥: ١-٣).

---

(١٠) والتي تذكرها الكنيسة في قسمة سبت الفرح التي تُخاطب الابن: "أنت هو ملك الدهور غير المائت الأبدي كلمة الله الذي على الكل، راعي الخراف الناطقة، **رئيس كهنة الخيرات العتيدة،** الذي صعد إلى السموات... ودخل داخل الحجاب موضع قدس الأقداس".

(٤) **إذ قد تألم قادر أن يرثي للضعف:**

"لأنه ليس لنا رئيس كهنة غير قادر أن يرثي لضعفاتنا، بل مجرَّب في كل شيء مثلنا بلا خطية" (عب ٤: ١٥)؛

"لأنه فيما هو قد تألَّم مُجرَّباً يقدر أن يُعين المجرَّبين" (عب ٢: ١٨).

هذه في الحقيقة كانت أيضاً مهمة الكاهن اللاوي، ولكنه لم يكن قادراً أن يفعل شيئاً أكثر من رفع الطلبات بسبب خضوعه هو أيضاً للضعف.

ثالثاً: موقفنا من الرب كرئيس كهنة أبدي:

(١) **أن نتهيأ دوما للدخول إليه في الأقداس:**

نحن الآن أمام النتيجة التالية التي يقترب بها سفر العبرانيين من ختام الكلام عن كهنوت المسيح: **"بعدما قدَّم عن الخطايا ذبيحة واحدة، جلس إلى الأبد عن يمين الله... لأنه بقربان واحد قد أكمل إلى الأبد المقدَّسين"** (عب ١٠: ١٢و١٤). فإذ لنا ثقة بالدخول إلى الأقداس (ملكوت السموات) بدم يسوع، وقد مهَّد لنا بجسده طريقاً حيًّا، **ويبقى لنا** (وليس علينا) **كاهناً عظيماً على بيت الله، "لنتقدَّم بقلب صادق** (بغير رياء) **في يقين الإيمان** (بغير شك) **مرشوشة قلوبنا** (تطهَّرت بالدم) **من ضمير شرير**[١١] (بالتوبة) **ومغتسلة أجسادنا بماء نقي** (تقدَّست بالروح في المعمودية = غسل الميلاد الثاني وتطهير الروح القدس - تي ٣: ٥)... **ولنلاحظ بعضنا بعضاً للتحريض** (للحثّ) **على المحبة والأعمال الحسنة، غير تاركين اجتماعنا كما لقوم عادة** (رافضين إهمال العبادة والتديُّن الشكلي)، **بل واعظين بعضنا بعضاً"** (عب ١٠: ١٩-٢٥).

فالمسيح هو لنا **رئيس الكهنة العظيم**، الذي لم يأتِ إلينا من باب السيادة - رغم أنه يبقى السيِّد - وإنما من باب الخدمة (مت ٢٠: ٢٨، لو ٢٢: ٢٧) والرعاية والبذل (يو ١٠: ١٤و١٥) حتى الموت لأجل

---

(١١) **"دم المسيح.. يُطهِّر ضمائركم من أعمال ميتة لتخدموا الله الحي"** (عب ٩: ١٤).

خلاصنا. وهو في الأقداس شفيعنا الدائم أمام الآب، وشريكنا في الضيقات. وإعلان إيماننا واعترافنا (إقرارنا) بهذه الحقيقة يقتضي أن نتمم خلاصنا بالسلوك بالقداسة وحياة التوبة، مواظبين على العبادة ومتمسكين بمحبة الإخوة وعمل الخير، وأن نعي مسئوليتنا عن وعظ أنفسنا وغيرنا، مستعدين لمجاوبة كل مَن يسألنا عن سر نجاتنا.

ودخولنا إلى الأقداس يعني أنه: وإن كنا على الأرض بالجسد، فأرواحنا وعقولنا وقلوبنا هي في السماء. وفي الكنيسة وقت القداس تذوب الحدود بين الأرض والسماء، فيقول الكاهن في قسمة الأعياد السيِّدية مشيراً إلى الجسد والدم: **"هوذا كائن معنا على هذه المائدة اليوم عمانوئيل إلهنا حَمَل الله الذي يحمل خطية العالم كله"**. وبالتالي فعندما يسأل الكاهنُ الشعبَ في القداس: **"أين هي قلوبكم؟"** يكون الرد الطبيعي: **"هي عند الرب"**، حيث يُشاركون الملائكة والقديسين تسبيحهم حول العرش السماوي.

(٢) أن نتمسك به رجاء وتعزية ومرساة للنفس:

إن وجود الرب **كرئيس كهنة** في السماء وفي الكنيسة هو رجاؤنا الأبدي وبه **"تكون لنا تعزية قوية، نحن الذين التجأنا لنُمسك بالرجاء الموضوع أمامنا، الذي هو لنا كمرساة للنفس مؤتمنة وثابتة تدخل إلى ما داخل الحجاب، حيث دخل يسوع كسابق لأجلنا صائراً على رتبة ملكي صادق رئيس كهنة إلى الأبد"** (عب ٦: ١٨-٢٠).

يُعزينا، إذاً، أن المسيح يبقى لنا رجاءنا الأبدي: **"لنتمسَّك بإقرار الرجاء راسخاً"** (عب ١٠: ٢٣). وكما أن مرساة السفينة هي التي تضمن ثباتها وتحفظها من أن تجرفها الأمواج بعد بلوغها الشاطئ لتظل ثابتة في الميناء، هكذا يسند المسيح النفس وسط أنواء الحياة ويُساند جهادها للترفُّع عن الاهتمامات الجسدية والإنزلاق إلى الحياة المادية، وصمودها وصبرها في التجارب، ويهبها أن تذوق الحياة الأبدية هنا على الأرض، والمسيح يتقدَّمنا

ويجذبنا لكي يكون لنا به نحن أيضاً شركة في ملكوته: "**فلنتقدَّم بثقة إلى عرش النعمة لكي ننال رحمة ونجد نعمة عوناً في حينه**" (عب ٤: ١٦).

(٣) أن ننتبه لئلا يخدعنا العدو:

يختم القديس بولس رسالته الفريدة عن المسيح **رئيس الكهنة العظيم** وذبيحته الفريدة، مناشداً ومُنذراً أي مؤمن عرف المسيح واختبر الحياة الجديدة، ألاَّ يتراجع وينكر الإيمان وإلاَّ سقط من النعمة ووقع تحت الدينونة إنْ بَقِيَ على خيانته لمخلصه: "... **فإنه إن أخطأنا باختيارنا بعدما أخذنا معرفة الحق** (أي أنكرنا الإيمان)، **لا تبقى بعد ذبيحة عن الخطايا** (لأن ذبيحة المسيح التي لن تتكرر قد أبطلت كل الذبائح)، **بل قبول دينونة مخيف، وغيرة نار عتيدة أن تأكل المضادين**". وإذا كان عقاب مَن يُخالف ناموس موسى أن يموت بدون رأفة، فماذا يكون عقاب "**مَن داس ابن الله، وحَسِبَ دم العهد الذي قُدِّس به دنساً، وازدرى بروح النعمة**". وكاتب سفر العبرانيين هنا يُحذِّر بعض جماعة العبرانيين المتنصِّرين الذين يراودهم فكر العودة إلى ناموسيتهم التي افتقدوها في حياتهم الجديدة وينذرهم بانتقام الرب الديان وبأنه "**مخيف هو الوقوع بين يدي الله الحي**" (عب ١٠: ٢٦-٣١)، "**لأن إلهنا نارٌ آكلة**" (عب ١٢: ٢٩) .

وهو يُذكِّرهم - كما يُذكِّرنا - بأنهم وقد احتملوا آلاماً وضيقات وتعييرات من أجل الإيمان، وأنهم تركوا أموالهم بفرح من أجل ملكوت السموات، **ألاَّ يطرحوا ثقتهم التي لها مجازاة عظيمة**، "**لأنكم تحتاجون إلى الصبر حتى إذا صنعتم مشيئة الله تنالون الموعد... لأنه بعد قليل جداً سيأتي الآتي ولا يُبطئ. أما البار فبالإيمان يحيا، وإن ارتدَّ لا تُسرُّ به نفسي. وأما نحن فلسنا من الارتداد للهلاك، بل من الإيمان لاقتناء النفس**" (عب ١٠: ٣٢-٣٩).

وهو يعرض لدور الإيمان في حياة قديسي العهد القديم الذين عاشوا وماتوا على رجاء مجيء رئيس الإيمان ومُكمِّله. ومن جديد يُطالب العبرانيين المتنصِّرين (كما نحن مُطالبون) **أن يُقاوموا الخطية حتى الدم**، وأن يقبلوا التأديب كبنين "**ملاحظين لئلا يخيب أحد من نعمة الله، لئلا يطلع أصل مرارة... لئلا يكون أحدٌ زانياً أو مستبيحاً كعيسو...**". وهو يُشجِّع كل الخطاة والمرتدِّين النادمين بأنهم لن يأتوا إلى جبل موسى (المضطرم بالنار والملفوف بالضباب والظلام والزوبعة والرعب والارتعاد)؛ وإنما "**إلى جبل صهيون وإلى مدينة الله الحي، أورشليم السماوية**"، حيث ربوات الملائكة والأبرار حول **رئيس الكهنة العظيم** "**وسيط العهد الجديد**" يسوع الذي يُعلن دمه نداء الخلاص بأفضل مما تكلَّم دم هابيل (عب ١٢: ٤، ١٥، ١٦، ١٨، ٢٢-٢٤).

❊ ❊ ❊

نعم، بعد قليل جداً **سيأتي الآتي ولا يُبطئ**.

والذين رافقوا رئيس الكهنة العظيم في طريق الجلجثة، واجتازوا معه محنة الصليب، واغتسلوا في دم الذبيحة، وتمتعوا بنصرة قيامته، واختبروا معونته وتعزياته في الآلام والضيقات، ونالوا غفرانه حين تعثَّروا وقاموا، وظلوا أمناء له رغم الحصار، حاملين عاره ومترجين تحقيق وعده بقرب مجيئه: "**ها أنا آتي سريعاً وأجرتي معي، لأُجازي كل واحد كما يكون عمله**" (رؤ ٢٢: ١٢)، **هؤلاء لهم المجد الأبدي**.

أما الذين وُلدوا في الإيمان، ثم باعوا أنفسهم للشيطان، فداسوا ابن الله واحتقروا ذبيحته واستكثروا ثمن تبعيته، وخانوه بقلب بارد خضوعاً للشهوة، وصاروا أصل مرارة لكل الكنيسة ورئيس كهنتها، فهؤلاء إذ "**يصلبون لأنفسهم ابن الله ثانية ويشهرّونه**" (عب ٦: ٦)، ليس لهم نصيب معه في مجده، فهُم بإرادتهم اختاروا دينونتهم الأبدية، ويا للحزن!

ولكن الكتاب يُحذِّر الجميع: "**إذاً مَن يظن أنه قائم، فلينظر أن لا يسقط**" (١كو ١٠: ١٢).

عن ألحان جمعة الصلبوت

■ عن نشأة التسبيح في الكنيسة:

تعوَّد المصري القديم وهو يُصلِّي في استغراقه أن يُلحن كلماته كأغان روحية، بل إنه استخدم في تسابيحه الدفوف والطبول والصنوج والآلات الوترية كالقيثارة والهَارْب والعُود وآلات النَّفْخ.

ولما اتصل العبرانيون بالمصريين عرفوا عنهم هذه الأدوات الموسيقية واستخدموها في التسبيح وهم في مصر (خر ١٥: ٢،١)، وفيما بعد في خيمة الاجتماع ثم في الهيكل.

وقد برز اسم المُرتِّل **داود** (٢صم ٢٣: ١) ورفاقه كُتَّاب "**المزامير**"، التي ظلَّت قاعدة التسبيح في الكنيسة المسيحية منذ أيامها الأولى (أف ٥: ١٩؛ كو ٣: ١٦)[١] وحتى اليوم[٢] وغدٍ. ويُسجِّل الكتاب أنَّ الرب ليلة آلامه سبَّح

---

(١) سبَّحت الكنيسة في القرون الأولى أيضاً باستخدام نصوص سجَّلتها الأناجيل كتسبحة البشارة (لو ١: ٣٠،١٨-٣٣)، وتسبحة العذراء (لو ١: ٦٨-٧٩)، وتسبحة الملائكة (لو ٢: ١٤)، وتسبحة سمعان الشيخ (لو ٢: ٢٩-٣٤)، أو تضمَّنتها رسائل القديس بولس (أف ٥: ١٤؛ ١تي ٣: ١٦؛ ٦: ١٥؛ ٢تي ٢: ١١-١٣).

(٢) أشار كليمندس الإسكندري إلى استخدام المزمور ١٥٠ في الصلوات الليتورجية، ولا يزال يُستخدم إلى اليوم في التوزيع في ختام القدَّاس.

مع تلاميذه (مت ٢٦: ٣؛ مر ١٤: ٢٦)[٣].

والقدَّاس الإلهي في كنيستنا بكل ما يحويه من صلوات الكاهن والشعب، وحتى الإنجيل، يُتلى مُلحَّناً بموسيقى تستمد جذورها أساساً من ألحان المصريين القُدامى[٤]. وتُخصَّص للمناسبات المختلفة النصوص التي تُناسبها: كالأعياد السيِّدية والأصوام خاصة **الصوم الكبير وأسبوع الآلام**. وهذه النصوص ليست مجرد كلمات جيدة منظومة للصلاة، وإنما هي تحوي في أكثر الأحيان جوهر العقيدة كالثالوث القدوس والتجسُّد والخلاص والصليب والقيامة والكرازة والشفاعة. فبينما نحن نُسبِّح نحن نتعلَّم، وبيننا الأطفال والبسطاء وغير المتعلِّمين يلتقطون أُسس الإيمان وهم يترنَّمون.

■ عن ألحان جمعة الصلبوت :

اجتمع **لأسبوع الآلام** الترتيب المُتقَن من ناحية القراءات الكتابية المُواكبة لأحداث أيام الصليب ساعةً بساعة، وما يُقابلها من نبوَّات العهد القديم وأحداثه، والألحان الفريدة المُرافقة لنصوص الصلوات والتي لا يتكرَّر أكثرها في غير هذا الأسبوع الذي هو تاج أيام السنة.

وإذا كان القصد هنا الحديث عن ألحان **جمعة الصلبوت**، فإنَّ هناك ألحاناً تُقال في كل أيام أسبوع الآلام وضمنها بالطبع هذا اليوم:

+ فكل ساعة من ساعات اليوم النهارية الخمس أو الليلية الخمس تبدأ بابتهال الشعب كله يُشاركون ملائكة السماء تسبيحهم (رؤ ٥: ١٢،١٣؛ ٧: ١٢) يُمجِّدون معهم الله الذي قَبلَ الصليب، لا عن اضطرار، بل بإصرار على تحقيق وعده بالخلاص. فرغم أنه "**أخلى نفسه آخذاً صورة عبد**" (في ٢: ٧)، واتَّجه إلى غاية مجيئه طائعاً "**كشاة تُساق إلى الذبح، وكنعجة صامتة أمام جازِّيها فلم يفتح فاه**" (إش ٥٣: ٧)، واحتمل أن

(٣) أغلب الظن أنه مزمور ١٣٦.

(٤) وبعضها القليل انتقل إلينا من التراث الكنسي اليوناني (الرومي).

يُلطم ويُتفل عليه ويتعرَّى ويُضرب بالسياط ويُهان من الكبير والصغير؛ ولكنه يظل **"ملك الملوك ورب الأرباب"** (١تي ٦: ١٥؛ رؤ ١٧: ١٤؛ ١٩: ١٦) الذي بموته داس الموت وقام منتصراً في اليوم الثالث.

ومع الملائكة يهتف الشعب قائلاً اثنتي عشرة مرة (بالقبطية "**Θωκ ⲧⲉ ⲧⲭⲟⲓⲥ**" وبالعربية). وفي كل مرة تُقال الفقرات الثلاث التالية اعترافاً بأنَّ للرب القوة والمجد والبركة والعزة إلى الأبد: **"لك القوة والمجد والبركة والعزة إلى الأبد آمين، يا عمانوئيل إلهنا وملكنا"**؛ **"لك القوة... ياربي يسوع المسيح"** (وبدءاً من الساعة الحادية عشرة من يوم الثلاثاء يُضاف **"مخلِّصي الصالح"**، ومن ليلة الجمعة يُضاف أيضاً **"قوتي وتسبحتي هو الرب وصار لي خلاصاً مُقدَّساً"**– (مز ١١٨: ١٤)؛ **"لك القوة... إلى الأبد آمين"**.

+ يسبق قراءة إنجيل الساعة مزمور مختار يتعلَّق به. واللحن التقليدي للمزمور في أسبوع الآلام هو **"اللحن الأدريبي"**[٥]. ويُقسَّم المزمور إلى أربع فقرات، ويتفق لحن الفقرات الأولى والثانية والرابعة ويختلف عنهم لحن الفقرة الثالثة الذي يُطلق عليه **"المحيَّر"** بسبب هذا الاختلاف. ولكن هناك لحن آخر للمزمور هو **"اللحن الملوكي"** أو **"اللحن الشامي الكبير"** ونغماته ممتدَّة ومتنوعة ويختلط فيها الشجن بالابتهاج، وهو أمرٌ طبيعي. فرغم أنَّ الصليب قد اقترن بالفعل بالآلام والأحزان؛ ولكن، لأنه صار علامة الخلاص والنجاة من الموت ونوال الحياة الأبدية، فهو أيضاً صانع الفرح والبهجة. وباللحن الشامي يُقال مزمور الساعة الحادية عشرة من يوم الثلاثاء (ويتكرَّر في الساعة الثانية عشرة من يوم الجمعة)؛ ومزمور الساعة

---

(٥) **اللحن الأدريبي** (أو الأتريبي) – الذي تُلحَّن به أيضاً مقدمة فصل الإنجيل **"Ⲕⲉ ⲛ̀ⲡⲉⲣⲧⲟⲩ"** التي تدعو للإنصات للإنجيل المقدس – يُنسب على الأرجح إلى بلدة **أتريب** الأثرية التي كانت بالقرب من الديرين الأحمر والأبيض في أخميم (محافظة سوهاج)؛ أو إلى أدريه التي اشتهرت بمعبدها الوثني الذي حوَّله **القديس الأنبا شنودة** رئيس المتوحدين إلى كنيسة، وهي غير **أتريب** في الوجه البحري (ومكانها الآن مدينة بنها).

الثالثة من ليلة خميس العهد (الذي يتكرَّر أيضاً سَحَر هذا اليوم) (٦).

+ بعد قراءة الطرح – أي تفسير الإنجيل – يقول الشعب مُقرّاً بعمل الرب الخلاصي: "**المسيح مُخلِّصنا، جاء وتألَّم لكي بآلامه يُخلِّصنا، فلنُمجِّده ونرفع اسمه لأنه صنع معنا رحمةً كعظيم رحمته**".

+ وفي ختام كل ساعة يهتف الشعب سائلاً الملك المسيح (بالقبطية Ⲡⲟⲩⲣⲟ ⲛ̀ⲧⲉ ⲧⲉⲥ ⲏⲓⲣⲏⲛⲏ وبالعربية: "**يا ملك السلام، أَعْطنا سلامك، قرِّر لنا سلامك، واغفر لنا خطايانا؛ فرِّق أعداء الكنيسة وحصِّنها، فلا تتزعزع إلى الأبد؛ عمانوئيل إلهنا في وسطنا الآن، بمجد أبيه والروح القدس؛ ليُباركنا كلنا، ويُطهِّر قلوبنا، ويشفي أمراض نفوسنا وأجسادنا؛ نسجد لك أيها المسيح مع أبيك الصالح والروح القدس لأنك صُلبتَ وخلَّصتنا**".

+ ولكن **لجمعة الصلبوت** – باعتبار أنها اليوم الذي احتضن ذروة العمل الخلاصي – ألحانه التي لا تتكرَّر في غيره إلاَّ استثناء:

+ ففي بدء صلوات **الساعة السادسة** يُقال لحن Ⲫⲁⲓ ⲫⲟⲩⲣⲙ̀ⲙⲟⲩⲣ ⲙ̀ⲙⲟⲩⲣ أي "**هذه المجمرة الذهب النقي الحاملة العنبر، التي في يدي هارون الكاهن، يرفع بخوراً على المذبح**"، وهو يتفق في معظمه مع نفس اللحن الذي يُقال في القدَّاس، إلاَّ أن له مُقدِّمة هادئة شجية جداً. ويقابله في الساعة التاسعة لحن Ⲧⲫⲟⲩⲣⲙ̀ⲙⲟⲩⲣ ⲙ̀ⲙⲟⲩⲣ أي "**المجمرة الذهب هي العذراء، وعنبرها هو مخلِّصنا، ولدته وخلَّصنا وغفر لنا خطايانا**". وفي المرتين أثناء اللحن، يُبخِّر الكهنة أمام أيقونة الصلبوت، تجسيداً للَّحن الذي يُختم

---

(٦) نص المزمور، وبدايته بالقبطية Ⲁⲧⲃⲱⲛⲟⲛ، هو "**ألين من الزيت كلماته وهي سيوف مسلولة**" (مز ٥٥: ٢١) حسب الترجمة البيروتية، ويُقابله في القطمارس القبطي: "**كلامه ألين من الدُّهن وهو نصال**" (مز ٥٤: ١٨) الذي يُشير إلى خيانة يهوذا ذي المشاعر الخادعة، بلسان زلق يُظهر المودة ونفس حاقدة وقلب مُتقسٍّ يُدبِّر في الخفاء كيف يُسلِّم سيده، وقد سلَّمه بالفعل وهو يُقبِّله!

بتمجيد المخلِّص: "**نسجد لك أيها المسيح...**".

+ ويليه لحن "ⲫⲁⲓ ⲉⲧⲁⲕⲉⲛϥ ⲉⲡⲱⲟⲩ" أي "**هذا الذي أصعد ذاته ذبيحة مقبولة على الصليب عن خلاص جنسنا، فاشْتمَّه أبوه الصالح وقت المساء على الجلجثة**"(٧). ويُختم أيضاً بالسجود للمخلِّص.

+ وقبل قراءة نص **البولس** (غل ٦: ١٤-١٨) تُلحَّن مقدمته بلحن يغلب عليه الحزن ⲏ ⲉⲡⲓⲥⲧⲟⲗⲏ أي "**رسالة مُعلِّمنا بولس**". ثم تُقال قطَع أجبية الساعة السادسة [وفي **الساعة التاسعة** - ساعة موت الرب - يسبق قراءة البولس (في ٢: ٥-١١) لحن مقدِّمته ⲥⲟⲃⲉ ⲧⲁⲛⲁⲥⲧⲁⲥⲓⲥ كصلاة من أجل كل الراقدين في المسيح: "**من أجل قيامة الأموات الذين رقدوا في إيمان المسيح، يا رب نيِّح نفوسهم أجمعين. بولس عبد ربنا يسوع المسيح**" ويليه قطَع أجبية الساعة التاسعة.

+ وتتميَّز **الساعة السادسة** - ساعة الصليب - ببعض أعظم الألحان، وأولها، بعدما سبق من صلوات وألحان، وهو اللحن (اليوناني) ⲟ ⲙⲟⲛⲟⲅⲉⲛⲏⲥ(٨)، هو لحن يجمع بين البطء مع الشجن في بداية كل فقرة والسرعة مع البهجة في تتمتها. وهو يُخاطب الابن المصلوب بكل الإجلال، فيقول:

" **أيها الابنُ الوحيد وكلمة الله الذي لا يموت؛ وأنت الأزليُّ قَبلتَ من أجل خلاصنا أن تتجسَّد من القديسة والدة الإله "الدائمة البتولية مريم"** (تُقال مرتين)؛ **فبغير استحالة تأنَّستَ وصُلبتَ أيها المسيح الإله؛ وبالموت دُستَ الموت، أنت أحد الثالوث القدوس، المُمجَّد مع الآب والروح القدس، خلِّصنا**".

"**قدوس الله الذي من أجلنا صرتَ إنساناً بغير استحالةٍ وأنت الإله؛**

---

(٧) يُقال هذا اللحن أيضاً في عِيدَي الصليب، وهو موقع لائق أيضاً لهذا اللحن.

(٨) ويُقال أيضاً في تكريس الميرون والبطاركة والأساقفة باعتبار أنَّ المسيح هو رئيس الكهنة العظيم والحقيقي.

قدوس القوي الذي أظهرتَ بالضعف ما هو أعظم من القوة؛ قدوس الذي لا يموت يا مَن صُلبتَ من أجلنا، وصبرتَ على موت الصليب، وقَبلْتَه في جسدك. وأنت أزليٌّ غيرُ مائت، أيها الثالوث القدوس، ارحمنا".

+ وبعد قراءة المزمور والأناجيل، تُقال "**أمانة اللص**"، حيث تستعيد الكنيسة مشهد توبة اللص في ساعته الأخيرة وقبول المخلِّص المصلوب لتوبته والدخول به إلى الفردوس. وفيها يُردِّد المُصلُّون خاشعين تائبين كلمات اللص بثلاث لغات: القبطية، واليونانية، والعربية "**اذكُرني يا رب**" (يا ربي)- **يا سيِّد** (يا سيِّدي أو يا ملكي)- **يا قدوس - متى جئتَ في ملكوتك**".

+ وتبدأ صلاة **الساعة الثانية عشرة** (ساعة الدفن) بقراءة فصل من **مراثي إرميا** (٣: ١-٢٢)، والذي يبدأ بـ "**أنا هو الرجل الذي رأى المذلَّة**"...، والذي يعرض بروح النبوَّة ما جاز فيه الرب من آلام ومعاناة يوم صليبه حتى فاضت روحه. والفصل يُقرأ بالعربية بلحن الحزن[٩] بصورة مؤثِّرة واحتفال جمعة الصلبوت يقترب من نهايته.

+ ومزمور هذه الساعة (مز ٤٥: ٨،٦؛ عب ١: ٨)**Πεκὸρονος كرسيك يا الله إلى دهر الدهور. قضيب الاستقامة هو قضيب مُلكك... كل ثيابك مُر وعُود وسليخة"** [١٠] (المُر والميعة والسليخة من ثيابك) يُرتَّل باللحن الشامي[١١]. وهو من جانب يُخاطب الرب- وهو في القبر - أنَّ موته هو بالجسد، ولكنه يبقى الله الحي الذي يجلس على عرشه إلى

---

(٩) تميَّز المتنيِّح **القمص أنطونيوس أمين** (كاهن كنيسة مار مرقس بمصر الجديدة) بطريقته الفريدة في قراءة فصل مراثي إرميا في ختام يوم جمعة الصلبوت.

(١٠) الذي يتكرَّر - كما ذكرنا - في الساعة الحادية عشرة من يوم الثلاثاء، حيث بدأت وقتها مشاورات المؤامرة للتخلُّص من شخص الرب.

(١١) يُنسب هذا اللحن إلى قرية "شامة"، وهي قرية بالقرب من جبل شامة وبالقبطية **Ϫⲙⲉ** في المنطقة الواقعة بين جبل بنهدب ومدينة قفط (قوص الحالية).

الأبد؛ ومن جانب يُشير إلى الحُنوط التي تملأ أكفانه. فالمزمور مناسب تماماً للساعة الأخيرة من جمعة الصلبوت.

+ وبعد أن يُختَم احتفال اليوم **بالميطانيات** في اتجاهات الكنيسة الأربعة، حيث يسأل العابدون الرحمة من إلههم المُحب الذي بذل ذاته عنهم؛ يأتي اللحن الختامي Ⲑⲟⲛⲟⲩⲁ الذي يبدو كالسلام الملكي وتغلب عليه نغمات الفرح بتمام الخلاص، كما أنه يستعيد أحداث الصليب وموت الرب ودفنه في قبر جديد منحوت في الصخر، قدَّمه **يوسف الرامي** لسيِّده المحبوب، وشاركه **نيقوديموس** في دَفْن الرب (مت ٢٧: ٥٧-٦٠؛ لو ٢٣: ٥٠-٥٣؛ يو ١٩: ٣٨-٤٢) مُسبِّحين ومُمجِّدين، ويُخاطب به المؤمنون شخص الرب:

"**الجلجلة بالعبرانية، الاقرانيون** craniun **باليونانية، الموضع الذي صلبوك فيه يا رب. بسطوا يديك وصلبوا معك لصَّيْن عن يمينك وعن يسارك وأنت كائن** (مُعلَّق) **في وسطهما أيها المخلِّص الصالح. المجد للآب والابن والروح القدس.**

فصرخ اللص اليمين قائلاً: اذكرني يا ربي، اذكرني يا مخلِّصي، اذكرني يا ملكي، متى جئتَ في ملكوتك. الآن وكل أوان وإلى دهر الداهرين آمين.

جاء الصِّدِّيقان يوسف ونيقوديموس وأخذا جسد المسيح وجعلا عليه طيباً، وكفَّناه ووضعاه في قبر؛ إذ يُسبِّحانه قائلين: قدوس الله، قدوس القوي، قدوس الذي لا يموت الذي صُلبَ عنا، ارحمنا.

ونحن أيضاً فلنسجد له، صارخين قائلين: ارحمنا يا الله مخلِّصنا. الذي صُلبَ على الصليب، اسْحق الشيطان تحت أقدامنا".

ويُستكمل بتسبحة ختام الاجتماعات.

❁ ❁ ❁

ونحن نتضرَّع إلى إلهنا الذي صُلبَ وخلَّصنا، أن يهب كل النفوس التقية التي تنتظر بالشوق أسبوع الآلام، وخاصة يوم جمعة الصلبوت، أن تحرص خلاله على الصلاة والترتيل **"بالروح وبالذهن أيضاً"** (١كو ١٤: ١٥)، متابعة كلمات القراءات بكل تركيز وتأمُّل وفهم، وألاَّ تكتفي بنشوة الأُذُن بالألحان، ولكن لتُتابع كلمات النصوص الحافلة بكل ما يُعلِّم ويبني ويُعزِّي، وبهذا نستثمر ساعات حياتنا القليلة ونفتديها، لأنَّ "الأيام شريرة" (أف ٥: ١٦).

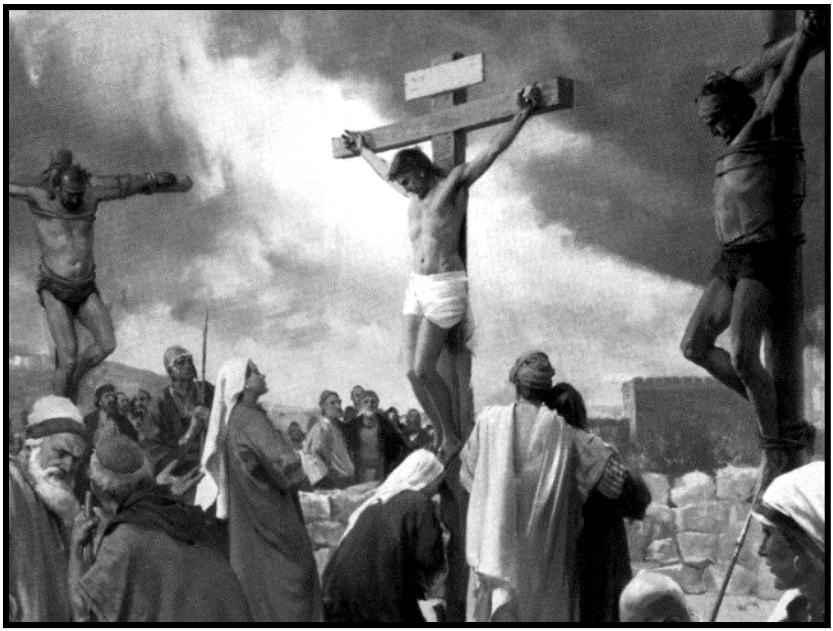

"اذكرني يا رب متى جئت في ملكوتك. فقال له يسوع الحق أقول لك أنك تكون اليوم معي في الفردوس" (لو٢٣: ٤٢، ٤٣)

سبت الفرح أو النور(*)

في يوم السبت التالي لجمعة الصلبوت الداميـــة، كـــان المسيح راقداً في القبر لليوم الثاني جثة هامدة مثخنة بالجراح، ولكن لم يفارقها اللاهوت الذي حفظهـــا مـــن الفـــساد (مز١٦: ١٠، أع٢: ٢٧). ورغم الموت الجاثم على الرب، فما يستثير الفرح هو الإيمان بقول الرب أنه يقوم في اليـــوم الثالث وهو الذي ذكره كثيراً مقترناً بصلبه وموته. فمن يأتي إلى القبر في هذا اليوم لا يرى الموت وإنما القيامة التي توشك أن تنبلج، فليس هنا جسد يسود عليه الموت، وإنما هو جسد ينتظر القيامة الآتية حتماً، ومن هنا اقترانه بالفرح.

(*) القراءات:**القداس**: ١كو١٥: ١-٢٢، ١بط١: ١-٩، أع٣: ١٢-٢١، مز٣: ٥، ٣، ٨٢: ٨، مت٢٨: ١-٢٠.

■ عن قسمة سبت الفرح:

وتعبّر **قسمة سبت الفرح** عن هذه المعاني، فتذكر آلامه وصلبه وما جاء في نبوات الأنبياء "**أنت الذي إشعياء النبي تنبأ من أجلك قائلاً مثل خروف سيق إلى الذبح، ومثل حمل بلا صوت أمام الذي يجزه، هكذا لا يفتح فاه. رُفع حكمه في تواضعه وجيله من يقدر أن يقُصَّه . جُرحت لأجل خطايانا وتوجعت لأجل آثامنا تأديب سلامنا عليك وبجراحاتك شُفينا. كلنا كغنم ضللنا** (إش٥٣: ٦). **أتيت يا سيدنا وأنقذتنا بمعرفة صليبك الحقيقية، وأنعمت لنا بشجرة الحياة التي هي جسدك الإلهي ودمك الحقيقي**". ثم تشير إلى نزوله (نفسه المتحدة بلاهوته) إلى الجحيم (أف٤: ٩)، ثم تخاطبه كمنتصر على الموت "**أنت هو ملك الدهور الغير المائت الأبدي، كلمة الله الذي على الكل**" وتشير إليه **كرئيس كهنة على رتبة ملكي صادق**[1] دخل بذبيحة جسده إلى الأقداس فوجد فداءً أبدياً (عب٩: ١٢)، بل تراه بعد صعوده وعودته إلى مجده "**ودخل داخل الحجاب موضع قدس الأقداس، الموضع الذي لا يدخله ذو طبيعة بشرية. وصار سابقاً عنا صائراً رئيس كهنة إلى الأبد على رتبة ملكي صادق**".

والكنيسة تصلي قداس سبت الفرح فجراً في ختام أسبوع الآلام (البصخة- الفصح) حيث تبعت الكنيسة في قراءاتها خطوات المسيح الأخيرة نحو الصليب، وترتل له في كل ساعة "**لك القوة والمجد والبركة والعزة (والتسبيح) إلى الأبد. يا عمانوئيل إلهنا وملكنا.. يا ربي يسوع المسيح مخلصي الصالح... قوتي وتسبحتي هو الرب وصار لي خلاصاً مقدساً**". وهو الجالس منذ صعوده على عرشه إلى يمين أبيه الصالح. وفي

(١) انظر مقال "**يسوع المسيح رئيس الكهنة العظيم والذبيحة الكاملة**" (ص ٧٠) في هذا الكتاب.

أعقاب احتفال الكنيسة **بالجمعة العظيمة** وهي تناجي المصلوب، ويطلب المؤمنون غفران خطاياهم وهم ساجدون بميطانياتهم الكثيرة في الجهات الأربع، يمجدون المصلوب المنتصر ومصلين من أجل خلاصهم ومن أجل العالم وخلاصه، يقضون الليل ساهرين متطلعين إلى مجيء الرب الثاني، حيث تتقاسم نغمات الحزن ونغمات الفرح عند قراءة المزمور والإنجيل لصلوات باكر والثالثة والسادسة والقداس، فضلاً عن التمهيد بعدد من الألحان الشهيرة التي تمتلأ بالبهجة مثل **أنوك بي بيكوجي: أنا الصغير في إخوتي** (على لسان داود الراعي المنتصر على جليات رمزاً لانتصار المسيح على الموت) الذي تبدأ به صلوات سبت الفرح، ولحن **خين أو شوت** (عن عبور موسى وشعبه البحر الأحمر رمزاً لعبور المسيح الموت إلى القيامة)، **وهوس إيروف: سبحوه وزيدوه علواً إلى الآباد، وتي نين أوثين** (لحن الثلاثة فتية).

بعدها يقرأون **سفر الرؤيا** Apocalypsis (أو **أبوغلمسيس**) للمرة الأولى والأخيرة في السنة القبطية. وبعد الانتهاء من القراءات والتسابيح والألحان المصاحبة لليلة **"الرؤيا"**، يأتي **قداس سبت الفرح** ختاماً بهيجاً لهذا الأسبوع الجليل الذي يجتذب إليه الجميع، وتمهيداً مناسباً للاحتفال بعيد القيامة فجر يوم الأحد.

❋ ❋ ❋

يُعرف **سبت الفرح** أيضاً بأنه **سبت النور**، وهو النور الذي ينبثق منذ القرون الأولى ظهر يوم سبت النور من قبر السيد المسيح في كنيسة القيامة بالقدس. وفي هذا اليوم، قبل ساعة من بدء الاحتفال، يُغلق باب القبر ويُوضع عليه الشمع والعسل ويُختم رسمياً. ثم يدخل **بطريرك أورشليم للروم الأرثوذكس** متخففاً من ملابسه الكهنوتية الخارجية ومرتدياً ملابس الخدمة البيضاء، وبعد التأكد من أنه لا يحمل أي مصدر للضوء أو الحرارة،

يدخل إلى القبر المقدس وحده، ويصلي متضرعاً أن يُظهر الرب مجده. بعدها يبرق النور بلون أزرق وأبيض مع صوت صفير بحيث يضيء باقتي الشموع في يديه (والتي تتكون كل منها من ٣٣ شمعة بعدد سنوات عمر المسيح)، وينطلق إلى الخارج ليشعل باقات الشموع في أيدي المصلين، ويسبح في المكان كضوء دون أن يحرق لعدة دقائق، مصحوباً بالهتاف ودموع الفرح .

ويذكر التاريخ عدداً من الأحداث تتعلق بخروج النور من القبر المقدس، نذكر منها اثنين: **أولهما** أن **بطريرك الأرمن** (١١٨٧م) سعى عند **صلاح الدين الأيوبي** أن يدخل هو إلى القبر المقدس ليخرج النور على يديه. وأُبعد بطريرك الروم الذي وقف جانباً حزيناً. وخرج النور من القبر ولكنه اتجه بقوة ناحية بطريرك الروم حتى أنه شق العمود الذي كان مستنداً إليه ليمر إليه النور. وبالتالي عاد تقليد دخول بطريرك الروم وليس غيره إلى القبر المقدس في سبت النور.

والحدث الثاني كان بطله **إبراهيم باشا** ابن **محمد علي** مؤسس مصر الحديثة، بعد فتح بيت المقدس والشام سنة ١٨٣٢، الذي شكك في أمر النور وطلب من البطريرك القبطي **البابا بطرس السابع** أن يرافقه. فذهبا معاً إلى القدس، ويومها خرج النور بصورة ساطعة مما أذهل إبراهيم باشا، حتى أنه أحدث شقاً طويلاً في العمود عند مدخل باب الكنيسة ولا يزال قائماً حتى اليوم (انظر الصورة). بعدها صدق الوالي على الحدث[٢].

(٢) أرّخ كل من الجاحظ (٨٣٤م) والمسعودي (٩٢٦م) والبيروني (١٠٠٠م) إلى هذا الحدث المتكرر كل عام.

■عيـــد القيامـــة(*)

القيامة والخلاص

يأتي حدث **القيامة** بعد الأيام العصيبة السابقة التي جاز فيها الرب الأهوال من محاكمات ظالمة، وإهانات وشتائم وتعييرات وخيانات وآلام جسدية ونفسية بلغت قمتها عند الجلجثة، حيث رُفع السيد على صليب اللعنة والعار. ووسط اضطراب الطبيعة واحتجاب الشمس، ودموع وآهات الجماعة المُحبَّة القليلة التي بقيت معه حتى النهاية، كان الموت الذي معه ذوت آمال جماعته وهي ترى جسده يسجَّى في قبر وُضِع على بابه حجر عظيم.

(*) القراءات: **باكر**: مز٧٨: ٦٥، ٦٩، مر١٦: ٢-١١؛ **القداس**: ١كو١٥: ٢٣-٥٠، ١بـــط٣: ١٥-٤: ٦، أع٢: ٢٢-٣٦، مز١١٨: ٢٤، ٢٥، ٢٧، يو٢٠: ١-١٨.

يُستفاد أيضاً من مقال: **"القيامة والحياة الأبدية"** في **الكتاب الثاني** من **"نور الحياة"** (ص٩٧)، و**"القيامة وحياتنا العملية"** في **الكتاب السادس** (ص ٤٠).

اقرأ عن بداية الاحتفال بعيد القيامة تاريخياً وسبب الاختلاف في موعده بين الكنائس شرقاً وغربـــاً، وذلك في **الجزء الأول** من **"الأعياد الكنسية"** في الكتاب **الرابع عشر** من **"نور الحياة"** (ص ٤٣).

انتهت سريعاً سنوات ثلاث حافلة بالعمل والكرازة. بمشاهد المجد في الأردن وعلى جبل تابور. بكلمات الحياة وآيات القوة. بالجموع المتحلِّقة حول المعلِّم وتلاميذه. أيام عظيمة انفتحت فيها العيون والقلوب على ملكوت السموات والحياة الأبدية. كل ذلك مضى وطواه موت المخلِّص، وانتهى مطاف الجماعة إلى عليَّة صغيرة أغلقوها عليهم مع الخوف والحزن وفقدان الرجاء.

بعد هذا كله يأتي حدث **القيامة** بعد ثلاثة أيام من موت السيد. إنه شمس تنبلج في الظلام، وقوة جبارة تزيح ركام اليأس والخوف، وبركان فرح يكتسح أمامه كل جبال الحزن.

وكل شيء يتغيَّر.. الحياة والوجود.. المستقبل وكل الغايات. كلها لم تَعُدْ كما كانت. فقيامة الرب حدثٌ هائل مقابل حدث الصليب الهائل. إنهما يلتقيان ليصنعا معاً حجر الزاوية في الإيمان المسيحي. والقيامة هي التي حوَّلت هوان الصليب وضعفه إلى إعلان قوة الله ومجده (١كو ١:١٨)، ومن أداة للإعدام وعلامة للعنة والعار (غل ٣:١٣) إلى وسيلة الخلاص من الموت (١كو ١:١٨، غل ٢:٢٠، كو ١:٢٠؛ ٢:١٤)، وشرط التلمذة (مت ١٠:٣٨، مر ١٠:٢١، لو ٩:٢٣؛ ١٤:٢٧)، وموضع فخر المؤمنين (غل ٦:١٤)، وعلامة خاصة لابن الله يوم مجيئه للدينونة (مت ٢٤:٣٠).

ولقد أدرك آباؤنا بإلهام الروح القدس رفعة القيامة وجدواها ودورها في تحقيق الخلاص وموقعها في الإيمان المسيحي، حتى إن معلِّمنا بولس الرسول، لكي يكشف هذا الدور الذي للقيامة، استخدم المدخل العكسي، وهو: **ماذا يكون الحال لو لم يكن المسيح قد قام؟** وكانت النتائج المُفزعة هي:

(١) **بطلان الإيمان** (١كو ١٥:١٤و١٧)؛

(٢) **بطلان الخلاص** وهلاك الذين رقدوا في المسيح ("**أنتم بعد في خطاياكم**" -١كو ١٥:١٧و١٨)؛

(٣) **بطلان الكرازة** وكذب الكارزين وتحوُّلهم إلى شهود زور (١كو ١٥: ١٤و١٥)؛

(٤) **بطلان القيامة الأخيرة** وسيادة الموت إلى الأبد (١كو ١٥: ١٣و١٨)؛

(٥) **شقاء الذين ينحصر رجاؤهم في المسيح في هذه الحياة فقط** (١كو ١٥: ١٩)؛

(٦) **عدم جدوى الجهاد** والمخاطرة والاستشهاد من أجل مسيح افترسه الموت. إنه يكون عطاءً بلا طائل ولا هدف ويجافي العقل والمنطق. وإذا كان الموت هو، إذاً، نهاية المطاف فلنأكل ونشرب ونتمتع، فالنهاية المحتومة واحدة (١كو ١٥: ٣٠-٣٢).

فالصليب قرين القيامة، والقيامة قرينة الصليب ووجهه الآخر، والمسيح كان دائماً يقرِن حديثه عن الصليب والموت بالقيامة (مت ١٦: ٢١؛ ٢٠: ١٩؛ ٢٦: ٣٢، مر ٨: ٣١؛ ١٠: ٣٤؛ ١٤: ٢٨، لو ٩: ٢٢؛ ١٨: ٣٣). **والصليب** لا يقف وحده، ولكن **القيامة** تحقِّق كمال هدفه الخلاصي وتجعله وسيلة الحياة وأداة المصالحة بين السماء والأرض (**عاملاً الصلح بدم صليبه** -كو ١: ٢٠، أف ٢: ١٦)، والعلامة التي شقَّت التاريخ إلى ما قبل الخلاص وما بعده، والسلاح الذي جرَّد به المسيح الرياسات والسلاطين وأشهرهم جهاراً وظفر بهم فيه (كو ٢: ١٥).

■ القيامة والخلاص :

دور القيامة في الخلاص، إذاً، دور محوري، لا ينفصل عن عمل الصليب بل يلتحم به ويُظهِر مجده، وبدون القيامة لا يتجاوز الصليب في أحسن الأحوال أن يكون علامة تضحية عظيمة وموت نبيل (بل إنه في نظر آخرين عقوبة عادلة يستحقها مجدِّف وصانع شر ومثير للفتنة)، وينتهي دوره عند هذا الحد. على أحسن الفروض يمكن بغير القيامة أن ينضم المسيح إلى ألوف البشر والشهداء الذين ماتوا دفاعاً عن أوطانهم أو من

أجل غايات نبيلة أو الذين حاصرتهم قوى البغي والشر وسلبتهم حياتهم، كأحد وجوه ظلم البشر للبشر وقهرهم لاستغلال مواردهم أو لاستبقاء حياة الطغاة أو تنفيذاً لأحكام جائرة على مدى القرون.

إن **القيامة** هي التي تصنع الفرق وتكشف تفرُّد عمل **الصليب**. وها نحن نلقي بعض الضوء على عمل القيامة في **الخلاص**:

(**١**) إذا كان **الصليب** قد أظهر **ناسوت** الابن المتجسِّد، فإن **القيامة** أعلنت **لاهوته**. وفي اللاهوت المتَّحد بالناسوت (جسداً ونفساً)، نزل الابن إلى الجحيم كارزاً للأرواح التي في السجن (١بط ٣:١٩). **وفي اللاهوت المتَّحد بالناسوت فإن المخلِّص ليس إنساناً يموت، وإنما هو الإله المتجسِّد الذي بموته نقض أوجاع الموت وأبطل عزَّه، ومن ثَمَّ يتحقَّق الخلاص. إنه رئيس الكهنة العظيم القدوس البار، الذي دخلَ إلى الأقداس مرة واحدة بدم نفسه**، وليس بدم ثيران وتيوس كما كان يفعل رؤساء الكهنة اللاويون الذين كانوا يقدِّمون الذبيحة عن خطاياهم وجهالات الشعب، **فوجد فداءً أبدياً** (عب ٤:١٤؛ ٧:٢٦؛ ٨:١؛ ٩:٧و١١و١٢).

وقيامة الابن هي إعلان قبول الآب لذبيحة ابنه الفريدة، وبأن الدم المسفوك قد حقَّق غرضه "**وإذ كُمِّلَ صار لجميع الذين يطيعونه، سبب خلاص أبدي**" (عب ٥:٩)، وأن قيامة الإله المصلوب قد كفلت الفداء الأبدي (عب ٩:١٢)، والغلبة على الخطية والعالم ورئيسه إبليس.

(**٢**) وإذا كانت **القيامة** إعلاناً عن لاهوت الابن وقوته، فإن **قيامة المسيح** تختلف عن قيامات أخرى تمَّت في العهدَيْن القديم والجديد. فكل الذين قاموا قبل المسيح أو الذين أقامهم المسيح أو تلاميذه من بعده، لم يقيموا أنفسهم بل أقامهم آخرون، وعاشوا لبعض الوقت بعد قيامتهم ثم ماتوا ثانية ككل البشر "**عالمين أن المسيح بعدما أُقيم من الأموات لا يموت أيضاً. لا يسود عليه الموت بعد. لأن الموت الذي ماته قد ماته للخطية مرة واحدة**" (رو ٦:٩و١٠).

ولكن المسيح هو وحده الذي قام بقوة لاهوته وبدون معونة أحد، وحسب الموعد الذي حدده قبل أن يموت (مت ١٦:٢١؛ ٢٠:١٩، مر ٨:٣١؛ ١٠:٣٤، لو ٩:٢٢؛ ١٨:٣٣). وقام نشطاً بهياً كأنما لم يكن ميتاً في قبر ولثلاثة أيام "**لأنك لن تترك نفسي في الهاوية ولا تَدَع قدوسك يرى فساداً**" (أع ٢:٢٧)، بينما احتاجت **ابنة يايرس** عند قيامها أن يعطوها طعاماً لتتقوى (مر ٥:٤٣). وقام المسيح تاركاً الأكفان علامة الموت في موضعها لظلمة القبر (يو ٢٠:٦و٧)، وخرج منها دون أن يحلَّه أحد مثل ما حدث **للعازر** (يو ١١:٤٤). وقام المسيح والمجد والبهاء يحيطان به، والملائكة من حوله: فواحد يدحرج الحجر بعد قيامته، وملاكان في القبر الفارغ يبشِّران الآتين بقيامة السيد.

والحقيقة أنه لم يكن ممكناً أن يُمسَك المسيح من الموت، لأنه الإله البار القدوس الذي لم يوجد في فمه غش (إش ٥٣:٩). وهو وإن كان قد مات موتاً كفَّارياً بسبب خطايا الإنسان التي وُضعت عليه "**وُضِعَ عليه إثم جميعنا**" (إش ٥٣:٦)، "**لأنه جعل الذي لم يعرف خطية خطِيةً لأجلنا لنصير نحن بر الله فيه**" (٢كو ٥:٢١)، "**الذي أُسلم من أجل خطايانا، وأُقيم لأجل تبريرنا**" (رو ٤:٢٥)، **فمحا الصكَّ الذي علينا وسمَّره بالصليب** (كو ٢:١٤)؛ إلاَّ أنه كان لا بد أن يقوم بسبب بره الشخصي الكامل المتمثِّل في إخلائه لنفسه (في ٢:٧)، وإخضاع مشيئته للآب (لو ٢٢:٤٢)، وحريته من كل خطية "**مَنْ منكم يبكِّتني على خطية**" (يو ٨:٤٦). ومن أجل أن المسيح كان ينظر قيامته وهو بعد لم يمت، لذا استطاع أن يقبل آلام الصليب وأهوال الموت، رغم كل تحديات الصالبين.

(**٣**) ثم إن **القيامة** هي إعلان الغلبة على العالم الموضوع في الشرير وما يمثِّله من صور الظلم والكذب والتسلُّط واضطهاد المؤمنين. فبينما حسب رؤساء الكهنة أنهم قد حاصروا الرب يسوع واستطاعوا في النهاية الإيقاع

به واستصدار الحكم بموته. وربما داخلهم الزهو وهم يرونه يُسلَّم للصالبين ويخضع للقهر والألم دون أن يفتح فاه (إش ٥٣:٧)، إلى أن رُفِع على الصليب وأَسلم الروح ووُضِع في قبر أُحكمت حراسته. وبينما أحس بعض تلاميذه أن كل شيء قد انتهى (لو ٢٤:٢١)، تأتي قيامة الرب الجبارة بعد هذه التداعيات لطمةً ساحقةً للظالمين المتجنِّين (كو ٢:١٥)، وتشديداً للنفوس الكسيرة المنحنية تحت وطأة الألم، ونصرة للحق الذي يبدو أنه ضاع، وتشديداً للإيمان المهتز "**في العالم سيكون لكم ضيق. ولكن ثقوا أنا قد غلبت العالم**" (يو ١٦:٣٣)، "**وهذه هي الغلبة التي تغلب العالم: إيماننا**" (١يو ٥:٤)، وهزيمةً للنفوس المتكبرة الباغية وملاحقتها بما جنت يداها "**وأما الظالم فسينال ما ظلم به، وليس محاباة**" (كو ٣:٢٥)، وإدانة للعالم الشرير ورئيسه "**الآن دينونة هذا العالم. الآن يُطرح رئيس هذا العالم خارجاً**" (يو ١٢:٣١).

(٤) **قيامة المسيح** كانت عربوناً للانتصار الكامل على الموت في القيامة الأخيرة (آخر عدو يُبطَل هو **الموت** -١كو ١٥:٢٦). وكان المسيح هو باكورة الراقدين (١كو ١٥:٢٠) الذين لم يَعُدْ للموت سلطان عليهم. وهكذا نزع الرب بقيامته خوف الموت من قلوب المؤمنين "**فإذ قد تشارَك الأولاد في اللحم والدم اشترك هو أيضاً كذلك فيهما، لكي يُبيد بالموت ذاك الذي له سلطان الموت، أي إبليس، ويُعتق أولئك الذين – خوفاً من الموت – كانوا جميعاً كل حياتهم تحت العبودية**" (عب ٢:١٤و١٥).

فالذين يحيون **القيامة** مستعدون لقبول الموت في أي ساعة، فشوكته قد انتُزِعَت (١كو ١٥:٥٥)، ويعبر بهم موت الأهل والأصدقاء فيودِّعونهم على رجاء اللقاء في الملكوت دون أن يرعبهم اقتراب الموت منهم "**فإني متيقن أنه لا موت ولا حياة... تقدر أن تفصلنا عن محبة الله التي في المسيح يسوع ربنا**" (رو ٨:٣٨و٣٩). لقد سبقنا الرب إلى طريق الموت

المجهول ليُجرِّده من سلطانه السابق، وليجعله الباب المفتوح على أمجاد الحياة الأبدية، وبه نعود إلى مكاننا القديم العتيد الذي فقدناه بالخطية[1].

(٥) ثم يبقى أن مسيحنا المنتصر على الموت والجالس عن يمين الآب (أع ٧:٥٦) إلى أبد الآبدين (رؤ ١:١٨) يواصل عمله **كمخلِّص** من موت الخطية لكل مَنْ يقبل، **وشفيعاً** دائماً ينجِّي الملتجئين إليه من مؤامرات العدو، ويقيل المؤمنين من عثراتهم ويساندهم في ضيقاتهم "**وإنْ أخطأ أحدٌ فلنا شفيعٌ عند الآب، يسوع المسيح البار، وهو كفَّارة لخطايانا. ليس لخطايانا فقط، بل لخطايا كل العالم أيضاً**" (١يو ٢:١و٢)، "**فمنْ ثَمَّ يقدر أن يُخلِّص أيضاً إلى التمام الذين يتقدَّمون به إلى الله، إذ هَو حيٌّ في كل حين ليشفع فيهم**" (عب ٧:٢٥).

وفي الزمان المعيَّن **للخلاص الأخير** (١بط ١:٥) سيأتي الرب على السحاب في مشهد ستراه كل عين "**لأن الرب نفسه بهتاف، بصوت رئيس ملائكة وبوق الله، سوف ينزل من السماء والأموات في المسيح سيقومون أولاً**" (١تس ٤:١٦)، "**هكذا المسيح أيضاً بعدما قُدِّم مرة لكي يحمل خطايا كثيرين سيظهر ثانية بلا خطية للخلاص للذين ينتظرونه**" (عب ٩:٢٨). وكما ارتبطت قيامة الرب بإعلان الخلاص **فمجيئه الثاني** في القيامة الأخيرة مرتبط بإعلان الخلاص الأخير لتمجيد قديسيه "**فإن سيرتنا نحن هي في السموات، التي منها أيضاً ننتظر مُخلِّصاً هو الرب يسوع المسيح، الذي سيُغيِّر شكل جسد تواضعنا ليكون على صورة جسد مجده**" (في ٣:٢٠و٢١).

❄ ❄ ❄

يا رب.. ما أمجد قيامتك!

---

(١) يختم الكاهن أوشية الإنجيل في القداس الباسيلي مخاطباً الرب قائلاً "لأنك أنت هو حياتنا كلنا، وخلاصنا كلنا، ورجاؤنا كلنا، وشفاؤنا كلنا، **وقيامتنا كلنا**".

جسد قيامته .. وجسد قيامتنا

أولاً: عن جسد قيامة الرب

رداً على تساؤل **العذراء مريم للملاك جبرائيل**، وهو يبشرها بالحبل والميلاد الإلهي، عن كيف يكون لها هذا وهي لا تعرف رجلاً، يقول لها: **"الروح القدس يحل عليك وقوة العلي تظللك، فلذلك أيضاً القدوس المولود منك يدعى ابن الله"** (لو١: ٣٤، ٣٥). فميلاد الرب من عذراء هو أمر معجزي غير مسبوق ولن يتكرر، وتنبأ عنه إشعياء (إش٧: ١٤). وهكذا ينص قانون الإيمان المسيحي: أن الرب يسوع المسيح ابن الله الوحيد، المولود من الآب قبل كل الدهور: **"نزل من السماء وتجسد من الروح القدس ومن مريم العذراء"**.

فالرب اتخذ جسد الإنسان، الذي سبق فأعطاه له عندما خلقه، ولكن ابن الله المتجسد كان **"نسل المرأة"** (تك٣: ١٥) وليس من

"**زرع رجل**"[1] فهو وإن شابهنا في كلِّ شيء، لكنه كان"**بلا خطية**" (٢كو ٥: ٢١؛ عب ٤: ١٥؛ ١بط ٢: ٢٢؛ ١يو ٣: ٥)، "**قدوس بلا شر ولا دنس قد انفصل عن الخطاة وصار أعلى من السموات**" (عب ٧: ٢٦).

■ عن طبيعة جسد الرب:

الرب يسوع كما كان إلهاً كاملاً، كان إنساناً كاملاً؛ أي ليس مجرَّد إنسان فقط، وإنما كان جسداً ونفساً وروحاً، وهو ما يُطلَق عليه "**الناسوت**" الذي كان متَّحداً اتحاداً كاملاً (بغير اختلاط ولا امتزاج ولا تغيير) بـ "**اللاهوت**" الذي لم يُفارقه لحظةً واحدة حتى في القبر. فبينما انفصلت النفس عن الجسد بالموت، إذ أسلَم الروح الإنسانية (مت ٢٧: ٥٠؛ مر ١٥: ٣٧؛ لو ٢٣: ٤٦؛ يو ١٩: ٣٠)؛ فإنَّ اللاهوت ظل متَّحداً بالجسد الهامد في القبر (وحَفظَه سليماً لم يَعتَره فساد[2]– مز ١٦: ١٠؛ أع ٢: ٢٧،٣١؛ ١٣: ٣٥–٣٧)، ومتَّحداً بالنفس[3] التي ذهبت إلى الجحيم ("أقسام الأرض السُّفْلَى" – أف ٤: ٩)، حيث دخل ملك المجد (مز ٢٤: ٧–١١) و"**كَرَزَ للأرواح التي في السجن**"

---

(١) إضافة إلى معجزة ميلاد الرب من عذراء بغير زرع بشر، فهناك معجزة أخرى هي أن يكون ثمرة هذا الميلاد ذكراً. ذلك أنه حتى إن قيل أن هناك حالات حمل نادرة لعذارى بدون رجل، وكلُّها مشكوك فيها بالنسبة للبشر (وإن وجدت في بعض اللافقاريات بما يعرف **بالتناسل البكري** أو **العذري** Parthenogenesis) فكلها حالات حمل في إناث وليس ذكوراً. فميلاد الذكر البشري يتطلب تلقيح بويضة الأنثى بحيوان منوي لرجل يحمل كروموسوم الذكورة y، الذي لا يوجد في بويضات الأنثى. فلا يمكن الإدعاء بميلاد ذكر بغير رجل.

(٢) لأنه لم يخطئ أبداً (يو٨: ٤٦) ولكنه حمل خطايانا نحن في جسده (١بط٢: ٢٤)، وموته كان نيابياً لخلاص الإنسان. ومكتوب أنه "**أُسلم لأجل خطايانا وأقيم لأجل تبريرنا**" (رو٤: ٢٥)، "**عالمين هذا أن إنساننا العتيق قد صلب معه ليبطل جسد الخطية، كي لا نعود أيضاً نُستعبد للخطية**" (رو٦: ٦). فجسدنا الذي أخطأ هو الذي يتحلل ويعود إلى التراب كما بدأ.

(٣) "**إذ لاهوته لم ينفصل قط لا من نفسه ولا من جسده**" (القسمة السريانية).

(١بط ٣: ١٩)، وأَصعد أرواح الأبـــرار إلى الفـــردوس (لـــو ٢٣: ٤٣؛ ٢كو ١٢: ٤) مكان انتظار نفوس المؤمنين بعد موت المسيح. وفي القيامة أتت نفسه واتَّحدت بجسده، فقام حيّاً.

■ عن طبيعة جسد قيامة الرب:

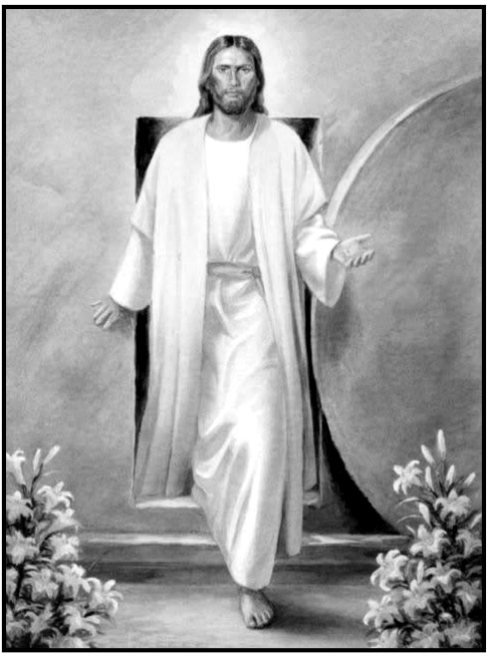

لا شكَّ أنَّ الـــرب قـــام بنفس الجسد الذي أخذه من العذراء مريم، والذي عـــاش به علـــى الأرض، والـــذي احتمل الآلام بأنواعها ورُفعَ على الصليب، وبعد موتـــه أُنزلَ إلى قبر جديد ليوسف الرامي، ولُـــفَّ بالأكفـــان ووُضعَ عليه أطياب وحنوط، وبَقيَ في القبر من بعد عصر الجمعة حتى فجر الأحد.

ووجود الأكفان فارغـــة شاهدٌ أنَّ الجسد الذي قـــام هو الذي كان في القبر، حتى أن يوحنا، الذي جـــاء إلى القـــبر أولاً وانحنى فنظر الأكفـــان موضوعة كالقالب المتماسك بغير جـــسد، لم يَحْـــتَج إلى أكثر من ذلك "**فرأى وآمن**" أنَّ الرب قام (لو ٢٤: ١٢؛ يو ٢٠: ٣-٨).

وإن لم يكن جسد الرب الذي قام هو هو جسده الذي مـــات، فـــلا تكون هذه قيامة. فالقيامة تقتضي أنَّ الجسد الذي مات هو الذي قام. أما إن كان جسد القيامة جسداً جديداً، فهذه لا تكون قيامة، ولا يكون قـــد

غُلبَ الموت ولا تمَّ خلاص.

والأحداث التي صاحَبَت قيامة الرب وظهوراته تُلقي ضوءاً أكثر على طبيعة جسد الرب القائم من الموت، وفيما اختلف عمَّا يعرفه المُحيطون به قبل الصليب والموت، وأيضاً عمَّا طرأ على علاقة الرب بتلاميذه بعد القيامة.

فالمُلاحَظ أنَّ الرب لم يَقُم متداعياً خائر القُوَى بعد محنة يوم الجمعة بما فيها خيانة مَن أحبهم، واللطمات والبَصْق والتعييرات والمُحاكمات الظالمة، والجلدات وإكليل الشوك وحَمْل الصليب في الطريق الصاعد إلى الجلجثة، ثم تثبيت الجسد المكدود إلى الصليب بالمسامير، ونَزْف الدم خلال معاناة الساعات الثلاث على الصليب، إضافةً إلى الأثقال النفسية الهائلة بتحمُّل خطايا البشر وهو البار من أجل الأَثَمَة، حتى أَسْلَم الروح. فالرب وصل إلى القبر جثةً مُشوَّهة مُثخنة بالجراح "**لا صورة له ولا جمال**".

بعد القيامة، كان الفارق ساطعاً. كان الرب بهيّاً نَضراً يشعُّ بالنور والمهابة والجلال والقوة[٤]. وبينما بَقيَت له سماته الإنسانية، لكن مجده أَضفى عليه بهاءً فائقاً عمَّا كان له بصورة عامة. كما أن تغييراً نفسيّاً جرى لتلاميذه وتابعيه الذين حطَّمهم الحزن "**ينوحون ويبكون**" (مر ١٦: ١٠) وسادهم إحساس أقرب إلى اليقين أنَّ موته هو النهاية مع استبعاد رؤيته حيّاً مرة أخرى. فالمريمات لما رأَيْنَ القبر الفارغ "**خرجْنَ سريعاً وهربْنَ، لأن الرِّعْدة والحَيْرَة أخذتاهُنَّ... لأَنَّهُنَّ كُنَّ خائفات**" (مر ١٦: ٧)، والتلاميذ لا يُصدِّقون الذين نظروه قد قام حتى أنَّ الرب لَمَّا التقاهُم "**وبَّخ عدم إيمانهم وقساوة قلوبهم**" (مر ١٦: ١٤). فهُم يَرَوْنَه

(٤) فلم يقم ضعيفاً يحتاج طعاماً **كإبنة يايرس**، أو لمن يحلّ أكفانه **كلعازر**، اللذيْن أقامهما الرب ثم ماتا بعد حين.

بعيونهم أمامهم، ولكن الذهن لا يُصدِّق:

+ **فمريم المجدلية** رأته بشراً، ورغم أنه تكلَّم معها يسألها عن سبب بُكائها، فهي ظنَّت أنه البستاني وتكلَّمت معه، ولم تعلم أنه يسوع إلاَّ عندما قال لها: "**يا مريم**"، فتنبَّهت إلى صوته وندائه الذي تعرفه (يو ٢٠: ١٤-١٦). فهي جاءت تبحث عن "جثة" وتسأل: "**إنْ كنتَ قد حملته فقُلْ لي أين وضعته، وأنا آخُذُه**". فلما ناداها، أخرجها من مجال الموت الذي انحصرت فيه، وأقامها لترى واهب الحياة الذي غلب الموت.

+ مع هذا فإنَّ لقاء الرب **بالمريمَتَيْن** أكَّد أيضاً أن جسده لم يتغيَّر ظاهرياً، إذ لَمَّا قال: "**سلامٌ لكما**"، "**تقدَّمتا وأَمسكتا بقدميه وسجدتا له**" (مت ٢٨: ٩).

+ و**تلميذا عمواس** بدورهما رأياه شخصاً عادياً يقترب منهما ويمشي معهما رفيقَ طريق. ولكن الكتاب يُشير أيضاً إلى أنه "**أُمسكَت أعينهما عن معرفته**" (لو ٢٤: ١٦). ومن البداية تعامَل الرب معهما كمُعلِّم أمام تلاميذه، بل إنه بدأ كلامه بتوبيخهما: "**أيها الغبيان والبطيئا القلوب في الإيمان بجميع ما تكلَّم به الأنبياء**"، وأَخَذَ يسرد ويُفسِّر لهما ما جاء عنه في الكُتُب من النبوَّات (لو ٢٤: ٢٥-٢٧). ولا شكَّ أنهما هنا انتبها إليه. فمَن هو هذا الذي يتكلَّم بسلطان، والذي يعرف كل هذه المعرفة، لا شكَّ أنه المُعلِّم وأنه حقّاً قام. وانفتحت عيون قلبيهما حتى أنهما قالا فيما بعد: "**أَلم يكُن قلبنا مُلتهباً فينا، إذ كان يُكلِّمنا في الطريق ويُوضِّح لنا الكُتُب**" (لو ٢٤: ٣٢). ولكنهما لم يتجاسرا أن يسألاه. كل ما استطاعا أن يفعلاه أن يدعواه إلى البيت خاصةً والنهار كان يميل. والرب كشف لهما عن نفسه أكثر عندما كَسَرَ الخبز وناولهما، وهنا عرفاه: هل لأنه وهو الضيف يصير هو المُضيف صاحب

البيت، أو لأنهما شاهدا آثار المسامير في يديه، أو لأنه سمح أن تنفتح أعينهما ليعرفاه كما سبق وجعل أعينهما تُمسَكَان عن معرفته. وكما ظهر لهما فجأةً، اختفى عنهما (لو ٢٤: ٣١).

+ أما في لقاء الرب **بتلاميذه** في العلِّية، وهم قد عرفوا بقيامته من المريمات (مر ١٦: ١٠؛ لو ٢٤: ٨؛ يو ٢٠: ١٨) ومن تلميذَي عمواس (مر ١٦: ١٣؛ لو ٢٤: ٣٥)، فمكتوبٌ عنهم أنهم: "**جزعوا وخافوا وظنُّوا أنهم نظروا روحاً**" (لو ٢٤: ٣٧)، ذلك أنَّ الرب فاجأهم بالوجود وسطهم في العليَّة بينما الأبواب كانت مُغلَّقة بالأرتاج أي بالأقفال: "**بسبب الخوف من اليهود**" (يو ٢٠: ١٩). في هذا اللقاء بدا أنَّ لجسد الربِّ المُقام قدرات أخرى. فهو جسدٌ روحاني أو مُمجَّد يتجاوز إمكانات الجسد الطبيعي، فهو يكشف عن بهاء اللاهوت الذي لم يظهر في ملئه على الأرض، وأَبان عن جانب منه في مرَّات قليلة فقط من قبل: كاختفائه من وسط الجمع لَّما أرادوا أن يرجموه (يو ٨: ٥٩)، وبعد حديثه إلى اليونانيين بعد دخوله الأخير إلى أورشليم (يو ١٢: ٣٦)، وفي سيره على الماء (مت ١٤: ٢٥؛ مر ٦: ٤٨؛ يو ٦: ١٩)، وفي تجلِّيه على جبل تابور أمام ثلاثة من تلاميذه في حضور النبيَّيْن موسى وإيليا، حيث أضاء وجهه كالشمس وصارت ثيابه بيضاء جدّاً كالثلج والنور، وهي الصورة الكاملة للجسد المُمجَّد (مت ١٧: ١-٩؛ مر ٩: ١-٨؛ لو ٩: ٢٨-٣١). وهذه القدرات هي في صميم طبيعة المسيح الإله المتجسِّد، وهو كان يحجبها بإرادته أيام حياته على الأرض، كي يُيَسِّر للناس معرفته، ويُتمِّم خدمته بغير عائق أو تخوُّف من الاقتراب منه والتعامُل معه.

+ على أنَّ الرب أكَّد لتلاميذه على حقيقة جسده، وأنه ليس روحاً مُجرَّداً أو طيفاً أو خيالاً. ففي لقائه الأول بتلاميذه أراهم يديه وجنبه

ورجليه وفيها آثار وجراح الصليب[٥]، وقال لهم: "**جُسُّوني وانظُروا، فإنَّ الروح ليس له لحم وعظام كما تَرَوْنَ لي**" (لو ٢٤: ٣٩). كما أنه طلب من **توما** عند لقائه التالي بالتلاميذ أن يضع إصبعه في يديه ويضع يده في جنبه، ليتيقَّن أنه هو هو الذي صُلبَ ومات وقام. بل إنه سأل تلاميذه إنْ كان عندهم طعام، "**فأَخَذَ وأكل قدَّامهم**" (لو ٢٤: ٤٣).

+ نُلاحظ أيضاً أنه عند لقاء الرب **بتلاميذه السبعة** وقد توقَّفوا عن الصيد في بحر طبرية، أنه نادَى من بعيد وهو على الشاطئ قائلاً: "**يا غلمان ألعلَّ عندكم إدَاماً؟**" (يو٢١: ٥) (بما يُشير إلى أنه كان ينوي الأَكْل معهم)، فردُّوا بالنفي دون أن يعرفوه. فلما اصطادوا السمك الكثير، بعد أن وجَّههم للصيد من الجانب الأيمن، وعرفوا أنه الرب، وجاءوا إلى البَرِّ، "**نظروا جَمْراً موضوعاً وسمكاً موضوعاً عليه وخُبزاً**" (يو ٢١: ٩) أعدَّه الرب بصورة معجزية. وهو طلب أن يضعوا على الجمر من السمك الذي أمسكوه، وقال لهم: "**هَلُمُّوا تَغَدَّوْا**"، "**ثم جاء يسوع وأَخَذَ الخُبز وأعطاهم وكذلك السمك**" (يو ٢١: ١٢،١٣) (كما جرى من قبل عند إشباع الجموع – مت ١٤: ١٩؛ ١٥: ٣٦؛ مر ٦: ٤١؛ ٨: ٦؛ لو ٩: ١٦؛ يو ٦: ١١). وحتى وإنْ لم يُفصح الكتاب عن أنَّ الرب أَكَلَ معهم، فإنَّ مُلابسات الحدث تشي أنه شاركهم الطعام.

هذا لا يعني بالطبع حاجة جسد قيامته إلى الطعام[٦]، ولكنه كي يؤكِّد أنه هو هو مُعلِّمهم بجسده الذي مات به وقام به، وأنه بالفعل غلب الموت

---

(٥) وهو استبقى آثار الجراح في يديه وقدميه وجنبه، والتي اندملت سريعاً لكي تبقى ندوباً ظاهرة تميّز جسد المصلوب الذي قام. والقديس يوحنا، في رؤياه، شاهد المسيح في وسط العرش "**خروفاً قائماً** (حياً) **كأنه مذبوح** (أي عليه آثار دماء كأنه ذبح وقام)" (رؤ٥: ٦).

(٦) لا ننسى أن الرب في بداية خدمته ظل أربعين يوماً لا يأكل ولا يشرب، فليس غريباً، وهو في ثياب القوة، أن يبقى أربعين يوماً أخرى حتى الصعود دون طعام أو شراب (أو نوم).

ولم يُغلَب منه. وهو جسدٌ يمكن أن يظهر أو يختفى فجأة، أو يجعل الآخر لا يراه أو لا يعرفه، ويمكن أن يُكثِّف جسده فيصير مادياً[٧] بصورة كاملة به لحم وعظام ويأكل ويشرب، أو يجعله روحيّاً شفَّافاً لا يَبين للعين البشرية، ولا يقف أمامه حائلٌ فيخترق الأبواب ويخرج كما دخل. وهو ما سبق أن مارسه الرب عندما انسحب من الأكفان دون أن يحلَّها، ونفذ جسده مخترقاً الحجر المختوم الذي على فم القبر، ولم يَحْتَج لَمن يُزحزحه له، وهو ما تمَّ بواسطة الملاك بعد خروجه من القبر.

❋ ❋ ❋

واقع الأمر، أنَّ الرب يتهيَّأ للخروج من الأرض إلى السماء، عائداً إلى المجد الذي له "قبل كَوْن العالم" (يو ١٧: ٥). وها هو يتخفَّف من كثافة الجسد الأرضى الخاضع لظروف الحياة والبيئة الأرضية، لكى يتحوَّل شيئاً فشيئاً إلى جسد المجد السماوي، ومن صورة العبد إلى موقعه الأزلي كملك الملوك، ولكنه لا يأخذ جسداً جديداً غير الأول الذي أَخَذه من العذراء بالروح القدس.

وهو يُهيِّئ تلاميذه لغيابه عنهم بالجسد بأنْ يُرسل لهم الروح القدس الذي يُعزِّيهم ويُرافقهم في خدمتهم شاهداً له، لكى يستعدوا للقيام بالمهمة التى أعدَّهم لها خلال سنوات خدمته الثلاث. فهو لا يُقيم معهم، وليس معروفاً أين كان يُقيم! وهو لا يراهم كل يوم، ويلقاهم بغير موعد. وهو الذي يُظهر نفسه لهم (لو ٢١: ١؛ أع ١: ٣). وهو لا يظهر إلاَّ لخاصته، فلم يُشاهَد في طُرقات أورشليم أو الجليل، وهو ما أشار إليه القديس بطرس في بيت كرنيليوس: "(**يسوع**) **هذا أقامه الله في اليوم الثالث، وأَعْطَى أن يصير ظاهراً، ليس لجميع الشعب، بل لشهود سبق الله فانتخبهم، لنا نحن الذين أكلنا وشربنا معه بعد قيامته من الأموات**" (أع ١٠: ٤٠،٤١).

---

(٧) وهذا، بصورة ما، ما كان عليه قبل التجسد في ظهوراته في العهد القديم حيث كان يتخذ هيئة مؤقتة كرجل أو ملاك ثم يعود إلى طبيعته الروحية. وهو ما يجري للملائكة عند ظهورهم للبشر.

والمُلاحَظ أنَّ هناك تحفُّظاً في علاقة الرب مع تلاميذه، وتهيُّباً في علاقتهم معه. هو الذي يأتي إليهم، وهو الذي يلمسهم أو يسمح لهم أن يلمسوه، أو يدعوهم أن يجسُّوه، أو يمسكوا بقدميه، لا أن يلمسه أحدٌ بإرادته. والتلاميذ عند البحيرة، وبعد أن عرفوه، لم يجسر أحدٌ منهم أن يسأله مَن أنت! وحتى **يوحنا** التلميذ ذو الدالة عند الرب، يتحفَّظ ويهمس "**هو الرب**"، و**بطرس** يتَّزر بثوبه ويُلقى بنفسه في الماء، تحرُّجاً وتوقيراً، لأنه كان عرياناً (يو ٢١: ٥،٧).

وكلمات المسيح عن مهامهم القادمة مُركَّزة وقاطعة. والعبارات التي قالها لبطرس، ليُعيد إليه رُتبته كاملة، قصيرة ولكن موحية؛ ويسهُل على بطرس، الذي أنكره قبل ثلاثة أيام، أن يَسْبُر غورها. وهو يتكلَّم بصورة مواربة عن كيف ستنتهي حياة بطرس بما يُمجِّد الله، وبطرس يستوعب؛ ولمَّا يتساءل عن مصير يوحنا، كانت الإجابة: "**فماذا لك؟**" (يو٢١: ١٨-٢٢).

ثانياً: عن جسد الرب بعد الصعود

بعد لقاءات الرب بتلاميذه في أورشليم، وعلى بحر طبرية، التقى بهم في الجليل (مت٢٨: ١٦-٢٠). ثم كان لقاؤه الأخير بهم في أورشليم الذي ختمه بالقول: "**وها أنا أرسل إليكم موعد أبي. فأقيموا في مدينة أورشليم إلى أن تُلبسوا قوة من الأعالي**" (لو٢٤: ٤٩).

ثم يحقق الرب ما قاله للمجدلية يوم قيامته "**اذهبي إلى إخوتي وقولي لهم إني أصعد إلى أبي وأبيكم وإلهي وإلهكم**" (يو٢٠: ١٧)، فيأخذ تلاميذه خارجاً إلى بيت عنيا، ويرفع يديه ويباركهم "**وفيما هو يباركهم انفرد عنهم** (أي ابتعد عنهم قليلاً مرتفعاً على الجبل فيراه الجميع) **وأُصعد إلى السماء**" (لو٢٤: ٥٠، ٥١)، "**وأخذته سحابة عن أعينهم**" (أع١: ٩)، "**وجلس عن يمين الله**" (مر١٦: ١٩).

وإذا كان جسد الرب خلال الأربعين يوماً السابقة -كما رأينا - كان يتحول من الهيئة الكثيفة الظاهرة العادية إلى الهيئة الروحية شبه النور حيث يدخل من الأبواب المغلّقة، فها نحن نراه اليوم، مع تلاميذه ومحبيه، يصعد إلى السماء بعيداً إلى فوق ضد جاذبية الأرض، حتى أخذته السحابة واختفى عن أعينهم[٨].

من هذه اللحظة أخذ الجسد يتخفف تماماً من كثافته، ليتجلى في كامل مجده جسداً روحياً بهياً، متحولاً نهائياً من **جسد اللحم والدم** الذي كان يحيا على الأرض بحسب قوانين الأرض ويخضع لجاذبيتها: يأكل ويشرب ويجوع ويعطش ويتعب ويفرح ويحزن ويبكي ويتألم، ينجرح ويترف ويموت، ليأخذ **الجسد السماوي** الذي كشف عن بعض جوانبه **يوم التجلي**، وعند قيامته، وحتى صعوده، والذي لم يعد مادياً: لا يجوع ولا يعطش ولا يتعب و"**لا يسود عليه الموت بعد**" (رو٦: ٩)، متخلياً عن أجهزة الجسد الذي كان على الأرض لأن قوانين السماء تختلف "**إن لحماً ودماً لا يقدران أن يرثا ملكوت الله**" (١كو١٥: ٥٠). وها هو يخرج من الأرض ويرتفع نحو السماء ليدخل إلى الأقداس ليجلس "**في يمين العظمة في الأعالي (السموات)**"[٩] (عب١: ٣، ٨: ١)، "**فوق كل رياسة وسلطان وقوة وسيادة وكل اسم يُسمى ليس في هذا الدهر فقط بل في المستقبل أيضاً**" (أف١: ٢٠، ٢١).

كان محتّماً أن يعود الرب إلى مجده لأنه ليس من هذه الأرض، وإنما هو نزل إليها من أجل خلاص البشر، وصار واحداً منهم وحمل خطاياهم ومات من

---

(٨) وهو ما جرى، قياساً مع الفارق، مع **إيليا النبي** الذي أختُطف في مركبة نارية إلى السماء (٢مل٢: ١١). فهو لم يحترق ولكن لابد أن طبيعة جسده قد تغيرت (كما حدث أيضاً مع **أخنوخ** قبله) إلى هيئة روحية تتواءم مع طبيعة المكان السمائي الذي انتقل إليه. حتى كان يوم تجلي الرب، حين عاد **إيليا** بعد سبعة قرون مع **النبي موسى**، الذي مات قبل ١٥٠٠ عام، حيث "**ظهرا بمجد**" (لو٩: ٣١) بصورة مؤقته وعرفهما التلاميذ الثلاثة. فرغم هيئتهما الظاهرة لم يكونا في جسد مطابق لما كانا عليه وهما على الأرض (انظر ص٢٣٤).

(٩) اليمين هو رمز العزة والقوة والمجد والسلطان والرئاسة. فالابن هو بهاء مجد الآب "**ورسم جوهره وحاملٌ كل الأشياء بكلمة قدرته**" (عب١: ٣).

أجلهم وقام. والصعود يتعلق بالجسد الذي أخذه الرب عند تجسده، ودخل به إلى مجده عن يمين الآب. ولكنه بالطبع كالله الابن لم يترك الأرض فهو القائل **"وليس أحد صعد إلى السماء إلا الذي من السماء ابن الإنسان الذي هو في السماء"** (يو٣: ١٣). فهو عندما كان بالجسد على الأرض كان يملأ الكون كله بلاهوته.

وإذا كان الرب قد ظهر في العهد القديم **لإبراهيم ويشوع وجدعون** وغيرهم في تجسدات مؤقتة، لكنه يبقى في جسده الممجد إلى الأبد. هكذا رآه **شاول (بولس)** في طريق دمشق في نصف النهار **"نوراً من السماء أفضل من لمعان الشمس"** (أع٢٦: ١٣) مما جعله يسقط على الأرض هو ورفاقه، ويفقد البصر لثلاثة أيام (أع٩:٩). ورآه **القديس يوحنا** وهو أسير في جزيرة بطمس **"شبه ابن إنسان.. رأسه وشعره فأبيضان.. كالثلج وعيناه كلهيب نار.. ووجهه كالشمس وهي تضيء في قوتها"** حتى أنه سقط عند رجليه كميت (رؤ١: ١٣-١٧)[١٠].

هذا المجد هو في صميم طبيعة الرب. ومع هذا فالله يمكن أن يسمح لمختاريه بإمكانات غير عادية كإنعام إلهي. **فإيليا** أختُطف في مركبة نارية إلى السماء (٢مل٢: ١١، ١٢)؛ و**فيلبس** الشماس اختطفه روح الرب بعد تعميده وزير كنداكة ملكة الحبشة وظهر في أشدود (أع٨: ٣٨-٤٠)؛ و**القديس بولس** اختُطف إلى الفردوس (٢كو١٢: ٢). وكان ظل **بطرس** يشفي الأمراض (أع٥: ١٥)، وكانت مناديل ومآزر **بولس** تشفي الأمراض وتُخرج الأرواح الشريرة (أع١٩: ١٢). والرب قال لتلاميذه في حديثه قبل الصليب **"الحق الحق أقول لكم من يؤمن بي فالأعمال التي أنا أعملها يعملها هو أيضاً ويعمل أعظم منها"** (يو١٤: ١٢).

---

(١٠) ولكن بالطبع يمكن للرب أن يظهر فجأة في أي وقت وفي أية هيئة أخرى كقادر على كل شيء.

ثالثاً: عن جسد قيامتنا

■ عن قيامتنا[11]:

الحديث عن **"جسد قيامتنا"** يستدعي مباشرة **"قيامة الرب"** و**"جسد قيامته"** فالعلاقة بينهما عضوية. فالمسيح بقيامته من الموت صار **"باكورة الراقدين"** (١كو١٥: ٢٠) أو **"أول قيامة الأموات"** (أع٢٦: ٢٣). وقبل قيامة المسيح قام كثيرون، بعضهم أقامهم **الرب** (مثل **لعازر** بعد موته بأربعة أيام- يو١١: ١٧، ٤٤؛ والقديسين الذين قاموا وظهروا في أورشليم مع قيامة الرب- مت٢٧: ٥٢، ٥٣)، **ورسله** (**بطرس**- أع٩: ٤٠، **وبولس**- أع٢٠: ١٠)، وبعضهم أقامهم **أنبياء** في العهد القديم (مثل **إيليا**- ١مل١٧: ١٩-٢٤، و**أليشع** حياً وميتاً- ٢مل ٤: ٣٣-٣٦، ١١: ٢١). ولكن هؤلاء ليسوا باكورة الراقدين، لأنهم بعد أن قاموا وعاشوا بعض الوقت خضعوا لحكم الموت، وعادوا إلى التراب. ولكنه الرب يسوع وحده الذي بعد أن قام بعد موت بثلاثة أيام لن يموت ثانية إذ هو **"حي إلى أبد الأبدين"** (رؤ١: ١٨).

فقيامة الرب هي مقدمة وضمان قيامة مؤمنيه في اليوم الأخير **"المسيح باكورة ثم الذين للمسيح في مجيئه"** (١كو١٥: ٢٣)، وفي قيامته رجاؤهم في الحياة الأبدية بعد الموت (تي١: ١، ٢، ٢: ١٣، ٣: ٧، ٢بط١: ٣، ٤).

وقيامة المسيح هي حجر الأساس في الإيمان ومحور الكرازة (أع١: ٢٢، ٢: ٣٢، ٤: ٢، ٣٣، ١٠: ٢٣). وهي لم تكن مجرد حدث في حياة الرب ولكنها أكملت عمل الصليب، ومجدّت موت الرب، وحققت هدف مجيئه في خلاص الإنسان وإنقاذه من الخطية والموت الأبدي. وستقترن قيامتنا بمجيء الرب الثاني في اليوم الأخير لتمجيد قديسيه الذي هو ختام الخلاص، بعد أن أتم تبريرهم وتقديسهم عند قبولهم الإيمان والمعمودية وعاشوا الحياة الجديدة بحسب

---

(١١) الحديث هنا قاصر على **"قيامة الحياة"** الخاصة بالمؤمنين، ولكن بالطبع هناك **"قيامة الدينونة"** لغير المؤمنين (يو٥: ٢٨-٢٩) الذين يسود عليهم الموت الثاني الأبدي (رؤ٢٠: ١٢-١٥).

الوصية: **"هكذا المسيح أيضاً بعد ما قُدم مرة لكي يحمل خطايا كثيرين سيظهر ثانية بلا خطية** (التي حسم قضيتها في مجيئه الأول بصليبه وموته وقيامته) **للخلاص** (الأخير) **للذين ينتظرونه"** (عب٩: ٢٨)؛ **"أنتم الذين بقوة الله محروسون بإيمان لخلاص مستعد أن يُعلن في الزمان الأخير"** (١بط ٢: ٥).

والحقيقة أننا بالإيمان نُصلب مع المسيح ونموت معه ونقوم معه ونحيا فيه بادئين حياتنا الأبدية منذ الآن:

"ها ملكوت الله داخلكم" (لو١٧: ٢١)؛

"مع المسيح صُلبت فأحيا لا أنا بل المسيح يحيا فيّ" (غل٢: ٢٠)؛

"فدُفنا معه بالمعمودية للموت، حتى كما أقيم المسيح من الأموات بمجد الآب هكذا نسلك نحن أيضاً في جدة الحياة" (رو٦: ٤)؛

"مدفونين معه في المعمودية التي فيها أُقمتم أيضاً معه بإيمان عمل الله الذي أقامه من الأموات" (كو٢: ١٢)؛

"الله الذي هو غني في الرحمة.. ونحن أموات بالخطايا أحيانا مع المسيح.. وأقامنا معه وأجلسنا معه في السماويات في المسيح يسوع" (أف٢: ٤-٦)؛

"فإن كنتم قد قمتم مع المسيح اطلبوا ما فوق حيث المسيح جالس عن يمين الله" (كو٣: ١).

■ عن جسد قيامتنا:

كما أخذ الرب جسدنا ومات به وقام به، هكذا ستقوم أجسادنا نحن أيضاً في مجيء الرب. ولكن إن كان جسد الرب لم يرَ فساداً لأنه هو لم يخطئ، وإنما حمل خطايانا ومات لأجلنا، وإن كان المسيح بموته رفع عنا حكم الموت الأبدي، إلا أن عقوبة موت جسد الإنسان (تك٣: ١٩) [١٢] تظل باقية كعنصر

(١٢) حتى وإن صار الموت للمؤمنين هو الوسيلة للخروج من جسد الأرض الذي ينحل ليلبسوا فوقه جسد المجد السماوي. فنحن نموت (نرقد) لكي نحيا إلى الأبد، والجسد الذي شارك النفس في العبادة والجهاد والتألم يشاركهما أيضاً بمجد القيامة.

في طبيعة الجسد الأرضي ليصير الموت "**أخر عدو يُبطل**" (١كو١٥: ٢٦). فالعودة إلى التراب تسري على الجميع، وحتى الذين أُخذوا أحياء، مثل **أخنوخ** (تك٥: ٢٢، ٢٤، عب١١: ٥) **وإيليا** (٢مل٢: ١١)، سيعودان يوماً ويستعيدان هيئتهما البشرية الأرضية ليموتا مثل سائر البشر (ملا٤: ٥).

والذين يبقون أحياء إلى يوم ظهور المسيح، فهؤلاء، بعد أن يقوم الأموات في المسيح أولاً، يتغيرون "**في لحظة في طرفة عين عند البوق الأخير**" (١كو١٥: ٥١، ٥٢) ثم يقومون بأجساد ممجدة، ويُخطفون جميعاً لملاقاة الرب في السحب (١تس٤: ١٥-١٧).

وعلى مثال جسد قيامة الرب الممجد سيكون جسد قيامتنا "**ونحن جميعاً ناظرين مجد الرب بوجه مكشوف كما في مرآة نتغير إلى تلك الصورة عينها من مجد إلى مجد كما من الرب الروح**" (٢كو٣: ١٨)؛ "**متى أُظهر المسيح حياتنا فحينئذ تُظهرون أنتم أيضاً معه في المجد**" (كو٣: ٤)؛ "**فإن سيرتنا نحن هي في السموات التي منها أيضاً ننتظر مخلصاً هو الرب يسوع المسيح الذي سيغيّر شكل جسد تواضعنا ليكون على صورة جسد مجده**" (في٣: ٢٠، ٢١)، "**يُزرع في هوان ويقام في مجد**" (١كو١٥: ٤٣).

لا مكان إذاً في الملكوت لجسد الموت الذي عشنا به على الأرض بكل أجهزته "**يزرع جسماً حيوانياً ويقام جسماً روحانياً**" (١كو١٥: ٤٤)، ذلك "**إن لحماً ودماً لا يقدران أن يرثا ملكوت الله، ولا يرث الفساد عدم الفساد**". ولابد للمائت أن يلبس "**عدم موت**" (١كو١٥: ٥٠، ٥٢). ذلك أن جسد الأرض كان مؤهلاً للحياة على الأرض، ولابد أن يتغير شكلاً ومضموناً للحياة في السماء، وملكوت الله ليس أكلاً وشرباً "**بل هو بر وسلام وفرح في الروح القدس**" (رو١٤: ١٧).

والمؤمنون أبناء القيامة سيحيون كملائكة الله في السماء **"لا يزوجون ولا يتزوجون"** (مت١٢: ٣٠، مر١٢: ٢٥، لو٢٠: ٣٥، ٣٦)، ولا مكان هناك لجنّة أو أنهار مما على الأرض، فأرضنا وما عليها، بل وبلايين المجرّات، كلها مرشّحة للفناء يوماً (مت٢٤: ٢٩)، ويكون ملكوت السموات هو سماؤنا الجديدة وأرضنا الجديدة (رؤ٢١: ١) **"ولا يكون ليل هناك ولا يحتاجون إلى سراج أو نور شمس لأن الرب الإله ينير عليهم"** (رؤ٢٢: ٥). وكما تجلى الرب وكما ظهر للقديسين **بولس ويوحنا** بعد صعوده، هكذا قال الرب عن مؤمنيه **"حينئذ يضيء الأبرار كالشمس في ملكوت أبيهم"** (مت١٣: ٤٣). وضياء المؤمنين في الأبدية هو انعكاس النور الإلهي عليهم، كما هو نور القمر بالنسبة للشمس، وكما كان يلمع وجه موسى النبي عند نزوله من على الجبل بعد أن أخذ الوصايا من الله حتى أنه كان يضع برقعاً ليخفي نوره (خر٣٤: ٢٩-٣٥، ٢كو٣: ١٣).

ورغم الاختلاف بين جسد الموت الترابي وجسد القيامة الروحاني، فهذا لا يعني أن الجسد الممجد هو جسد آخر لا علاقة له بالأول، فهذه لا تكون قيامة. فالعلاقة بينهما كالعلاقة بين البذرة وما ينبت عنها. فالجسد الذي مات وتحلل لم يفْنَ، ولكن منه (أو من أجزائه التي تمزقت أو تفرّقت بالنسبة للبعض كما في الحروب أو الحوادث) يشرق جسد القيامة الذي يستبقى سماته وهيئته الأولى في أوْجها بغير نقائص أو عيوب، ولكن في صورة روحية ممجدة **"لأن الذين سبق فعرفهم سبق فعيّنهم ليكونوا مشابهين صورة ابنه ليكون هو بكراً بين إخوة كثيرين. والذين سبق فعيّنهم فهؤلاء دعاهم أيضاً. والذين دعاهم فهؤلاء بررهم أيضاً. والذين بررهم فهؤلاء مجّدهم أيضاً"** (رو٨: ٢٩، ٣٠).

وفي الحقيقة فنحن نستكمل المجد الذي تمتعنا ببعضه أثناء حياتنا في اتحادنا بالمسيح في الأسرار، وشركتنا معه في الصلاة وكلمة الله، وجهادنا وخدمة الآخرين في المسيح.

وإن كان المجد الذي ينعم به الرب على الأبرار هو واحد للكل، ولكن التفاوت يكون في الدرجة كما يمتاز نجم عن نجم (١كو١٥: ٤١) بحسب ما استثمر كل واحد وزناته (مت٢٥: ٢١، ٢٣، ٤٠، رؤ٦: ١١). ولكن آنية الكل، كبرت أم صغرت، هي ممتلئة كاملة، والمحبة والفرح يسودان الجميع ولا مكان هناك لضعفات الجسد القديم.

❁ ❁ ❁

بالطبع فإن الأحاسيس ووسائل التواصل بين المؤمنين والتعرّف على الآباء والأنبياء والرسل والشهداء ولغة السمائيين الواحدة[١٣] (وهو ما يبدأ منذ انتقال نفوس الأبرار إلى مكان الانتظار في الفردوس، وتمتعهم بمعرفة أكثر اتساعاً مما كان لهم، خاصة بالنسبة للقديسين الذين يرفعون صلوات المتشفعين بهم إلى العرش السماوي) هي مما يتجاوز أفهامنا وتصورنا. ورغم أن الرؤى التي جاءت في الكتاب عن السماء والفردوس والعرش الإلهي، بقدر ما وسعته لغات البشر للإفصاح عن بعض أسرار السماء، فإنه يستحيل أن نبلغ الحقيقة ونحن في الجسد. هكذا كتب القديس بولس "**فإننا ننظر الآن في مرآة في لغز لكن حينئذ وجهاً لوجه. الآن أعرف بعض المعرفة لكن حينئذ سأعرف كما عُرفت**" (١كو١٣: ١٢)، وهكذا كتب القديس يوحنا "**الآن نحن أولاد الله، ولم يُظهر بعد ماذا سنكون. ولكن نعلم أنه إذا أُظهر نكون مثله لأننا سنراه كما هو**" (١يو٣: ٢).

(١٣) هي عودة إلى البداية عندما "**كانت الأرض كلها لساناً واحداً ولغة واحدة**" قبل أن تتعدد الألسنة (تك١١: ١). وفي كتابات بعض الآباء أن التواصل في السماء لن يكون بالكلام وإنما بالروح، والمحبة تجمع الكل، بغير انحصار في القرابات الجسدية أو الانتماءات الأرضية القديمة، ضمن الكنيسة السماوية الواحدة.

■ اثنين القيامة

معنا وهُ نشعر به(*)

كان نهار الأحد قد بدأ يميل. وفى الطريق من **أورشليم** إلى قرية **عمواس**، كان **لوقا وكليوباس** يسيران مطرقى الرؤوس، مثّقلى القلب بالهم. فقبل يومين كانت أحداث الصليب، وفى ختامها أسلم السيد الروح.

بدت الأيام السابقة ككابوس مرعب فى أعقاب سنوات ثلاث سعيدة، برفقة المعلم المحبوب، مضت وكأنها الحلم. وهاهما اليوم وسائر التلاميذ يجابهون واقعا أليما. وإن بدا فى الأفق ما ملأهم بالحيرة وجعل حزنهم يختلط بالأمل، إذ قيل إن بعض النساء ذهبن إلى قبره، ولكن لم يجدن جسده، وإن كنّ رأين ملائكة قالوا إنه قام. ومضى بعض التلاميذ إلى القبر فوجدوه بالفعل فارغاً.

(*) من وحي **لقاء الرب مع تلميذي عمواس** ليلة اثنين القيامة (إنجيل **القداس** لو٢٤: ١٣-٣١).
انظر ملحق رقم (١) عن **شم النسيم** (ص ٢٥٠) في أخر الكتاب.

"وفيما هما يتكلمان ويتحاوران **اقترب إليهما يسوع نفسه وكان يمشى معهما"**، وسألهما عن سبب هذا العبوس والهم، فدهشا لتساؤله قائلين "**هل أنت متغرب وحدك فى أورشليم ولم تعلم الأمور التى حدثت فيها فى هذه الأيام"**.

ولكنه فى الحقيقة كان وحده الذى يعرف كل الحقيقة. وابتدأ هو يفسر لهما الأمور المختصة به فى جميع الكتب ولامهما على بطء قلبيهما فى الإيمان بما تكلم به الأنبياء (وبما سمعاه منه قبلا).

ولما اقتربوا من عمواس، ألحّا عليه قائلين "**امكث معنا** لأنه نحو المساء وقد مال النهار. **فدخل ليمكث معهما... وأخذ خبزا وبارك وكسَّر وناولهما، فانفتحت أعينهما وعرفاه ثم اختفى عنهما"** (لو٢٤: ١٣-٣١).

ما جرى مع **تلميذى عمواس** يجرى معنا أحيانا. الرب يقترب ويتدخل ويعبر ولكننا لا نفطن إلى حضوره. وربما انتبهنا بعد أن يمضى. **فحضور الرب فى حياتنا هو الحقيقة التى لا يصح أن تغرب عنا، مهما كانت الظروف، ومهما بدا أن الرب غائب.**

"**فانفتحت أعينهما وعرفاه... عند كسر الخبز**" (لو٢٤: ٣١، ٣٥)

فقد كان الرب مع تلاميذه فى السفينة نائما والليل قد أرخى سدوله، وسمح الرب للريح أن تشتد وأن تضرب الأمواج السفينة. ولكن مجرد حضور الرب لم يكن كافيا للتلاميذ لكى يطمئنوا "فأيقظوه وقالوا له يا معلم أما يهمك أننا نهلك" **فقام وانتهر الريح فصار هدوء عظيم** ولكنه التفت إليهم وقال لهم "**ما بالكم خائفين هكذا. كيف لا إيمان لكم**"(مر٤: ٣٥-٤٠، لو٨: ٢٢-٣٥).

فثقتنا فى حضور الله فى حياتنا، وبتدخله فى الوقت المعين، هو الذى ينتزع الخوف من التجربة أو الظالم المضطهِد، ويحبط كل خطط العدو لتهديد سلامنا، وهو الذى يمنحنا الثقة بالغلبة المحتومة ساعة الشدة مهما طالت "**إن كان الله معنا فمن علينا**"(رو٨: ٣١).

■ نعم.. الرب قريب.. بل معنا وفينا:

+ فآخر كلماته قبل صعوده كانت "**وها أنا معكم كل الأيام إلى انقضاء الدهر**" (مت٢٨: ٢٠). وفيها يؤكد أنه إذا كان قد ارتفع عنا بالجسد فهو دائم الوجود فى كل مكان وكل الأيام، وحتى نلتقى معه فى ملكوته.

+ بل إن اسمه يحمل طبيعته ومحبته ورعايته الدائمة لنا "**عمانوئيل** الذى تفسيره **الله معنا**" (إش٧: ١٤، مت١: ٢٣).

+ ومن يفتشون الأسفار المقدسة يلتقون بوعود الله الصادقة برفقته الدائمة لنا خاصة فى أوقات الشدة والضيق "يدعونى فأستجيب له.. **معه أنا فى الضيق** أنقذه وأمجده" (مز٩١: ١٥)،"**فى كل ضيقهم تضايق** وملاك حضرته خلصهم"(إش٦٣: ٩)، "**لا تخف لأنى معك**" (تك٢٦: ٢٤، إش ٤١: ١٠، ٤٣: ٥).

+ وكما حدث مع **تلميذى عمواس**، فالله الذى يعرف خرافه بأسمائها ويدرك ما تجوزه من متاعب **هو الذى يقترب إليها** (لو٢٤: ١٥) **ويرافقها فى الطريق** ليؤنس وحدتها.

+ والذين اختبروا هذا الحضور الإلهى فى حياتهم سجلوه فيما كتبوا: "**قريب هو الرب**" (مز٣٤: ١٨، ١٤٥: ١٨)، "**الرب قريب**" (فى٤: ٥). بل أن **القديس بولس** لا يرى الرب قريبا فقط بل إنه يحيا فيه: "**مع المسيح صلبت فأحيا لا أنا بل المسيح يحيا فىَّ**" (غل٢: ٢٠).

+ وعندما نقول **إن الرب قريب** فهذا يعنى أنه أمامنا بالفعل، وأنه هو الذى ينتظر دعوة للعشاء "**هاأنذا واقف على الباب وأقرع، إن سمع أحد صوتى وفتح الباب أدخل إليه وأتعشى معه وهو معى**" (رؤ٣: ٢٠).

■ كيف يتعامل الرب معنا ؟

من مراحم الرب أنه تجسد وحل بيننا، وأحبنا حتى الموت، ثم قام من الأموات واهباً الحياة الأبدية لكل من يؤمن.

وحتى مجيئه الثانى المخوف يبقى لنا وجه المسيح اللطيف وظهوراته المساندة للضعف، وزياراته لمحبيه، ورفقته لنا فى الطريق كلما داهمتنا الحيرة، بل وحضوره عند استدعائه كى يقيم مريضا، أو لإعلان ذاته للباحثين عن الحق.

ربما لفت انتباهنا بعضُ مشاهد **العهد القديم** لحضور الله كما أشار إليها كاتب سفر العبرانيين، مقارنا بينها وبين تجليات العهد الجديد المملوءة حنانا، فيكتب : "**لأنكم لم تأتوا إلى جبل ملموس مضطرم بالنار، وإلى ضباب وظلام وزوبعة وهتاف بوق، وصوت كلمات استعفى الذين سمعوه من أن تُزاد لهم كلمة لأنهم لم يحتملوا ما أُمر به**... بل قد أتيتم إلى جبل صهيون، **وإلى مدينة الله الحى أورشليم السماوية**، وإلى ربوات هم محفل ملائكة، وكنيسة أبكار مكتوبين فى السموات، وإلى الله ديان الجميع،

وإلى أرواح أبرار مكمَّلين، **وإلى وسيط العهد الجديد يسوع**، وإلى دم رشّ يتكلم أفضل من هابيل" (عب ١٢: ١٨- ٢٤).

ولكن كان للرب بالطبع معاملاته مع محبيه فى **العهد القديم**، سواء من خلال الأنبياء، أو فى حلم أو رؤيا، أو فى لقاء مباشر. **فإبراهيم "دعى خليل الله"** (يع ٢ : ٢٣)، وتجاسر أن يتشفع من أجل سدوم وعمورة (التى عظمت خطيتهم جداً- تك ١٨: ٢٠). **وكلم الله يعقوب فى الحلم** (تك ٢٨: ١٢ - ١٥)، بل **وصارعه يعقوب "حتى طلوع الفجر"** (تك ٣٢: ٢٤) وبعدها ظهر له الله وغيّر له اسمه إلى **إسرائيل** (تك ٣٥: ١٠). كما كان الرب يتكلم مباشرة مع **موسى** الذى لقّبه البعض "**كليم الله**". ويضيق المقام عن ذكر كل لقاءات الرب الحميمة مع كثيرين من شعبه صغاراً وكباراً، بينهم **صموئيل** صبياً (١صم ٣: ١، ١٠) ونبياً عظيماً، ثم **داود** النبى والملك والمرتل، و**سليمان** الحكيم والملك، **وإشعياء وإرميا وحزقيال ودانيال** الأنبياء وغيرهم.

ولعلنا نشير هنا إلى أن كثيراً من لقاءات الرب فى **العهد القديم** كانت حانية حافلة بالرقة كما رأيناها فى شخص مخلص العالم . وها هو **إيليا** يذكر لنا كيف دعاه الرب للقائه وطلب منه أن يقف على جبل حوريب "**وإذا بالرب عابر، وريح عظيمة وشديدة قد شقّت الجبال وكسّرت الصخور أمام الرب، ولم يكن الرب فى الريح. وبعد الريح زلزلة ولم يكن الرب فى الزلزلة. وبعد الزلزلة نار ولم يكن الرب فى النار. وبعد النار صوت منخفض خفيف**" (١مل ١٩: ٩ - ١٢).

فلا نتوقع إذاً - بصورة عامة - أن يكون اقتراب الرب منا مصحوباً بأى أمر غير عادى. **فالمريمات والتلاميذ** قابلوا الرب بعد قيامته دون أن يرتاعوا. فرأوه بستانياً أو عابر سبيل كسائر البشر، أو كما رآه القديس **الأنبا بيشوى** مُقعداً يطلب المساعدة فحمله وغسل قدميه وارتبط اسمه به (**حبيب مخلصنا**

الصالح). غير ذلك هو الاستثناء فى المواقف التى تقتضيه (كما فى لقاء الرب مع **شاول** وجعل منه **بولس رسول الأمم**) (أع ٩: ٣ - ٢٢).

قد نلتقى الرب إذاً فى أى غريب، أو عابر سبيل، أو رفيق طريق أو سفر (لو ٢٤: ١٥)، أو محتاج للمعونة (مت٢١: ٣، ٢٤: ٣٥، ٣٦، مر١١: ٣، لو١٩: ٣١، ٣٤) أو من يمد لنا يد المساعدة. وهنا فإن أمثال **السامرى الصالح** صانعى الرحمة هم أقرب الناس للقاء المخلص فيمن يقدمون لهم الرحمة.

وقد تصلنا رسالة الرب من خلال كلمات الكتاب أو الروح (أع ١٣: ٢) أو ملاك، أو فى حديث إنسان نعرفه أو لا نعرفه، أو فى عظة أو قصة نسمعها، أو حادثة أو تجربة نمرّ بها أو يمر بها غيرنا، فى عطية أو نعمة أو زوالهما، فى فرح نختبره أو حزن، فى كسب أو خسارة، أو فى أى عمل من أعمالنا اليومية.. وربما يأتينا الرب فى رسالة خاصة أو زيارة أو رؤيا أو حلم، فضلاً عن لقائنا الحميم به واتحادنا فيه عندما نشترك فى مائدة الرب الذى يتقدم ويناولنا.

القصد أن لقاء الرب بنا أمر متوقع تماماً، ويبقى أن ننتبه إلى اقترابه منا ونعدّ أنفسنا لتبيّن صوته وتلقّى توجيهاته، أو مساعدة من نلتقى به فيهم.

■ لماذا لا نشعر بحضوره ؟

بعد هذا كله، لماذا لا يشعر البعض منا بحضور الرب أو يلتقى به أو يلتقط رسالته أو يميّز صوته رغم أنه عنا ليس بعيداً ؟ هذه محاولة للإجابة :

(١) **لأن الرب عند البعض مستبعد من الحياة**. فهو الحاضر الغائب. وبالتالى فقد استبعد هؤلاء احتمال لقائه بسبب فقر الإيمان، وقلة الرجاء، والانشغال الشديد بالعالم والعالميات. ولنقارن مثلاً موقف **المجدلية** التى عرفت الرب لما ناداها باسمها (يو ٢٠: ١٦)، وموقف **توما** الذى لم يصدق شهادة التلاميذ، ولم يؤمن إلا بعد أن وضع أصبعه ويده فى أثر المسامير

وطعنة الحربة، وامتدح الرب النفوس المؤمنة "**طوبى للذين آمنوا ولم يروا**" (يو ٢٠: ٢٩). **كيف نستبعد الرب وهو فينا ؟!**

(٢) **لأننا لا نعرف ملامحه جيداً** بسبب ندرة لقاءاتنا معه أو ضحالتها. ولذا فخبراتنا عنه محدودة جداً، وإلمامنا بلغته قليل. ومن هنا فهو يأتينا وينفلت منا – كأنه غريب عنا – دون أن ندرك إلا بعد فوات الأوان، وهنا أيضاً فلنذكر موقف **يوحنا**، عندما التقى الرب بالتلاميذ السبعة على شاطئ طبرية، وكان أول من أدرك أنه الرب (يو ٢١: ٧).

فلنجلس إليه طويلاً ونتعلم لغته. فقراءة كلمته مع الصلاة هما الطريق العملى للتعرف على سماته، وفهم لغته، حتى إذا لقيناه عرفناه سريعاً فربما لا يطول اللقاء.

(٣) **لأن قلبنا جهاز استقبال لكل الموجات**، فيأتينا صوت الرب مختلطاً مع غيره ولا نتبيّنه. القلب المكرس هو قلب ذو طول موجة واحدة هى الصوت الإلهى. ولابد من إصلاح الجهاز الداخلى بالتوبة الشاملة والمستمرة لاستبعاد كل أجهزة التشويش وتداخل ميول العالم، فيصير لنا رهافة الشعور ونقاوة القلب التى نستطيع بها أن نلتقط صوت الرب –مهما تنوعت وسائله– والإحساس بحضوره حالما يتم ذلك. فقلب **مريم المجدلية** التقط الصوت فقالت "**ربونى**" (يو٢٠ : ١٦)، ويشهد الرب عن **داود** إذ قال "**وجدت داود بن يسىّ رجلاً حسب قلبى**" (أع ١٣: ٢٢).

(٤) **لأن بعضنا عقليون جامدون ذاتيون** قد فقد قلبهم حيويته، ودب فيه الجفاف والبرودة. ومن هنا لا تتحرك مشاعرهم بالفرح أو التوبة، ولا يعرفون الخشوع أو مخافة الرب، ولا يدركون محدوديتهم و قصور علمهم وقدراتهم الذاتية. وهم يُرجعون كل ما يمر بهم – حتى الحقائق الساطعة التى

تشير إلى عمل الله وتدخّله – إلى مجرد المصادفة وليس إلى ترتيبات الله المتقنة المقصودة، وإذا غلبتهم مشاعرهم الإنسانية التى أودعها الله فيهم قمعوا هـذا الشعور إرادياً، و لم يصرخوا مع توما "**ربى وإلهى**" (يو ٢٠ : ٢٨).

وعلى هؤلاء – إن أرادوا التمتع بصحبة الرب– أن يتوبوا عن غرورهم وجهلهم ويتعلموا أن "**رأس الحكمة مخافة الرب**" (مـز ١١١: ١٠)، وأن يتيقنوا أن الرب قريبٌ للبسطاء والأطفال "**أحمدك أيها الآب رب السماء والأرض، لأنك أخفيت هذه عـن الحكمـاء والفهمـاء، وأعلنتـها للأطفال**" (مت ١١: ٢٥)، بعيدٌ عن المعتدّين بحكمتهم "**اختار الله جهال العالم ليخزى الحكماء، واختار الله ضعفاء العـالم ليخـزى الأقويـاء**" (١كو ١: ٢٧)، وهو قريب لمنكسرى القلوب ولخائفيه وطائعى وصاياه.

فى الختام نقول إن النفوس الروحية تدرك حضور الرب الدائم "**يسوع المسيح هو هو أمساً واليوم وإلى الأبد**" (عب ١٣: ٨). فهو ليس أسير التاريخ وإنما هو الحى دوماً الحاضر فى حياتنا كل يوم : فهو ضيفنا على المائدة، ورفيقنا فى العمل والخدمة، وكل الأعمال اليومية الصغيرة. بل إننا يُمكن أن نراه فى كل البشر من حولنا، فى كل رجل وامرأة وطفل، وفى كل محتاج ومتألم ومضطَهد "**بما أنكم فعلتموه بأحد إخـوتى هـؤلاء الأصاغر فبى فعلتم**" (مت٢٥: ٤٠). وعلينا ألا نسمح لآليـة الحيـاة (أو حتى آلية العبادة) أن تطويه أو تواريه، **بل نسعى لكى نراه متجـدداً مع كل صلاة، ومع كل قراءة للإنجيل** (حتى ولو لـنفس الأصـحاح)، **وكل اشتراك فى مائدة الرب، وكل احتفال بأعياد الرب، وكل خدمة، وكل عمل، بل مع كل يوم من أيام الحياة.**

آمين .. تعال أيها الرب يسوع.

■ أحـــد توما(*)

المسيح يلتقي تلاميذه بعد القيامة

كم اختلفت الأيام من الجمعة إلى الأحد. بعد معاناة الرب في بـــستان جثسيماني، والمشاهد الدامية والأليمة في الطريق إلى الجلجثة: القبض عليـــه ومحاكمته كمذنب، والضرب والإهانة والاستهزاء، وتجريده مـــن ثيابـــه ووضع إكليل الشوك على رأسه، ثم حمل الصليب الثقيل والتحامه به فوق الجلجثة، واختراق المسامير يديه وقدميه، وطعنه في جنبه بالحربة، ونـــزف دمه حتى الموت، وفي النهاية يوضع الجسد الهامد في قبر جديد بين الدموع الفائضة والقلوب الكسيرة والحزن الساحق.

ويمضي الجمعة وبعده السبت، وفجر **الأحد** يقوم الرب بحسب وعـــده وعلمه السابق وخطة الخلاص المرسومة منذ الأزل. فيترك أكفان المـــوت للقبر ويقوم ببهاء عظيم، وزلزلة عظيمة تهز الكون، ويخترق الحجر الكـــبير

(*) **القراءات:** أف٤: ٢٠-٣٢، ١يو٢: ٧-١٧، أع١٧: ١٦-٣٤، يو٢٠: ١٩-٣١.

المختوم، ويأتي **ميخائيل** رئيس الملائكة ليدحرج الحجر عن باب القبر لكي يستطيع محبوه وأعداؤه أن يدخلوه ويكتشفوا أنه فارغ وأن الميت قد داس الموت.

هكذا تغيرت الأحوال بعد الأيام الثلاثة، فصار كل شئ بعدها مختلفاً عما كان. فالحياة غلبت الموت **"أين شوكتك يا موت؟ أين غلبتك يا هاوية!"** (١كو١٥: ٥٥)، والخلاص قهر الخطية وإبليس والعالم، والفرح المجيد اكتسح الحزن وبدده، والصليب، علامة العقوبة والضعف والموت، صار علامة الخلاص والنصرة وقوة الله وحكمته (١كو١: ١٨، ٢٤).

والرب المنتصر يأتي للقاء تلاميذه ومحبيه يبشرهم بقيامته، ويزيح الحزن الذي خيّم على قلوبهم ليملأهم الفرح الساطع، وليتشدد إيمانهم به وهو الإله الحق من الإله الحق، وليرسلهم من ثم ليبشروا بقيامته كشهود لها، ويخبروا بخلاصه لليهود والأمم، ويعود هو بعد أن أتم مهمته إلى المجد الذي كان له قبل كون العالم (يو١٧: ٥).

■ اللقاء الأول :

وقد بدأت لقاءات الرب بالمُخلِصة الأمينة، **مريم المجدلية**، التي أنقذها من موت الخطية، فصارت ضمن خاصته. وهي بكّرت أول الأسبوع – والظلام باقٍ – تبحث عنه ومعها الحنوط. فوجدت الحجر قد دُحرج والقبر فارغاً. فركضت وأخبرت **بطرس ويوحنا**، وجاءت معهما إلى القبر، ووقفت خارجاً حيْرى تبكي. ثم مالت نحو القبر فوجدت ملاكين فسألتهما عن السيد (يو٢٠: ١-١٠)، وبعدها التفتت وراءها فنظرت **يسوع** واقفاً. وظنت في البداية أنه البستاني. ولما ناداها **"يا مريم"** انفتحت عيناها وصدقت أنه الرب القائم، فجاءت وأخبرت التلاميذ (مر١٦: ٩-١١، يو٢٠: ١١-١٨).

■ ثلاثة لقاءات :

في نفس اليوم كان ظهور الرب **للمجدلية ومريم الأخرى** (أم يعقوب)، بعد خروجهما من القبر بخوف وفرح عظيم (مت٢٨: ٨-١٠). ثم كان ظهوره **لبطرس** في أورشليم، الذي يشير إليه الكتاب باقتضاب (لو٢٤: ٣٤، ١كو١٥: ٥). ثم كان لقاؤه **بتلميذي عمواس (لوقا وكليوباس)**، والمساء يزحف على أحد القيامة (مر١٦: ١٢، ١٣، لو٢٤: ١٣-٣٥).

■ اللقاء الخامس: اللقاء الأول بالتلاميذ :

رأينا أن **بطرس ويوحنا** بعد أن أخبرتهما **المجدلية** جاءا إلى القبر، وسبق **يوحنا** ووصل إلى القبر أولاً، ونظر الأكفان ثم دخل بعد بطرس القبر الفارغ **"ورأى فآمن"** (يو٢٠: ٣-١٠)، وصدّق بقيامة الرب مسترجعاً كلمات الرب التي استبقت الأحداث. كما عرف التلاميذ معاً بالقيامة عن طريق **المجدلية** (مر١٦: ١٠، يو٢٠: ١٨) [١]، ثم من **المريمات** (لو٢٤: ٩)[٢]، وعن طريق **بطرس** (يو٢٤: ٣٤) ثم من **تلميذي عمواس** قرب المساء (لو٢٤: ٣٣-٣٥).

+ أما عن حالة التلاميذ قبل أن يلتقي بهم الرب في نهاية يوم القيامة، فمشاعرهم تأرجحت بين **الحزن** على ما جاز فيه الرب، فكانوا **"ينوحون ويبكون"** (مر١٦: ١٠)، وبين **الخوف** من أن تمتد إليهم يد البطش من اليهود، حتى أنهم اختبأوا في أورشليم وراء الأبواب المغلّقة، أي التي بالغوا في إقفالها كي لا يقتحمها العدو (يو٢٠: ١٩).

---

(١) حيث نقلت لهم رسالة الرب **"ولكن اذهبي إلى اخوتي وقولي لهم إني أصعد إلى أبي وأبيكم وإلهي وإلهكم"** فجاءت مريم وأخبرت التلاميذ (يو٢٠: ١٧، ١٨).

(٢) اللائي نقلن إليهم قول الرب **"اذهبا قولا لإخوتي أن يذهبوا إل الجليل وهناك يرونني"** (مت٢٨: ١٠).

وهذا عكَس أن إيمانهم لم يرْقَ لمستوى الحدث، وأن كلمات الرب التي سبق وأشار فيها إلى ما سوف يجري عليه وعليهم لم تحفظها ذاكرتهم، ربما إرادياً إذ لم يبلغ إيمانهم بها حد التصديق واليقين.

+ وهكذا لما جاءتهم أنباء القيامة تراوح رد فعلهم بين **التعجب** (لو٢٤: ١٢)، و**الشك** (مت٢٦: ٣١، مر١٤: ٢٧)، **وعدم التصديق** (مر١٦: ١٣، ١٤، لو٢٤: ٤١)، ورأوا في كلام المريمات المبشّرات **ضرباً من الهذيان** (لو٢٤: ١١). بل حتى لما دخل إليهم الرب، فرغم أنهم سجدوا له خاشعين (مت٢٨: ١٧)، إلا أنه مكتوب أن "**بعضهم شكّوا**" (مت٢٨: ١٧)، وأن بعضهم **جزعوا وخافوا وظنوا أنهم ينظرون روحاً** (لو٢٤: ٣٧).

+ كان لقاء الرب بتلاميذه عشية **أول الأسبوع** – أي أحد القيامة – وهم مجتمعون معاً في علّية صهيون، وقد غلّقوا كل أبوابها بإحكام، ولم يجسروا على الذهاب إلى الجليل بحسب رسالة الرب إليهم.

كانوا **عشرة**، إذ لم يكن معهم **توما**[٣]، كما كان معهم تلميذا عمواس والمريمات وعدد من المحبين "**هم والذين معهم**" (لو٢٤: ٣٣). وجاءهم يسوع مخترقاً، بجسده المقام الممجَّد، الأبواب المغلّقة، وبدخوله إليهم انقشع الخوف، ولما قال لهم "**سلام لكم**" (يو٢٠: ٢١) ملأهم **سلامه** "**الذي يفوق كل عقل**" (في٤: ٧)، واجتاحهم **الفرح** بعد الحزن الثقيل وانكسار القلب.

+ بعد ذلك "**وبّخ الرب عدم إيمانهم وقساوة قلوبهم لأنهم لم يصدقوا الذين نظروه قد قام**" (مر١٦: ١٤). كما وصف من قبل تلميذي عمواس، اللذين حيّرتهم أنباء قيامته، بالغباء وبطء القلوب في الإيمان بالنبوات (لو٢٤: ٢٥).

---

(٣) الذي ربما عاد إلى بيته بعد محنة الصليب والموت، ولما ترامت إليه أخبار القيامة رجع إلى أورشليم وانضم إلى جماعة التلاميذ.

ولكنه فيما بعد أشفق عليهم وأراد أن يساعدهم أن يؤمنوا، فعاتبهم قائلاً: **"ما بالكم مضطربين، ولماذا تخطر أفكار في قلوبكم"** (لو٢٤: ٣٨). وهكذا **"أراهم يديه وجنبه"** (لو٢٤: ٤٠، يو٢٠: ٢٠)، وطلب منهم ملاطفاً أن **"انظروا يدي ورجلي** (تحمل آثار الجراح): **إني أنا هو. جسّوني وانظروا. فإن الروح ليس له لحم وعظام كما ترون لي"** (لو٢٤: ٣٨، ٣٩).

+ ساعتها بدأ **الفرح** يتسلل إلى قلوبهم **"ففرح التلاميذ إذ رأوْا الرب"** (يو٢٠: ٢٠) [٤]، ولكن فرحهم مع هذا كان مختلطاً **بعدم التصديق**، حتى أن الرب عمد مرة ثانية للتأكيد على حقيقة قيامته، وأنه قام بنفس الجسد الذي كان له، والذي عانى الألم والجراح واجتاز الموت لثلاثة أيام، ثم تمجد بالقيامة[٥]؛ هكذا طلب من تلاميذه إن كان عندهم طعام **"فناولوه جزءاً من سمك مشوي وشيئاً من شهد عسل. فأخذ وأكل قدامهم"** (لو٢٤: ٤١-٤٣).

+ وكانت خطوته التالية أن **"فتح ذهنهم ليفهموا الكتب"**، وأن كل ما جرى أشارت إليه النبوات والأقوال المقدسة في ناموس موسى والأنبياء والمزامير (لو٢٤: ٤٤، ٤٥).

+ وبعد هبة **السلام** وعطية **الفرح**، كان **تجديد الإرسالية** التي بدأت قبل ثلاث سنوات **"ها أنا أرسلكم مثل حملان وسط ذئاب"** (لو١٠: ٣)، كأنها فترة التدريب تحت قيادة **"المعلم"** ومتابعته، وهكذا قال لهم في هذا اللقاء **"كما أرسلني الآب أرسلكم أنا"** (يو٢٠: ٢١)، **"اذهبوا إلى العالم أجمع واكرزوا بالإنجيل للخليقة كلها"** (مر١٦: ١٥)، وهي الإرسالية الرسمية هذه المرة المسنودة **بالروح القدس "اقبلوا الروح القدس"** (يو٢٠: ٢٢)، **"وها أنا أرسل لكم موعد أبي فأقيموا في مدينة أورشليم**

---

(٤) لم يكن ممكناً أن يرى أحد الله في كامل لاهوته ويعيش (خر٣٣: ٢٠)، ولكن ها هو الرب **يتيح لنا بتجسده** أن نراه ولا نهلك بل نخلص ونمتلئ سلاماً وفرحاً.

(٥) وكما تنازل وأخذ جسدنا القابل للموت، فقد وهبنا في مجيئه الثاني أن **"يغير شكل جسد تواضعنا ليكون على صورة جسد مجده (الحي إلى أبد الآبدين)"** (في٣: ٢١، رؤ١: ١٨).

إلى أن تُلبَسوا قوة من الأعالي" (لو٢٤: ٤٩).

+ كما أعطى الرب تلاميذه – بنفخة فمه – **الروح القدس**، بصورة خاصة هذه المرة، قبل أن يحل على الكنيسة يوم الخمسين، لكي يحملوا غفران المسيح للتائبين **"من غفرتم خطاياه تغفر له"** وأن يتصدّوا للمقاومين، وأن يعزلوا الخبيث، ولو مؤقتاً، للتأديب حتى يتوب ويرجع **"وإن أمسكتم خطاياه أُمسكت"** (يو٢٠: ٢٢، ٢٣) **"فيكون عند الباقين خوف"** (١تي٥: ٢٠).

+ خرج الرب كما جاء، وبعدها جاء **توما**[٦] الذي خسر اللقاء الأول. كان التلاميذ العشرة قد استثارتهم قيامة الرب ومجيئه إليهم، فما أن كان توما في وسطهم حتى بشّروه بالحقيقة التي كانت قد سقطت من وعيهم ورجائهم **"قد رأينا الرب"!** (يو٢٠: ٢٥).

ولكن يبدو أن **توما** كان قد استبد به اليأس أكثر من جميعهم، فقدم لنا نموذج العقلاني الذي لا يصدق بغير البرهان الحسي، والذي يريد أن يخضع الروحيات لمقاييس الجسديات. كانت أمامه شهادة **عشرة** من رفاق الخدمة تلاميذ السيد معه، ولكنه طرح شهادتهم جانباً واضعاً شروطه للإيمان **"إن لم أبصر في يديه أثر المسامير، وأضع اصبعي في أثر المسامير، وأضع يدي في جنبه** (الغائر) **لا أؤمن"**، أي ليس فقط يبصر أثر المسامير وإنما يلمسها ومعها مكان طعنه بالحربة.

■ اللقاء السادس: اللقاء الثاني مع التلاميذ :

على أن الرب لم يتوقف كثيراً أمام شكوك **توما**، ولكنه في تحننه احتوى ضعفه وقصوره، واختار أن يأتي من جديد للقاء تلاميذه في نفس المكان ومعهم **توما "بعد ثمانية أيام"**، أي يوم الأحد التالي للقاء الأول[٧]. وكما جرى في المرة السابقة، والأبواب مازالت مغلّقة، بما يعني أن خوف

---

(٦) **توما** باليونانية: **ديديموس** أي التوأم.

(٧) الذي أسمته الكنيسة **"أحد توما"**.

التلاميذ لا يزال سائداً، وإيمانهم لا يزال عليلاً، هكذا جاء الرب وسطهم، وبدأ لقاءه بأعظم عطية "**سلام لكم**" ليزيح من قلوبهم الخوف.

ومباشرة وبغير مقدمات يواجه **توما**، الذي من الواضح أن الرب قد جاء هذه المرة من أجله، ومستجيباً لطلب توما السابق بكل شروطه، قال له: **هات اصبعك إلى هنا وابصر يدي. وهات يدك وضعها في جنبي،**[٨] **ولا تكن غير مؤمنٍ بل مؤمناً**" (يو٢٠: ٢٧).

عند هذه النقطة، لم يستطع **توما** أن يتماسك ويضبط مشاعره، وأحس بمدى تجاوزه؛ كما أخجله في المقابل اتساع قلب الله ومحبته ورقته. هكذا رأيناه ينحني ساجداً وهاتفاً "**ربي وإلهي**"، إعلاناً عن عودته من جديد إلى طريق الإيمان الصحيح الذي لا يتطلب براهين مادية أو عقلية، وإنما الذي يستند فقط إلى صدق كلمة الله وأمانته.

بعدها قال له الرب لائماً، ومصوّباً رؤيته: "**لأنك رأيتني يا توما آمنت؟** (فالإيمان هو الإيقان بأمور لا تُرى). **طوبى للذين آمنوا ولم يروا**" (يو٢٠: ٢٩)[٩][١٠].

❁ ❁ ❁

---

(٨) استبقي الرب في جسده الحي آثار الجراح علامة محبة أبدية، وشهادة أنه الجسد الذي صُلب وقام، مجرِّدًا قيامته – التي هي محور الكرازة – من أية شكوك.

(٩) أكد **القديس بولس** على هذا الاتجاه فيما كتبه لمؤمني كورنثوس "**فإذ نحن واثقون كل حين، وعالمون أننا ونحن مستوطنون في الجسد فنحن متغربون عن الرب، لأننا بالإيمان نسلك لا بالعَيان**" (٢كو٥: ٦، ٧).

(١٠) بعد هذين اللقائين مع التلاميذ، كان لقاء الرب **الثالث** (**السابع** في عدد مرّات الظهور) بسبعة منهم كانوا يصطادون والفشل يحاصرهم في بحيرة طبرية بعد أن نزحوا إلى الجليل، وصنع لهم معجزة صيد كبير (١٥٣ سمكة كبيرة)، وأخذ الرب يوزع عليهم الخبز والسمك (يو٢١: ١٠-١٤)؛ (٨) ثم اجتمع بالأحد عشر على الجبل في الجليل وهو لقاء مؤجل منذ البداية بسبب الخوف (مت٢٨: ١٦-٢٠)؛ (٩) ثم بأكثر من خمسمائة أخ (١كو١٥: ٧)؛ (١٠) والتقى **يعقوب بن حلفى** أخا الرب ورئيس مجمع أورشليم وكاتب الرسالة (أع١٩: ١٣، ١كو١٥: ٧)؛ (١١) والذين شهدوا صعوده إلى السماء في أورشليم (لو٢٤: ٤٤-٤٩، أع١: ٣-٨)، (١٢) وأخيراً ظهوره – بعد صعوده – **لشاول الطرسوسي** وهو في طريقه إلى دمشق ليضطهد المسيحيين ودعوته للخدمة فصار **بولس رسول الأمم** (أع٩: ٣-٦، ٢٦: ١٢-١٨، ١كو١٥: ٨).

+ كان الرب يدرك المحنة التي أصابت تلاميذه بما عاناه من آلام وصلب وموت. وبعد أن قام منتصراً، أراد أن يضمّد جراح خاصته الذين **"أحبهم إلى المنتهى"** (يو١٣: ١)، فأرسل إليهم من يبشرهم، ويَعِدْهم أن يأتي إليهم. فالرب هو الذي يتخذ الخطوة الأولى، وهو الذي دبّر خلاصنا وأنقذنا من الموت، وهو الذي اقترب من **مريض بركة بيت حسدا**، الذي لم يكن له أحد، وشفاه على الفور (يو٥: ٦)، وهو الذي اقترب من **تلميذي عمواس** وبادرهما بالسؤال عما يتكالمان به وهما عابسين وكشف لهما عن شخصه المبارك (لو٢٤: ١٥-١٧)، وهو الذي دخل على **تلاميذه** فحوّل حزنهم فرحاً، وملأ قلبهم بالسلام بعد الخوف. وهو الذي يبحث عنا ويفتقدنا، قارعاً أبواب قلوبنا يطلب الدخول إلينا **"هأنذا واقف على الباب وأقرع. إن سمع أحد صوتي وفتح الباب أدخل إليه وأتعشى معه وهو معي"** (رؤ٣: ٢٠).

فلننتبه إلى حضور الرب، فقد نلتقيه في صورة أحد إخوته الأصاغر المحرومين أو المتألمين والمجروحين الذي يحتاجون إلينا، أو عندما نصلي أو عندما نقرأ كلمته، أو نكون في بيته، أو عندما تحاصرنا التجارب فهو يسمح بها لكي نختبر حضوره عندما نستدعيه تحت وطأة الضيقة.

+ في حضور الله يحل **السلام**، فيزول الهم والقلق والخوف (يو٢٠: ١٩، ٢٦)، ويسود **الفرح** ويبقى (يو٢٠: ٢٠)، وينقشع حزن العالم[١١]. وهكذا قال الرب لتلاميذه ليلة آلامه **"ولكنني سأراكم أيضاً فتفرح قلوبكم ولا ينزع أحد فرحكم منكم"** (يو١٦: ٢٢). **والقديس بولس** يحثنا ألا نستسلم للحزن والاكتئاب بل أن نفرح **"افرحوا في الرب**

---

(١١) أي الحزن المتعلق بأمور الجسد والعالم مثل الحزن بغير رجاء على موت الأحباء، أو الخسائر المادية، أو الفشل وغيره الذي لا يليق أن نستطرد فيه، وهذا غير الحزن **"الذي بحسب مشيئة الله"** الذي **"ينشئ توبة بخلاص بلا ندامة"** (٢كو٧: ١٠).

كل حين" (في٤: ٤). وهكذا كتب **القديس يعقوب** في صدر رسالته **"احسبوه كل فرح يا إخوتي حينما تقعون في تجارب متنوعة"** (يع١: ٢). فحضور الله في الضيقة يجردها من أشواكها السامة، فلا تقدر على انتزاع الفرح، ويجعلها مصدراً لتشديد الإيمان ودعمه ليكون مؤهلاً لمجابهة غيرها مما سيأتي في قادم الأيام. كما أن انفراج الضيقة ودحرها يجدد الثقة في مواعيد الله، ويسد كل أبواب الشك في صدقها وتحقيقها. ولكن ينبغي أن ننحاز دوماً إلى الله ووصاياه لنكون أهلاً للتمتع بمساندته، وننأى عن العالم مهما ابتسم لنا **"والعالم يمضي وشهوته، وأما الذي يصنع مشيئة الله فيثبت إلى الأبد"** (١يو٢: ١٧- من الكاثوليكون).

والأمثلة في حياة الكنيسة كثيرة:

+ فلما أخرج ملاك الرب **الرسل** من السجن في الليل، ذهبوا من جديد في الصباح إلى الهيكل يبشّرون. فقدموهم إلى المحاكمة وجلدوهم. ولما أطلقوهم "ذهبوا **فرحين** من أمام المجمع لأنهم حُسبوا مستأهلين أن يهانوا من أجل اسمه (المسيح)" (أع٥: ٤١)؛

+ **والرسولان بولس وسيلا** كانا في سجن فيلبي مستمتعين **بالسلام**، حتى أنهما كانا نحو نصف الليل **"يصليان ويسبحان الله** (جهراً) **والمسجونون يسمعونهما"** (أع١٦: ٢٥)؛

+ وعندما كان **الرسول بولس** في سجن روما، ظل يمارس كرازته كرسول ومبشّر وليس كسجين مربوط بسلسلة إلى حارس يتناوب عليه كل ست ساعات، حتى أن كثيرين ممن حوله قبلوا الإيمان. بل إنه كان يتابع خدمته في الكنائس التي بشرها عن طريق الرسائل ويكتب فيها: **"يسلّم عليكم جميع القديسين ولاسيسما الذين من بيت قيصر** (الذين آمنوا)**!"** (في٤: ٢٢)، فقد كان شعاره **"لست أحتسب لشئ ولا نفسي ثمينة عندي، حتى أتمم بفرح سعيي والخدمة التي أخذتها من الرب يسوع لأشهد ببشارة نعمة الله"** (أع٢٠: ٢٤).

+ على أن وعد المسيح بالسلام والفرح لم يكن فقط لتلاميذه وإنما هو لكل مؤمنيه أيضاً. ومكتوب أنه في الكنيسة الأولى، كان الجميع **"كل يوم يواظبون في الهيكل بنفس واحدة... وكانوا يتناولون الطعام بابتهاج وبساطة قلب"** (أع٢: ٤٦).

+ **السلام والفرح** هما هبات **الروح القدس** (غل ٥: ٢٢) الذي أرسله الرب إلينا بعد صعوده، لكي يمكث فينا ويعزينا ويبكتنا ويذكرنا بكل ما قاله لنا. فسكناه فينا ضرورة حياتية لا يُستغنى عنها لكي نحيا مسيحيين. والكتاب يحذّرنا **"ولا تُحزنوا روح الله القدوس الذي به خُتمتم ليوم الفداء"** (أف٤: ٣٠- من البولس).

+ الرب لم يجد غضاضة أن يُرى التلاميذ يديه ورجليه وجنبه، وطلب أن يجسّوه ويفحصوه ليروا أنه ليس روحاً أو خيالاً [١٢]. وعلينا نحن أيضاً أن نكف عن معرفة الرب **"من بعيد"**، بل أن تكون علاقتنا به وثيقة نلمس فيها جراحات محبته، نلتحم به، نثبت فيه وهو فينا، ونصير واحداً معه وفيه **"مع المسيح صلبت فأحيا لا أنا بل المسيح يحيا فيّ"** (غل٢: ٢٠).

آمين. تعال أيها الرب يسوع.

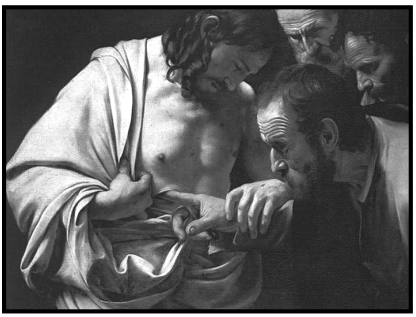

"... وهات يدك وضعها في جنبي ولا تكن غير مؤمنٍ بل مؤمناً"
(يو٢٠: ٢٧)

(١٢) حتى وإن كان جسد قيامته الممجد يمكن أن يكون كثيفاً أو شفّافاً، مرئياً أو غير مرئي، لا يحتاج إلى طعام أو يمكن أن يأكل لكي يؤكد لتلاميذه على حقيقة ناسوته، وأنه هو الذي عاش معهم، وأنه هو الذي صلب ومات ودفن في القبر.

عيد مارجرجس الروماني(*)
أمير الشهداء
(٢٣ برمودة – أول مايو)

وُلد **القديس جرجس** في مقاطعة **كبادوكية** في آسيا الصغرى (وإليها يعود لقبه **الكبادوكي**)(١) (٢٨٠) من عائلة مسيحية ثرية. وكان أبوه **أنسطاسيوس** ذا مركز هام في الإمبراطورية الرومانية أيام **دقلديانوس** حتى أنه عُين أميراً لفلسطين، واسم أمه **ثاؤبستا** (ثيئوبيستا). وكانت له أختان: **كاسيا ومدرونة**.

وقد رباه والداه منذ طفولته وصباه على الإيمان المسيحي ومحبة الله. ولما بلغ ١٤ سنة عرف الإمبراطور بإيمان والده أنسطاسيوس، فهدده بكل وسيلة وضغط عليه لكي يتراجع عن إيمانه ولكنه تمسك بإلهه فأمر الإمبراطور بقطع رأسه.

(*) **القراءات:** رو٨: ٢٨-٣٩، ١بط ٤: ١-١١، أع١٦: ١٦-٣٤، لو٢١: ١٢-١٩.

(١) لتمييزه عن القديسين المصريْن الشهيديْن **مارجرجس الإسكندري**، **ومارجرجس المزاحم** (أي يزاحم أخويه) من دميره (محافظة الدقهلية).

مع تصاعد نوبة الإضطهاد نزحت الأم بأولادها إلى مدينة اللـــد Lud **(لُدّه)** (واسمها القديم **ديو سبولس)** وهي موطنها الأصلي بفلسطين حيث كانت تمتلك أراضٍ هناك.

التحق **جرجس** بالجيش لما كانت سنّه ١٧ سنة، وصار قائـــد مائـــة، ولبسالته منحه الإمبراطور لقب أمير وعيّنه قائداً لخمسمائة جندي. وفيمـــا بعد صار والياً على عدة بلاد.

بعد ثلاث سنوات صار الإيمان المسيحي محرَّماً رسمياً وبـــصورة عامـــة عندما أصدر **دقلديانوس** المنشور رقم (١) بإجبار المسيحيين على عبـــادة الأوثان وإلا يُحكم عليهم بالموت، مما جعل **جرجس** يبـــادر فينطلـــق إلى **نيقوميديا** (أسيا الصغرى) حيث مقر الإمبراطور، ودخل عليه وهو مجتمـــع بحاشيته، وأمسك بمنشور الملك ومزّقه صائحاً فيـــه: **"إلى مـــتى تـــصبّون غضبكم على المسيحيين. أن المسيح هو إلهنا الحقيقي القادر على كـــل شيء"**.

بدا **جرجس** في شجاعته هذه متهوراً لا يخاف، والإمبراطـــور أحـــس بالإهانة والتحدي، فغضب عليه جداً وهدده بالموت إن لم يتراجـــع عـــن مسلكه. ولكنه من جانبه كان قد أعد نفسه للموت، فوزع أمواله وأخلى سبيل عبيده.

مع هذا فقد حاول الإمبراطور ملاطفته وتقديم الوعود والمكافأة إن عاد إلى صوابه (!)، بل وعده بأن يزوجه ابنته. فأوهمه **جـــرجس** بالموافقـــة فأعـــاده الإمبراطور إلى قصره، ولكنه اكتشف أنه لا يزال على إيمانه وأنه يصلي ويسبح إلهه. فبدأ معه سلسلة من العذابات اُستخدمت فيها أفظع الوسائل الوحـــشية، ولكن الرب كان يقيمه سليماً معافى، حتى أنه أثرّ في الجنـــود الـــذين كـــانوا يعذبونه وآمن بعضهم بالمسيح، كما أن ابنة الإمبراطور نفسها هالها صـــموده وإيمانه وثباته، فأعلنت هي أيضاً إيمانها مما جعل أباها في غضبه يقتلها خنقاً.

وجربوا معه القتل بتناول السم، فكان يرشم علامة الصليب على كأس السم، ويتجرعه فلا يضره شيء، على حسب وعد الرب (يو١٤: ١٢).

فاستعان الإمبراطور بساحر اسمه **أثناسيوس**، الذي اقترح عليه أن يُطلب منه إقامة ميت لإثبات زيف إيمانه، ولكن القديس المجاهد رفع قلبه إلى السماء وصلى فقام الميت. وكانت النتيجة أن الساحر نفسه جثا على ركبتيه أمام **جرجس** يطلب العفو ويعلن إيمانه، فكان نصيبه الموت.

واستمر التعذيب **سبع سنوات**[٢]، وهو صامد صابر متمسك بإلهه وإيمانه به، والرب ينجيه ويشفي جراحاته. وقد تأثرت **الإمبراطورة ألكسندرا** باحتماله وما جازه من آلام، فحاولت الدفاع عنه والتأثير على الإمبراطور بالعفو عنه، ولكنه ظل متشدداً/ وهي لم تستطع المقاومة وأعلنت إيمانها، فأمر الملك بقتلها ونالت إكليل الشهادة.

في نهاية المطاف ربطوا القديس في ذيل حصان راكض، وطافوا به شوارع لُدة، وفي النهاية قطعوا رأسه (٣٠٣ أو ٣٠٧)، ونال إكليل الشهادة الذي تمناه، وحمل جسده مؤمن محب اسمه **سقراط** ودفنه. ولما جاء **الملك قسطنطين**، الذي ختم عصر الاستشهاد، شيد له كنيسة كبيرة نقلوا إليها جسده، وجددها **الإمبراطور يوستنيانوس**.

ولما دخل العرب المنطقة هدموا الكنيسة، فأعاد بناءها الصليبيون، ولكن من جديد هدمها القائد **صلاح الدين**، وأُعيد بناؤها، ولا تزال قائمة حتى اليوم على شاطئ البحر المتوسط[٣].

---

(٢) في ذوكصولوجية **الشهيد مارجرجس** في التسبحة: **سبع سنين** أكملها **القديس جيورجيوس** والـ ٧٠ ملكاً المنافقين يحكمون عليه كل يوم ولم يقدروا أن يميلوا أفكاره ولا إيمانه المستقيم ولا عظم محبته في **الملك المسيح**.

(٣) زرنا (في ٢٠١٥) كنيسته الأولى للروم الأرثوذكس في مدينة **اللد**، التي تقع على شاطئ المتوسط **شمال يافا** في فلسطين المحتلة، والتي تحوي القسم الأكبر من رفاته الموضوع في صندوق في مغارة نهبط إليها عبر سلم ضيق من عدد كبير من الدرجات، وفي الداخل أيضاً عدد من السلاسل الحديدية التي قيد بها الرومان الشهيد.

فيما بعد (١٩ أبيب) نُقل جزء من الجسد، إلى **دير القديس مارجرجس بمصر القديمة**، ومعه عدد من السلاسل الغليظة التي كان مقيداً بها. كما تحوي كنيسته في **ميت دمسيس** (دقهلية) جزءاً من الجسد وتحتفل بعيده احتفالاً كبيراً يأمّه الآلاف. ويسمون **مارجرجس "سريع الندهة"** أي سريع الاستجابة للتدخل وانقاذ المتضايقين. وكثيراً ما ظهر كضابط يرتدي زيه الرسمي الأبيض على حصانه السريع. وتتم معجزات كثيرة في عيده سواء الشفاء أو إخراج الشياطين.

وتعيد الكنيسة القبطية بعيد استشهاد **القديس مارجرجس** في ٢٣ برمودة (أول مايو)، وتعيد الكنائس الغربية له في ٢٣ أبريل.

و**القديس جرجس** يحتل مركزاً فريداً بين الشهداء لاحتماله ألوان العذاب، وللمعجزات الكثيرة التي تتم باسمه على مدى السنين.

كما أن دولاً كثيرة في العالم تتخذه شفيعاً أبرزها بريطانيا التي أعلنته رسمياً حامياً للإمبراطورية منذ القرن السابع عشر، وتضع صورته على عملتها المالية، وصار اسم **جورج** رمزاً للإنجليز. كما أنه له موقعه الرفيع في روسيا واليونان والنمسا وأسبانيا والبرتغال شفيعاً ورمزاً للبطولة، وتحتل صورته النياشين.

وأيقونة **القديس مارجرجس** التقليدية تمثّله وهو في ردائه العسكري منتصراً يمتطي حصاناً، ويطعن بحربته تنيناً مخيفاً وعلى البعد تقف فتاة. والتنين يمثل إبليس وكل عناصر الشر وأعداء الكنيسة، والفتاة تمثل الكنيسة أو كل من في ضيقة.

عيـــد مارمرقـــس(*)
(٣٠ برمودة – ٨ مايو)

■ البداية :

يعود أصل **القديس مرقس**، أحد السبعين (لو١٠: ١-١٢) وكاتـــب أقدم الأناجيل القانونية، ومؤسس كنيسة الإسكندرية، إلى مدينة **قورينـــة (سيرين)** وهي ضمن الخمس مدن الغربية[١] Pentapolis وتقع غرب مصر

(*) **إنجيل القداس:** يو٢: ١٢-٢٥.

(١) **المدن الخمس الغربية** كانت خاضعة لحكم البطالمة طوال حكمهم لمصر (القرن الثالـــث قبـــل الميلاد) إلى أن احتلها الرومان (٧٤ ق م)، وكانت تسكنها جالية يهودية غنية كبيرة. وأسماء هـــذه المدن: (١) **كيرين** (أو كيريني أو قورينة أو سيرين Cyrene) (أو إيريانولوس أو أدرنابوليس- درنا) وتقع حالياً في إقليم **برقة** وعاصمته **بني غازي**، وتسمى الجبل الأخضر وقديماً القـــيروان Kirawan (غير التي في تونس) والتي ينتسب إليها **سمعان القيرواني** الذي حمل صليب يسوع (مـــر١٥: ٢١) **ولوكيوس القيرواني** (أع١٣: ١) الذي خدم في أنطاكية، (٢) **باركة** Barca (برقة) أو **بتولمايس**، وحالياً **المرج**، (٣) **أرسينوي** (على اسم أم **بطليموس**) أو توشيرا Taucheira، حاليـــاً **طـــوكرا**، (٤) **برنيس** Berenice (برنيقة، برنيق)، أو Hesperides حالياً بني غازي، (٥) **أبولونيا** Apollonia وحالياً **سوسه**. وبلغ الإيمان الإسكندرية والخمس مدن الغربية بعد يـــوم الخمـــسين (أع٢: ١٠)، وعرفنا عن **أبلوس الإسكندري** الفصيح المقتدر في الكتب الذي أتى من الإسكندرية إلى أفسس ثم إلى كورنثوس يكرز بالمسيح ويفحم اليهود (أع١٨: ٢٤-٢٨، ١كو٣: ٤، ٥).

ضمن حدود ليبيا.

وينتسب **القديس مرقس** إلى عائلة ثرية، وأبوه **أريسطوبولُس** وأمه **مريم**. وهو أصغر من المسيح بثلاث سنوات تقريباً، واسمه العبري **يوحنا** (ومعناه الله حنان أو يتحنن)، ولقبه الأممي **مرقس** (ومعناه مطرقة أو هرّاوة) (أع١٢: ١٢، ٢٥، ١٥: ٣٧).

ولما كانت سن **مرقس** ١٨ سنة، هاجرت أسرته مع يهود كثيرين إلى فلسطين، بعد أن أغار البرابرة على منطقتهم واستولوا على أملاكهم (في عهد **أغسطس قيصر**)، وسكنوا أولاً في **قانا الجليل**، ثم جاءوا إلى **أورشليم**[٢].

■ مرقس وبرنابا:

ارتبطت حياة **مرقس** بخاله **برنابا** المشهود له، ورفيق **القديس بولس** في خدمته (أع١١: ٢٢-٢٤، ٣٠، ١٣: ٢،كو٤: ١٠)، والذي عاش فترة في قبرص (أع٤: ٣٦). كما ارتبط **مرقس** أيضاً **بالقديس بطرس** الذي كان زوجاً لابنة عم أو خال أريسطوبولس أبيه، وكان **مرقس** له بمثابة الابن بسبب فارق السن (١بط٥: ١٣). كما يذكر البعض أيضاً أنه يمتّ بقرابة إلى **توما الرسول**.

■ بيت مرقس:

هكذا تضافرت هذه العلاقات لكي يصير **مرقس** أيضاً واحداً من جماعة المسيح المؤمنة به والكارزة باسمه. كما كانت أمه إحدى المريمات التي تبعن المسيح مع سائر النساء، كما كانت في العلية يوم الخمسين. بل أن بيت عائلته صار مكان اجتماع المعلم بتلاميذه، وفي أعلاه كانت **علّيّة صهيون**، المكان المفضل للرب (مر١٤: ١٥)، وفيه غسل الرب أرجل

(٢)يذكر سفر الأعمال أن يهود الإسكندرية والقيروان كوّنوا جالية مستقلة لها مجمعها (أع٦: ٩).

تلاميذه وأكل الفصح معهم (مر١٤: ١٣-١٦، لو٢٢: ١٠-١٢) ورسم سر الإفخارستيا (مت٢٦: ٢٦-٢٩، مر١٤: ٢٢-٢٥، لو٢٢: ١٩، ٢٠)، وفيه اختبأ التلاميذ بعد الصليب والموت (لو٢٤: ٣٣، يو٢٠: ١٩)، وظهر لهم فيه الرب بعد قيامته (لو٢٤: ٣٦-٤٠، يو٢٠: ١٩-٢٩)، وفيه حلّ الروح القدس **يوم الخمسين**، ومنه انتشر الإيمان إلى العالم كله (أع١: ١٣، ١٤، ٢: ١-٤).

هكذا صار **بيت القديس مرقس** في أورشليم أول كنيسة في العالم (أع١٢: ١٢)، ومركزاً لأول جماعة مؤمنة للشركة والصلاة وكسر الخبز، وفيه صلّت الكنيسة من أجل بطرس وهو في السجن، وبعد خروجه جاءهم فيه (أع١٢: ٥، ١٢)[٣].

■ خدمته أيام الرب ومع القديس بولس:

بدأ **القديس مرقس** خدمته بعد أن عيّنه الرب ضمن **السبعين**[٤] غير الاثنى عشر (لو١٠: ١-٢٤)، وهو تبع الرب خلال سنوات خدمته وسمع تعاليمه ورأى معجزاته، ويذكر التقليد أنه كان ضمن من حضروا عرس قانا من الرسل. وسجَّل خدمته ومعرفته هذه في إنجيله الذي يعتبر أقدم الأناجيل الأربعة، ولكنه لا يشير إلى نفسه ولو بالرمز[٥]. كما لم يخْفِ أنه هرب كسائر

---

(٣) وهو صار أيضاً مقراً **للقديس يعقوب** (ابن حلفي) **وأسقفية أورشليم**، وعُقد فيه المجمع الأول (أع١٥: ٦)، ثم صار كنيسة باسم العذراء، هدمت سنة ٧٠ مع هدم الهيكل وأورشليم، وأُعيد تجديدها، وصارت منذ القرون الأولى مقراً للأسقفية السريانية في القدس.

(٤) في عيد **القديس مرقس** (٣٠ برمودة) نلاحظ أن كل القراءات عن اختيار الرسل وعملهم وسلطانهم، تأكيداً على أنه من السبعين.

(٥) يجمع الآباء والدارسون، لأن الرب صنع الفصح في **بيت مرقس**، أن **القديس مرقس** كان هو الرجل حامل جرة الماء الذي عناه الرب بقوله لتلميذيه **"اذهبا إلى المدينة فيلاقيكما إنسان حامل جرة ماء. اتبعاه. وحينما يدخل فقولا لرب البيت أن المعلم يقول أين المنزل حيث آكل الفصح مع تلاميذي. فهو يريكما علية كبيرة مفروشة معدة. هناك أعدّا لنا"** (مر١٤: ١٣-١٥، لو٢٢: ١٠-١٢).

التلاميذ، عندما أمسك بالرب أعداؤه وساقوه إلى الصليب[٦].

وبعد **حلول الروح القدس** يوم **الخمسين**، انطلق **مرقس** يكرز بالخلاص. وساعده أنه كان قد تعلم في صغره اليونانية واللاتينية والعبرية، ودرس العهد القديم. وكانت بدايته مع **القديس بولس**، الذي كان خاله **برنابا** أول من اقترب من **شاول** بعد إيمانه (سنة ٣٨)، وقدمه إلى سائر التلاميذ، الذين كانوا يخشونه في البداية (أع٩: ٢٧). كما ذهب **برنابا** إلى **طرسوس** وجاء **بالقديس بولس** إلى أنطاكية، وحمل العطايا إلى فقراء أورشليم (سنة ٤٤- ٤٥) بناء على تكليف الكنيسة (أع١١: ٢٥، ٣٠).

هكذا رتبت النعمة أن يرافق **مرقس** اثنين من الكبار: خاله **برنابا** ورسول الأمم **بولس**، في خدمة أورشليم (أع١٢: ٢٥)، ثم في **الرحلة الكرازية الأولى** (حوالي ٤٥ أو ٤٧-٤٩)، حيث عبروا البحر من **سلوكية** (ميناء أنطاكية القديم) إلى **قبرس** (أع١٣: ٣)، ثم أقلعوا من **بافوس** إلى **برجة بمفيلية** (٤٥)، وهنا فارقهما مرقس وعاد إلى أورشليم (أع١٣: ١٣)، مما أعتبره **القديس بولس** تحللاً من الالتزام والجدية الواجبة.

وبعد أن أكمل **بولس وبرنابا** عملهما عادا إلى **أنطاكية**، ثم كُلِف مع آخرين بالذهاب إلى أورشليم لمناقشة مسألة **الختان** التي ينادي بها البعض كشرط ملازم للإيمان. وانعقد **المجمع الرسولي الأول** (٤٩) الذي تكلم فيه **بطرس ويعقوب**، وانتهوا إلى أنه يجب فقط الامتناع عن ذبائح الأصنام والدم والمخنوق والزنا، وحمل الرسالة **بولس وبرنابا** (ومعهما **يهوذا برسابا وسيلا**) إلى الكنيسة في أنطاكية.

---

(٦) **"وتبعه شاب لابس إزاراً، فأمسكه الشبان فترك الإزار وهرب منهم عارياً"** (مر١٤: ٥١).

ومع بدء **الرحلة الثانية** التي عبر فيها **بولس** إلى أوروبا (٥٠-٥٢)، طلب **برنابا** أن يرافقهما **مرقس**، ولكن **بولس**، وقد ساءه تصرف **مرقس** السابق رفض أن يكون **مرقس** معهما، واضطر **برنابا** للانسحاب من الرحلة، وعاد مع **مرقس** بحراً إلى **قبرس** التي استشهد فيها **القديس برنابا** (أع١٥: ٣٦-٣٩). ويختفي اسم **مرقس** من سفر الأعمال لحوالي عشر سنوات، بعدها نرى المياه تعود إلى مجاريها مع **القديس بولس**، الذي بحسب رسالته من سجنه الأول في روما (٦١- ٦٣) إلى **أهل كولوسي** (٦٢)، نجد **مرقس** ضمن خاصته الذين حوله في سجنه، مع **تيخيكُس وأُنسيمُس وأرِسترخُس** ويقول عنهم "**العاملون معي لملكوت الله الذين صاروا لي تسلية**" (أي الذين خففوا عنه محنة السجن)، وهو يوصي الكولوسيين **بمرقس** عندما يأتي لخدمتهم (كو٤: ١٠، ١١)، كما يذكر اسمه أيضاً في **رسالته لفليمون** (فل٢٤).

ولما كان **القديس بولس** في سجنه الثاني (بين عامي ٦٤ و ٦٧) قبل استشهاده، وفي رسالته الثانية إلى **تيموثاوس**، نعرف أن **مرقس** يخدم معه في أفسس، و**القديس بولس** يطلب من **تيموثاوس** أن يأتي سريعاً وأن يُحضر **مرقس** معه "**لأنه نافع لي للخدمة**" (٢تي٤: ٩-١١).

■ عن خدمته خلال سنوات الغياب في سفر الأعمال:

هناك عدة روايات: **الأولى** ترجح ذهاب **القديس مرقس** وحده إلى مسقط رأسه (٤٢)، في السنة الأولى لحكم **كلوديوس قيصر**، وربما قبل ذلك بسنتين أو ثلاث أيام حكم **كاليجولا**، حيث قضى سنتين في **كيريني**، وأسس فيها أول كنيسة، كما أسس كنائس ورسم أساقفة في باقي الخمس مدن الغربية، ثم ذهب إلى **الإسكندرية** وأمضى فيها حوالي سبع سنوات يبشر ويؤسس كنيستها.

بعدها عاد إلى **أورشليم** وحضر المجمع الأول (٥١)، وانطلق لملاقاة **القديس بولس** في روما، وذهب لخدمة **كولوسي وأفسس**، ورافق **تيموثاوس** في زيارته **للقديس بولس** في سجنه الأخير، وبقى في **روما** حتى استشهاده (٦٨). بعدها سافر شمالاً في إيطاليا إلى **البندقية** يبشرها بالإنجيل. ومن جديد يعود إلى **الخمس مدن**، حيث رسم **لوكيوس القيرواني** كأول أسقف عليها (الذي استشهد وقت استشهاد **القديس مرقس**)، ثم إلى **الإسكندرية** للمرة الثانية حيث استشهد (٦٨) في عيد القيامة.

و**الرواية الثانية** تقول بأن **القديس بطرس**[٧] **وزوجته** و**القديس مرقس** نزلوا إلى مصر للكرازة وافتقاد الجالية اليهودية في بابليون والإسكندرية. وكان اليهود في بابليون منذ الزمن القديم لا يتكلمون اليونانية، فكان وجود **مرقس**، الذي يعرف اليونانية واللاتينية والعبرية (الآرامية)، مساعداً لخدمة **القديس بطرس**، الذي كتب هناك **رسالته الأولى** للأمم الذين تشتتوا من جراء الاضطهاد في أورشليم (١بط ٥: ١٣)، بعدها عاد إلى أورشليم وفيها أيضاً كتب **القديس مرقس** إنجيله (٦١) (بحسب القديس يوحنا فم الذهب)، ثم ذهب إلى الإسكندرية.

---

(٧) يدعم هذا الاتجاه أن سفر الأعمال يذكر أن **القديس بطرس** بعد خروجه من السجن "**رحل إلى مكان أخر**" (أع١٢: ١٧) (حوالي ٤٣) ويقصد بهذا المكان **مصر** (بابلون أو بابليون) الذي يشير إليه في ختام رسالته الأولى "**تسلم عليكم الجماعة المختارة في بابل ومرقس ابني** (وهم اليهود المتنصرون المقيمون هناك الذين آمنوا يوم الخمسين)" (١بط٥: ١٣). على أن البعض يقول أن **القديس بطرس** قصد ببابل: **روما** بالمجاز (كما يذكر سفر الرؤيا- ١٨: ٢، ١٦، ١٨، ١٩، ٢١، الذي استخدم هذا الرمز بعد استشهاد **القديس بطرس** بثلاثين سنة)، وهدفهم أن يجعلوا علاقة **القديس بطرس** بروما تعود إلى هذا العصر المبكر (ولكن من الصعب ألا يذكر اسم **روما** الشهيرة ويستخدم اسم **بابل**)، أو أنها **آشور**، ولكنها لم تكن ضمن الولاية الرومانية، فنسبتها إلى **بابليون** مصر تبدو الأكثر احتمالاً، رغم أن بابليون تبدو مجهولة للكنائس الغربية، والتي فقدت مجدها السابق ولا تستحق أن يُكتب عنها.

أما بحسب **الرواية الثالثة** فإن **برنابا** أخذ **مرقس** ابن أخته من قبرس إلى الإسكندرية، بعدما رفض بولس أخذه في رحلته الثانية، حيث كرزا هناك معاً.

■ بين القديس مرقس والقديس بطرس:

هناك توجه واضح في الكنيسة الغربية للإعلاء من شأن **القديس بطرس** على حساب **القديس مرقس**، والإقلال من شأنه لدرجة أنهم يجردون **القديس مرقس** من إيمانه فترة تجسد الرب، وأنه قبل الإيمان على يد **القديس بطرس** بعد قيامة الرب (بالرغم من أن المعروف أن **بيت أم مرقس** شهد فصولاً كبيرة من خدمة الرب). بل أنهم ينسبون **إنجيل القديس مرقس** في حقيقته إلى **القديس بطرس** وأنه من إملائه[٨]، وهو الذي أرسله من **روما** لكرازة أهل البندقية. كما ينسبون الفضل في كرازة **القديس مرقس**، في مصر والخمس مدن الغربية، إلى **القديس بطرس**، ويعوّلون كثيراً على عبارة القديس بطرس "**مرقس ابني**" (١بط٥: ١٣)، ويفسروها على أنه ابنه في الإيمان وليس بسبب فارق السن المعروف.

وسفر الأعمال يسجل مرافقة **القديس مرقس للقديس بولس** في رحلته الكرازية الأولى، وأيضاً وهو في سجنه الأول في **روما**، وإرساله للخدمة إلى **كولوسي**، وطلبه أن يأتي إليه من **أفسس** مع **القديس تيموثاوس** وهو في سجنه الثاني في روما (٦٧) قبل استشهاده. وسفر الأعمال يسجل مشاركته الخدمة مع عدد من الرسل، ولكن ليس مع **القديس بطرس**. **فمرقس** لم يكن يوماً خادماً أو تلميذاً **لبطرس** وإنما خادماً للمسيح وأحد السبعين.

---

(٨) ذكر **البابا بولس السادس** ذلك يوم تسليم جزء من رفات **القديس مرقس** في روما إلى وفد الكنيسة القبطية في ١٩٦٨/٦/٢٢.

وقبل هذا كله فهم ينادون بأن **القديس بطرس** سبق **القديس بولس** في الكرازة بالمسيح في **روما** وهو أسقفها الأول. ولأنهم يعتقدون أن الرب أعطى **بطرس** وحده مفاتيح ملكوت السموات، أي جعله رئيس التلاميذ، فيصير بالتالي كرسي **روما** هو الكرسي الأول والأعلى بين الكراسي الرسولية.

ولكن الكتاب يسجل أنه بحسب ترتيب الرب وجماعة التلاميذ، صار **القديس بولس** رسولاً للأمم (أع٩: ١٥، ٢٢: ٢١، غل٢: ٧-٩)، وسائر الرسل، و**بطرس** تحديداً، للختان (اليهود)[٩]. وبالتالي فإن **القديس بولس** هو المؤهل للكرازة في **روما**، وهو (٥٨) كاتب **الرسالة إلى رومية**[١٠] وحامل الجنسية الرومانية. وهو الذي سعى للذهاب إلى **روما** كي يرفع دعواه إلى قيصر، وهو يعرف اللغتين اليونانية واللاتينية، إلى جانب الآرامية طبعاً.

وبالفعل فإن **القديس بولس** - بحسب سفر الأعمال - وصل إلى روما بعد رحلة قاسية كاد فيها أن يغرق في البحر، وأقام فيها سنتين (٦١-٦٣)

---

(٩) على أن كرازة **القديس بطرس لكرنيليوس** قائد المئة من الكتيبة الإيطالية (أع١٠، ١١) في **قيصرية**، كانت بأمر الرب ولفتح الباب للكرازة للأمم بغير تحفظ، باعتبارهم بحسب الشريعة الموسوية نجسين. وكانت كرازة **القديس بطرس** له هي الاستثناء الذي يثبت القاعدة، وخاصة أن **القديس بطرس** كيهودي كان يتحفظ من التعامل مع الأمميين، فجاءته الرؤية أنه لا يوجد في البشر خليقة الله ما هو دنس أو نجس (أع ١٠: ١٥، ٢٨، ١١: ٩). وفي رسالة **غلاطية** المكتوبة بعد هذه الحادثة بستة عشر عاماً يذكر **القديس بولس** تعيينه رسولاً للأمم و**بطرس** للختان (غل٢: ٧-٩).

(١٠) كان **للقديس بولس** مبدأ يشير إليه في هذه الرسالة: **"كنت محترصاً أن أبشر هكذا. ليس حيث سُمي المسيح لئلا أبني على أساس لآخر"** (رو١٥: ٢٠). فلو كان **القديس بطرس** قد بشر قبله في **روما** لما بشّر فيها القديس **بولس**. وبحسب **القديس أوريجانوس** (١٨٥-٢٥٤) فأن **القديس بطرس**، كما ذكر في رسالته الأولى، بشر في اليهودية ثم أنطاكية وبنطس وغلاطية وكبادوكية وأسيا وبيثينية (١بط ١: ١)، وذهب إلى روما في أواخر حياته مقبوضاً عليه للمحاكمة (٦٥) واستشهد مصلوباً منكس الرأس.

يكرز بالإنجيل في سجنه (أع٢٨: ٣٠-٣١)، وأرسل من سجنه (٦٢) أربع رسائل إلى أفسس وفيلبي وكولوسي وإلى فليمون. ومكتوب أنه التقى مع وجهاء اليهود (أع٢٨: ١٦، ١٧) الذين لم يكونوا يعرفون شيئاً عن المسيح. فأين هي إذاً كرازة **القديس بطرس** التي سبقته (والتي قيل أنها كانت سنة ٤٢ أو ٤٩)؟ ونعرف أن **القديس بطرس** كان خادماً عظيماً ومبشراً ممتلئاً بالروح والقوة، وعظته يوم الخمسين غيرت ثلاثة آلاف، مما يدل على أن **القديس بطرس** لم يبشر في روما قبل **القديس بولس**.

وكيف لا يذكر **القديس لوقا** شيئاً عن كرازة **القديس بطرس** في روما التي قضى فيها كما يقولون ٢٥ سنة، مع أنه لم تفُتْه تفاصيل كثيرة صغيرة (منها أن **القديس بولس** حلق شعر رأسه في كنخريا- أع١٨: ١٨)!!

■ عن كرازة القديس مرقس في الخمس مدن ومصر (الإسكندرية):

وصل **القديس مرقس** إلى **الإسكندرية** قادماً من **الخمس مدن الغربية**، راجلاً فيما يبدو، حتى أن حذاءه تهرأ في المسيرة الطويلة، وصادفه اسكافي فدخل إليه طالباً إصلاح حذائه. وفجأة صرخ الإسكافي وقد دخل المخراز في يده وأصابه بجرح، وصاح باليونانية: **ايس ثيئوس**، (يا الله الواحد). فكان هذا مدخل **القديس مرقس** لتبشير الإسكافي (وكان اسمه **أنيانوس** أو **حنانيا**) بالإله الحقيقي، بعد أن مد يده وشفى جرحه. واستضافه أنيانوس وأعلن إيمانه وعمّده هو وأهل بيته[١١]، وصار بيته أول كنيسة بالإسكندرية. كما سامه فيما بعد أول أسقف لكنيسة الإسكندرية من بعده، ورسم معه ثلاثة كهنة وسبعة شمامسة.

وخلال سنوات خدمته في **الإسكندرية**، أسس **القديس مرقس** مدرسة **الإسكندرية** اللاهوتية العريقة، التي تخرج فيها كبار اللاهوتيين، وعيّن

---

(١١) قيل أنه كان في **مريوط** (غرب الإسكندرية) وقتها جماعة يهودية ممن كانوا قد آمنوا يوم الخمسين في أورشليم، وفي القرنين الثاني والثالث كان بها عشرات الأديرة.

يسطس لإدارتها (وهو صار فيما بعد أسقف الإسكندرية السادس)، وفي القرون التالية توالى على إدارة مدرسة الإسكندرية القديسون **بنتينوس** (١٨٠) و**كليمندس** (١٩٠-٢٢٠) و**أوريجانوس** (٢٢٥-٢٥٤) ثم **ديونيسيوس** (٢٣٣).

■استشهاده:

وفي السنة الرابعة عشرة لحكم **نيرون**، وكان المسيحيون يحتفلون بعيد القيامة (٢٩ برمودة) وصادف ذلك عيد الإله سيرابيس، فقبض الوثنيون على **القديس مرقس**، وربطوه بحبل غليظ (في ذيل حصان) وأخذوا يجرّونه في شوارع الإسكندرية، وهم يصيحون "**جروا التنين (الثور) إلى مرعى البقر (بوكاليا)**"، حتى تمزأ جلده وأُثخن جسده بالجراح، ثم ألقوه في السجن. فظهر له ملاك الرب ليعزيه ثم ظهر له المخلص. وفي اليوم التالي أخذوه وسحلوه من جديد وهو يصلي من أجلهم، حتى أسلم الروح شهيداً من أجل سيده (وسنّه ٦٥ -٦٦ عام). وبعد موته أرادوا حرق جسده، ولكن هبت عاصفة ممطرة أطفأت النيران. وأخذ المؤمنون جسده ودفنوه في الكنيسة التي دعيت على اسمه(١٢).

■عن جسد القديس مرقس:

ظل جسد **القديس مرقس** مدفوناً في مكانه حتى سنة ٦٤٤م، (وكانت الكنيسة منذ ٤٥١ قد صارت في يد الروم الملكانيين) إلى أن جاء بعض البحارة الإيطاليين وسرقوا الرأس (سنكسار ٨ طوبة)، ولكن الواقعة أُكتشفت وأُبلغ بها **عمرو بن العاص**، الذي كان قد فتح مصر، وأمر

---

(١٢) في **بوكاليا** (مرعى البقر) التي تطل على الميناء الشرقية. (٣٠ برمودة، الذي كان يقابل ٢٥ أبريل، الذي تحتفل فيه الكنائس الغربية بعيد استشهاده، وهو يقابل عندنا ٨ مايو بسبب التعديل الجريجوري).

بعقاب السارقين، وسلّم الرأس للبطريرك الـ ٣٨ **البابا بنيامين** (٦٢٣- ٦٦٢) الذي كان متخفياً في الصعيد، وأعطاه عشرة آلاف دينار. فبنى لرأس **القديس مرقس** كنيسة سُميت **المعلقة** في شارع المسلة جنوب الإسكندرية، بينما ظل الجسد في حوزة الملكانيين في بوكاليا. وقيل أنه لما حاول الروم الاستيلاء على الرأس، نُقلت إلى **دير القديس أنبا مقار** حيث كان يختفي **البابا زخارياس** (١٠٠٤-١٠٣٢). ثم انتقلت إلى بيوت عدد كبير من كبار الأقباط وبعدها أُعيدت إلى الكنيسة وبُني لها ضريح خاص بها. وفي أيام **البابا بطرس السادس** (١٧١٨-١٧٢٦)، تم وضعها مع عظام قديسين لإخفائها.

وحتى بداية القرن الثامن عشر، كان كل من الآباء البطاركة في اليوم التالي لرسامتهم يأتون إلى الكنيسة بصحبة الإكليروس، ويحتضن الرأس المقدس، أو يتبارك منها مع الشعب، ويجدد الكسوة المحيطة بها. ثم توقف هذا التقليد في عهد البابا بطرس الـ ١٠٤ لحماية رأس القديس مرقس بعد أن تعرضت للسرقة أكثر من مرة.

أما عن الجسد، فقد حدث في القرن التاسع (بين ٨١٥ و٨٢٩) أن جاء بحارة من البندقية واحتالوا على الكهنة لأخذ الجسد بقصد حمايته، ومن ثم إعادته بعد هدوء الأحوال، ووضعوه في كنيسة بالبندقية أحترقت في ٩٧٧. ثم بنوها مكانها كنيسة كبرى (١٠٥٢)، استُكمل بناؤها في القرن الثامن عشر، وجرى تجديد وترميم القبة سنة ١٩١٢[١٣].

(١٣) تُبنى حالياً في **البندقية** كاتدرائية قبطية على اسم **القديس مرقس** تشرف عليها إيبارشيتنا في ميلانو (الأنبا كيرلس النائب البابوي لكنائس أوروبا).

■ عودة الجسد إلى مصر:

وفي عهد **البابا كيرلس السادس** (الـــ ١١٦)، وبمناسبة احتفال كنيستنا بمرور تسعة عشر قرناً على **استشهاد القديس مرقس**، جرت محادثات مع **الفاتيكان** لاستعادة الجسد. وتمت الموافقة على إعادة جزء من الرفات المودع في كاتدرائية **مدينة البندقية**. وجرى احتفال بهذه المناسبة في **الفاتيكان** (١٩٦٨/٦/٢٢) بحضور **البابا بولس السادس** ووفد من مطارنة الكنيسة القبطية، الذين جاءوا بالجسد إلى مصر، ووصلوا لمطار القاهرة فجر ١٩٦٨/٦/٢٤. وكان **البابا كيرلس** والمطارنة في استقبال الجسد، وحمله البابا على كتفه، ونزل به على سلم الطائرة، والشمامسة يرتلون الألحان.

وفي اليوم التالي (١٩٦٨/٦/٢٥) كان الاحتفال بافتتاح **كاتدرائية القديس مرقس**، بحضور رئيس الجمهورية **جمال عبد الناصر وإمبراطور أثيوبيا هيلاسلاسي** والمطارنة والأساقفة وكبار رجال الدولة والشعب القبطي، ووُضع الجسد في موقع أُعد له خصيصاً في مبنى الكاتدرائية.

واحتفلت **البندقية** أيضاً بهذه المناسبة في العام التالي (٢٥ أبريل ١٩٦٩)، وشارك في الاحتفال وفد كنسي قبطي من المطارنة والأساقفة يتقدمهم **الأنبا ميخائيل** مطران أسيوط الراحل.

■ عن إنجيل القديس مرقس:

إنجيل مرقس هو **أقدم الأناجيل الأربعة** بشهادة الدارسين وآباء الكنيسة، والذي اعتمد عليه **القديسان متى ولوقا**. ويعود تاريخ كتابته إلى ما قبل خراب أورشليم (مر١٣، ١٤) (بين عامي ٤٠، ٦٧). وكتبه باليونانية **للأمم** (خاصة **الرومان**)، وهناك من يقول أنه كتبه باللاتينية ثم

تُرجم إلى اليونانية[١٤]. ويلاحظ أنه كان يُترجم الكلمات الآرامية الغير مفهومة للأمم (مر٣: ١٧، ٥: ١٤، ٧: ١٤، ٩: ٤٣، ١٤: ٣٦، ١٥: ١٢، ٣٤)، كما كان يشرح الغامض في السياق (مر٧: ٢-٤، ٢٦، ١٤: ١٢، ١٢: ١٨، ٤٢، ١٥: ٤٢). وبالمقابلة مع **إنجيل القديس متى** الذي كتب **لليهود**، يُلاحظ قلة اقتباس هذا الإنجيل من العهد القديم.

و**إنجيل مرقس** إنجيل مركّز وأقصر الأناجيل (١٦ أصحاحاً)، وإن كتب أحداث المحاكمات بالتفصيل باعتبار أن الصليب والقيامة هما محور الإنجيل. ولاشك أنه استقى من **الرسول بطرس** ما لم يكن رآه أو يعرفه من جوانب حياة الرب. كما أنه نقل إلى **القديس بولس** ما رآه من حياة المسيح. وعندما كتب **القديس بولس "فإنني سلمت إليكم في الأول ما قبلته أنا أيضاً.... حسب الكتب"** (١كو١٥: ٣، ٤) فهو يقصد بالكتب هنا (إضافة إلى **العهد القديم**) **إنجيل القديس مرقس** الذين كان متاحاً وحده في حياة **القديس بولس**.

و**القديس مرقس** هو أول من استخدم كلمة "**إنجيل**" ويقصد به الكرازة أو البشارة المفرحة (مر١: ١، ١٤، ١٥، ٨: ٣٥، ١٠: ٢٩، ١٣: ١٠، ١٤: ٩، ١٦: ١٥). ويبدأ إنجيله مباشرة **"بدء إنجيل يسوع المسيح ابن الله"** (مر١: ١)، فالإنجيل ينتسب إلى **يسوع المسيح**، وهو **ابن الله**.

وهو في السياق يخفي نفسه تماماً ولا يخاطب القارئ، فقط هناك إشارتان خفيتان عنه في شخص **"حامل جرة ماء"** الذي أعد الفصح، و**"الشاب الذي تبع المسيح من بعيد وهرب عارياً لما أمسك به الشبان"**.

---

(١٤) في المراجع أن **القديس مرقس** ربما كتب إنجيله على مراحل: **بالآرامية** أثناء الخدمة مع **القديس بطرس** الذي استقى منه ما لم يره من الأحداث، **واللاتينية واليونانية** أثناء الخدمة مع **القديس بولس**، ثم في الإسكندرية **باليونانية**. وهناك من يقول بكتابته في **روما** بعد استشهاد القديسين **بطرس وبولس**.

وهو في ذكره **سمعان القيرواني** بالاسم، واسمي ابنيه، يكشف أنه يعرفه وأنه يعود إلى بلدة نشأته (**القيروان** إحدى الخمس مدن).

▪القديس مرقس في الطقس الكنسي:

الكنيسة تلقب **القديس مرقس ناظر الإله (ثيئوريموس)**، كما تقرنه بالإنجيل فتسميه **مارمرقس الإنجيلي (ايفانجيليستيس)**. وهي تستخدم القداس الإلهي الذي وضعه **القديس مرقس**، والذي أكمله وأضاف إليه **القديس كيرلس** والمعروف بالتالي **بالقداس الكيرلسي**.

وترسم الأيقونة **القديس مرقس** جالساً يكتب إنجيله و**أسد** وديع يربض عند قدميه. ويعود الأمر إلى أن **إنجيل القديس مرقس** يبدأ بزئير الأسد **"صوتُ صارخٍ في البرية.."** (مر١: ٣). كما أن **الأسد** هو رمز **إنجيل مرقس** ضمن **الأربعة أحياء المذكورة في سفر الرؤيا** (رؤ٤: ٧). ولما اتخذ إيطاليو البندقية **القديس مرقس** شفيعاً لهم أقاموا تمثالاً في ساحة كنيسة **القديس مرقس** على شكل أسد مجنح هو رمز البندقية.

كما يسجل التاريخ أيضاً أن **القديس مرقس** ووالده **أريسطوبولس**، وهما في طريقهما إلى الأرض المقدسة، لاقاهما **أسد** ولبؤة. فطلب أبوه إليه أن يهرب وأنه هو للذي سيتعرض للوحشين ويفدي ابنه، ولكن **مرقس** لم يخَف وصلى فاستكان الأسد واللبؤة، و لم ينلهما أذىً حتى أن أباه آمن بالرب.

❋ ❋ ❋

كل الأجيال المسيحية في بلادنا مَدينةٌ بالإيمان **للقديس مرقس** الذي استشهد على أرضنا، وأعطانا **إنجيل يسوع المسيح**، بل ورسم للكنيسة كيف تصلي وتجتمع في سر الإفخارستيا، وهو هيّأ الطريق لآلاف الشهداء من بعده، ومئات الآباء يقتفون خطاه ويعلمون الإيمان.

ويا أبانا **القديس مرقس** ابن بلادنا، ومبشرنا بمخلص العالم، صلِّ عنا أمام العرش الإلهي ليغفر الرب لنا خطايانا.

٣

أعياد شهر بشنس

- **عيد الصعود**
  - الصعود الإلهي بين عمل المسيح وحياة المؤمنين
- **عيد رئيس الملائكة ميخائيل (١٢ بشنس - ٢٠ مايو)**
- **عيد القديس باخوميوس أبي الشركة (١٤ بشنس - ٢٢ مايو)**
- **عيد دخول المسيح أرض مصر (٢٤ بشنس - أول يونيه)**
- **عيد العنصرة**
  - قوة من الأعالي
  - الروح القدس بين العهدين

■ عيـــد الصعـــود (*)

الصعود الإلهي
بين عمل المسيح وحياة المؤمنين

بعد أحداث **الصليب** الدامية، يوم الجمعة، وما رافقها من تخلى معظـــم التلاميذ عن سيدهم، وإنكار أحدهم له، وتطوع واحد منـــهم لتـــسليمه لأعدائه مقابل ثلاثين من الفضة! ومن ثم انطواء التلاميذ على أحزانهم بعد موت المعلم ولجوئهم إلى عُليّة أحكموا غلق أبوابها تحت وطـــأة الخـــوف، جاءت **قيامة السيد** فجر الأحد لتبدد ظلمات الخوف واليـــأس والحـــزن ولتغمر التلاميذ بفيض من الفرح والسلام والقوة.

وخلال أربعين يوماً تالية كان الرب يظهر لتلاميذه ويحدثهم عن الأمور المختصة بملكوت الله (أع ١:٣)، ويمنحهم السلام والمجاهرة محل الخـــوف والانطواء، ويعدّهم للكرازة بالخلاص الذى تم. واختار الرب أن يكون لقاؤه

(*) **القراءات: عشية:** مز ٦٨: ٣٢-٣٤، لو٩: ٥١-٦١؛ **باكر:** مز٦٨: ١٨، ١٩، مر١٦: ١٢-٢٠؛ **القداس:** ١تي٣: ١٣-١٦، ١بط٣: ١٥-٢٢، أع١: ١-١٤، مز٢٤: ٧، ٨، لو٢٤: ٣٦-٥٣.

الأخير مع تلاميذه على جبل الزيتون الذى طالما اجتمع مع تلاميذه عنده، وقال لهم كلماته الأخيرة بألا يبرحوا أورشليم انتظاراً **لموعد الآب** (يو ١٤:١٦، ٢٦، ١٥:٢٦)، عندما يتوشحوا بقوة الروح القدس ويخرجوا للشهادة للمسيح، بدءاً من أورشليم وإلى أقصى الأرض (أع ١:٤-٨). ثم أخرجهم خارجاً إلى بيت عنيا، ورفع يديه وباركهم. ثم انفرد عنهم، وفى هدوءٍ ومجدٍ ارتفع الرب وأخذته سحابة عن أعينهم (أع ١:٩).

"وأخذته سحابة عن أعينهم" (أع ١: ٩)

ورغم أن الرب قد فارق تلاميذه بالجسد، ألا أن غيابه عنهم لم يرافقه إحساس بالفراق أو الحرمان. فخدمة الأيام الأربعين أعادت بناء إيمانهم المهتز ليتجاوز الواقع وحدود العيان، وليصدقوا على وعد السيد منتظرين بكل اليقين **القوة من الأعالى**. ومن هنا كان تعلق عيونهم بالسماء (أع ١:١١) ورجوعهم إلى أورشليم بفرح عظيم (لو ٢٤:٥٢) كأن ما يتوقعونه قد تم بالفعل.

والكنيسة إذ تحتفل **بالصعود** كواحد من الأعياد السيدية الكبرى، لتدرك أهمية هذا الحدث الكبير فى مسيرة الخلاص الذى بدأ عملياً بالتجسد الالهى والميلاد المتواضع ومن ثم تتابعت حلقاته، بالآلام والصليب والموت والقيامة، والصعود وحلول الروح القدس، والمجئ الثانى لإعلان الخلاص الأخير وتمجيد المؤمنين (فى ٣:٢٠-٢١، عب ٩:٢٧، ٢٨، ١بط ١:٥).

وها نحن هنا نعرض لدور **الصعود** فى مسيرة الخلاص. من ناحية بالنسبة **لعمل المسيح**، ومن ناحية فى **حياة المؤمنين**.

■ الصعود فى حياة المسيح:

(١) قد أكمل "العمل الذى أعطيتنى لأعمل قد أكملته" (يو ١٧:٤):

إن صعود المسيح إلى السماء يعلن عملياً تمام العمل الذى بدأه الرب على الأرض، مشيراً إلى ذلك وهو على الصليب قبل أن يسلم الروح (يو ١٩:٣٠). فهو من أجل خلاص الإنسان قد جاء وقبِل عار الصليب وذاق ألم الموت لأجل كل واحد (عب ٢:٩)، ومحا الصك الذى علينا وسمّره بالصليب مصالحاً الإنسان مع الله (كو ٢:١٤، أف ٢:١٣-١٩)، وأباد الذى له سلطان الموت، أى إبليس. ولما أكمل كل شئ ارتفع إلى السماء.

(٢) مملكتى ليست من هذا العالم "أنا لست من هذا العالم" (يو ١٧:١٤، ١٦):

المسيح نزل إلى عالمنا من أجل خلاصنا. وإلى الأرض، التى طرد إليها آدم يوماً، جاء وعاش مثله بالعرق والدموع، وافتقر لكى نستغنى، وجاع وعطش لكى نشبع ونرتوى، وتعرى لكى نكتسى بالبر.. وبالتعب والآلام حصل لنا على الراحة.

ولكنه لم يكن من هذا العالم (يو ٨:٢٣)، ولا هو من أرض التعب هذه، والدموع ليست من نصيبه فهو لم يخطئ قط (عب ٤:١٥)، ولم يأت ليصنع مُلكاً على الأرض (يو ٦:١٥)؛ وفى حواره الشهير مع **بيلاطس** أعلن أن **مملكته "ليست من هذا العالم"** (يو ١٨:٣٦).

نعم.. هو ملك بل **"ملك الملوك"** (رؤ ١٩:١٦)، ولكنه لا يملك **من هنا**، ولكن **من فوق**. وكما نزل **من فوق** صعد **إلى فوق** (يو ٣:١٣، أف ٤:٩، ١٠) حيث العرش السمائى، يملك على القلوب التى آمنت به وتمتعت بخلاصه، والتى ليس لها مثله هنا مدينة باقية لكن تنتظر العتيدة (عب ١٣:١٤).

(٣) فى المجد "مجدنى أنت أيها الآب عند ذاتك بالمجد الذى كان لى عندك قبل كون العالم" (يو ١٧:٥):

المسيح عاد إلى مجده.

عندما تجسد الرب أخلى نفسه من المجد الذى كان له مع أبيه بلا بداية، وأخذ صورة عبد (فى ٢:٧). وبعد الآلام والموت قام وصعد إلى السماء ودخل مجده بجسده – الحامل آثار الجراحات – والذى أخذه من مريم العذراء. **فتمجد الناسوت بمجد اللاهوت**، وصار فى عرش الله فوق كل رياسة وسلطان وقوة وسيادة (أف ١:١٥-٢١).

وهكذا كان ينبغى أن الذى **"احتمل الصليب مستهيناً بالخزى"** (عب١٢: ٢) يعود إلى مجده **ليجلس "فى يمين العظمة فى الأعالى"** (مر ١٦:١٩، عب ١:٣) لكى تكتمل الحقيقة، فيتواجه اتضاع التنازل مع رفعة الصعود، وعار الصليب بقوة القيامة، وظلمة الموت بنور الحياة الجديدة **"مستحق هو الخروف المذبوح أن يأخذ القدرة والغنى والحكمة والقوة والكرامة والمجد والبركة.. وكل خليقة.. سمعتها قائلة للجالس**

على العرش وللخروف البركة والكرامة والمجد والسلطان إلى أبد الآبدين (رؤ ٥:٩-١٤).

(٤) رأس الكنيسة "وهو رأس الجسد الكنيسة" (كو ١:١٨):

شدة قوة الله تتبدى فيما عمله فى المسيح "**إذ أقامه من الأموات وأجلسه عن يمينه فى السماويات .. وأخضع كل شيء تحت قدميه .. وإياه جعل رأساً فوق كل شيء للكنيسة التى هى جسده الذى يملأ الكل فى الكل**" (أف ١:٢٠-٢٣).

يسوع المسيح الذى صعد إلى السماء هو **رأس الكنيسة** التى تضم المؤمنين به فى كل زمان ومكان المتحدين فيه بالروح القدس والمتآزرين معاً فى الرأس الواحد والجسد الواحد .. ومن رأس الكنيسة تنحدر على المؤمنين – جسد المسيح – كل بركة روحية وكل قوة فى السماء من الذى دُفع إليه كل سلطان "**إذ صعد إلى العلاء سبى سبياً وأعطى الناس عطايا**" (أف٤:٨). وكانت أولى ثمار صعود المسيح إنسكاب الروح القدس على الكنيسة يوم الخمسين وحلوله الدائم فيها إلى إنقضاء الدهر. وبالروح ينضم كل يوم إلى الكنيسة الذى يخلصون، وفيه يثبتون، وبه يبكّتون ويتعزون، وفيه ينالون المواهب، وبه يشهدون للحق ويحتملون الضيقات ويمسكون بالحياة الأبدية.

(٥) وسيط وشفيع "وسيط العهد الجديد يسوع" (عب ١٢:٢٤)، "**لأنه يوجد إله واحد ووسيط واحد بين الله والناس الإنسان يسوع المسيح الذى بذل نفسه فدية لأجل الجميع**" (١تى٢:٥، ٦):

المسيح يقف فى السماء فى يمين عرش الآب، وفى يديه وقدميه آثار المسامير وفى جنبه طعنة الحربة وفى جبهته جروح الشوك، **وسيطاً بين الله والناس**، وفى جسده يحمل أوراق اعتماده لهذه الوساطة التى اجتاز من أجلها رعب الصليب وهول الموت "**خروف قائم كأنه مذبوح**"(رؤ ٥:٦).

نعم .. هو الوسيط الواحد الوحيد، لأن من مثله كان باراً وارتضى أن يبذل نفسه فدية عن كثيرين، مصالحاً إياهم مع الآب الذى أعلن "**إنى أكون صفوحاً عن آثامهم ولا أذكر خطاياهم فيما بعد** "(عب٨:١٢).

علاقتنا مع الآب هى بالإبن "**ليس أحد يأتى إلى الآب إلا بى** "(يو١٤:٦)، والله لا يعاملنا إلا فى شخص إبنه المتحد بنا، أو كما يقول أحد قديسي الغرب: "**إن الله عندما ينظر إلى العالم لا يرى فيه، بنوع ما، غير ابنه والناس فيه كافة، وليس فى قلبه تعالى سوى يسوع المسيح أو مَن هو مِن يسوع المسيح**".

يسوع المسيح **وسيط لعهد جديد،** أعظم وأفضل، **ورئيس كهنة عظيم إلى الأبد على رتبة ملكى صادق، "دخل مرة واحدة إلى الأقداس** (بذبيحة نفسه) **فوجد فداءً أبدياً** (عب٩: ١٢)، "**وصار لجميع الذين يطيعونه سبب خلاص أبدى**" (عب٥: ٩). "**إذ هو حى فى كل حين ليشفع فيهم**" (عب٧: ٢٥).

هناك رجاء أبدى، لكل خاطىء يتوب، فى غفران خطاياه. لأن شفيعنا الأبدى هو "**رئيس الكهنة العظيم**" الذى قدم نفسه ذبيحة حب فصنع فداءً أبدياً "**يا أولادى أكتب إليكم هذا لكى تخطئوا. وإن أخطأ احد فلنا شفيع عن الآب، يسوع المسيح البار، وهو كفارة لخطايانا. ليس لخطايانا فقط بل لخطايا كل العالم أيضاً**" (١يو٢:١، ٢).

■ الصعود في حياة المؤمنين:

(١) لنا فوق مكان "**أنا امضى لأعد لكم مكانا. وإن مضيت وأعددت لكم مكانا آتى أيضا وآخذكم إلى حتى حيث أكون أنا تكونون أنتم أيضا**"(١٤:٢-٣):

عندما يقول لنا المسيح أنه مضى ليُعد لنا مكاناً فإن نظرتنا إلى الحياة كلها تتغير عند هذه الحقيقة. فهنا ليس مكاننا الدائم ولكنه فوق، وحياتنا

هنا هى عربون حياتنا عنده، وبالإيمان نسلك لا بالعيان، وبه نتجاوز الزمان والمكان وآلام وأمال الزمان الحاضر، وبه ننظر إلى ما لا يُرى، وما لا يفنى ولا يتغير.

المسيح ينادى مؤمنيه "**أنتم لستم من العالم**" (يو١٥:١٨) **ويدعوهم أحباء لا عبيداً** (يو ١٥:١٥). والكتاب يقول عنهم إنهم "**شركاء الطبيعة الالهية**" (٢بط١:٤)، **شركاء فى النعمة** (فى١:٧)، **بنى الملكوت، أولاد الله، قديسين، روحيين، هياكل الله، أعضاء فى جسد المسيح، أعضاء المسيح للقداسة، ورثة الملكوت، أهل بيت الله، "فإن كنتم فمتم مع المسيح فاطلبوا ما فوق حيث جالس عن يمين الله. إهتموا بما فوق لا بما على الأرض لأنكم قدمتم مستترة مع المسيح فى الله**" (كو٣:١-٣).

لنا فوق مكان، بذل المسيح دمه لكى **ينقلنا إليه**، وصعد إلى السماء لكى **يعده لنا**، وسيأتى لكى **يأخذنا إليه. فلنسهر إذاً ونصح** ولا نغفل لئلا يأتى العريس فيجدنا نياماً. ولنثبّت وجوهنا نحو مكاننا السماوى مهما كانت الاغراءات لتحويل عيوننا نحو العالم الذى "**يمضى وشهوته**". والكتاب يحذرنا "**تمسّك بما عندك لئلا يأخذ أحد إكليلك**" (رؤ٣:١١).

(٢) معنا كل الأيام "وها أنا معكم كل الأيام إلى إنقضاء الدهر" (مت ٢٨:٢٠):

هذه هى كلماته الأخيرة قبل أن يرتفع.

إنه يصعد أمامنا ويغيب عن عيوننا ولكنه يقول **أنه معنا**، ويجب أن نمسك بهذا الوعد الصادق ولا نرخيه.

معنا فى كل الظروف: فى الشدة والفرح، فى الصحة والمرض، فى النجاح والفشل. معنا مع الأحباء وأمام الأعداء، معنا فى الوطن والغربة.

هو معنا. نقشنا على كفه (إش٤٩:١٦) **فكيف ينسانا.**

هو أحبنا محبة أبدية لذا ادام لنا الرحمة ووعد أن يكون **معنا كل الأيام**.

وعندما يكون معنا يقاسمنا الآلام فتخف حدتها. ويشاركنا الأفراح فيتضاعف شعورنا بها.

هو معنا، بروحه القدوس، الماكث فينا، الشاهد له، المرشد إلى جميع الحق، المذكّر بكل ما قاله لنا.

هو معنا، فى كلمة الإنجيل، نور الحياة " **من يسمع كلامى ويؤمن بالذى أرسلنى فله حياة أبدية**" (يو٥:٢٤).

هو معنا ، فى سر الافخارستيا .. "**من يأكل جسدى ويشرب دمى فله حياة ابدية وأنا أقيمه فى اليوم الأخير**" (يو ٦:٥٤)

هو معنا: الباب، والطريق، والحق، والحياة.

(٣) وسيأتى "**إن يسوع هذا الذى إرتفع إلى السماء سيأتى هكذا كما رأيتموه منطلقا إلى السماء**" (١ع ١:١١):

لم تكن المرة الأولى التى جاء فيها ذكر هذا الأمر.

قبل التجلى صرح يسوع لتلاميذه عن آلامه وموته وقيامته وأن "**ابن الإنسان سوف يأتى فى مجد ابيه مع ملائكته وحينئذ يجازى كل واحد حسب عمله** " (مت ١٦:٧). وفى يوم الثلاثاء من أسبوع آلامه تنبأ يسوع عن مجيئه الأخير "**وتبصرون إبن الإنسان آتياً على سحاب السماء بقوة ومجد كثير**" (مت ٢٤:٣٠). وفى حديثه الوداعى بعد الفصح أعلن لتلاميذه أنه بعد أن يمضى ليعد لهم مكاناً سيأتى أيضاً ليأخذهم إليه (يو١٤:٣).. وها هى السماء تؤكد من جديد فور إرتفاعه بعد قيامته إنه "**سيأتى هكذا** " (أع ١:١١).

وفى الرسائل نجد إشارات عديدة لمجىء الرب العظيم: **ظهور** مجد الله العظيم ومخلصنا يسوع المسيح (تى ٢:١١-١٣)؛ "**وكما وضُع للناس أن يموتوا مرة ثم**

بعد ذلك الدينونة هكذا المسيح أيضاً بعد ما قدم مرة لكى يحمل خطايا كثيرين سيظهر ثانية بلا خطية للخلاص للذين ينتظرونه" (عب٩:٢٧-٢٨)؛ "**متى أُظهر المسيح حياتنا فيحنئذ تُظهَرون أنتم أيضاً معه فى المجد**" (كو٣:٤)

ولزمان طويل كان هتاف الكنيسة الأولى "**ماران آثا**" أى الرب قريب. وعندما وضعت الكنيسة قانون الإيمان ضمنته هذه الحقيقة "**وسيأتى فى مجده ليدين الأحياء والأموات**".

نعم .. **سيأتى الرب ليكمل خلاص قديسيه** (١بط١:٥)، **وليملك** (إش ٢٤:٢٣، رؤ ١١:١٥) ، **ويدين** (٢تى٤:١، يه١٥، رؤ٢٠:١١-١٣)، **ويتمجد فى قديسيه** (٢تس١:١٠).

أما الساهرون فإنهم يحيون على هذا الرجاء المبارك (تى٢:١٣)، بل هم منتظرون وطالبون "**سرعة مجىء يوم الرب**" (٢بط٣:١٢) الذى "**سيمسح كل دمعة من عيونهم**"، ويعطيهم أن يكونوا **مثله** (فى٣:١٢، ١يو٣:٢) ويملكوا معه (٢تى٢:١٢، رؤ٥:١٠، ٢٠:٩، ٢٢:٥) وينالوا "**إكليل البر**" (٢تى ٤:٨، ١بط٥:٤).

وعلى هذا الرجاء يتحملون كل ضيقة وألم واضطهاد وضعف ولقاء الموت من أجل يوم يلتقون فيه مع العريس ويظهرون "**معه فى المجد**" (كو٣:٤)، وفى حياتهم **يخلعون أعمال الظلمة ويلبسون أسلحة النور، ولا يصنعون تدابيراً للجسد لأجل الشهوات** (رو١٣:١١-١٤)، حتى لا يفاجئهم الموت بغتة كالمخاض للجلى، ولا يُضعف رجاءهم غفلةُ الكثيرين من حولهم وإنهماكهم فى ملذات الحياة دون أن يلقوا بالاً لليوم الذي سوف يباغتون به.

فلنفتح أبواب قلوبنا لسكنى الرب، فإتيانه إلينا الآن هو عربون إجتماعنا به يوم مجيئه الثانى.

عيد رئيس الملائكة ميخائيل

(١٢ بشنس – ٢٠ مايو)

لا يذكر الكتاب اسم الملاك الذي دحرج الحجر عن باب قبر المسيح[١]، وجلس عليه، ولكنه يقول "**وإذا زلزلة عظيمة حدثت. لأن ملاك الرب** (بغير تحديد) **نزل من السماء وجاء ودحرج القبر عن الباب وجلس عليه. وكان منظره كالبرق ولباسه أبيض كالثلج. فمن خوفه ارتعد الحراس وصاروا كأموات. فأجاب الملاك وقال للمرأتين** (مريم المجدلية، ومريم الأخرى أم يعقوب): **لا تخافا أنتما فأني أعلم أنكما تطلبان يسوع المصلوب. ليس هو ههنا لأنه قام كما قال. هلما انظرا الموضع الذي كان مضطجعاً فيه. واذهبا سريعاً قولا لتلاميذه أنه قام من الأموات. ها هو يسبقكم إلى الجليل. هناك ترونه. ها أنا قد قلت لكما.** (مت٢٨: ١-٧).

---

(١) قسمة عيد القيامة والخمسين بدورها تذكر أن "**رئيس الملائكة نزل من السماء ودحرج الحجر عن فم القبر وبشر النسوة حاملات الطيب**" دون أن تشير إلى اسمه.

ويذكر إنجيل مرقس الحدث، بمجيء **النسوة الثلاث** إلى القبر و"**الحجر قد دُحرج لأنه كان عظيماً جداً. ولما دخلن القبر رأين شاباً جالساً على اليمين لابساً حُلة بيضاء فاندهشن. فقال لهن لا تندهشن. أنتن تطلبن يسوع الناصري المصلوب. قد قام. ليس هو ههنا. هوذا الموضع الذي وضعوه فيه. لكن اذهبن وقلن لتلاميذه ولبطرس إنه يسبقكم إلى الجليل هناك ترونه كما قال لكم**" (مر١٦: ٢-٧).

وفي إنجيل لوقا نرى **رجلين** (ملاكين) **بثياب براقة** (لو٢٤: ٤)؛ وفي إنجيل يوحنا كانت **مريم المجدلية** وحدها ونظرت "**ملاكين بثياب بيض جالسين واحداً عند الرأس والآخر عند الرِجلين حيث كانا جسد يسوع موضوعاً**" (يو٢٠: ١٢).

وإذا كان أحد الملاكين هو **الملاك ميخائيل**، فمن يكون الملاك الثاني؟ ومن الممكن أن **الملاك ميخائيل** هو من دحرج الحجر عن باب القبر، ولكنه لم يكن وحده، وكان برفقته ملاك أخر أو أكثر من الجند السماوي[٢].

+ ولكن ذكْر **الملاك ميخائيل** يأتي في سياق آخر: ففي **رسالة يهوذا** إشارة إلى حدث يتعلق **بجسد موسى النبي** الذي بدا أن إبليس يريد أن يأخذه فمنعه **رئيس الملائكة ميخائيل** "محاجاً عن جسد موسى قائلاً له **لينتهرك الرب**" (يه ٩).

---

(٢) ليس غريباً أن يكون هناك ملائكة حول المسيح، وهم كانوا مع الملاك المبشر للرعاة (لو٢: ١٣)، وكانوا يرافقونه في رحلة الذهاب إلى مصر والعودة منها، ومكتوب أنه جاءت ملائكة تخدمه بعد التجربة على الجبل (مت٤: ١١، مر١: ١٣)، وأن ملاكاً مع السماء ظهر ليقويه وقت معاناته في بستان جثسيماني (لو٢٢: ٤٣). وأن "**ملائكة وسلاطين وقوات مُخضعة له**" (١بط٣: ٢٢). ومن الطبيعي لرئيس ملائكة يقوم بمهمة كبرى، مثل دحرجة الحجر عن باب القبر بعد قيامة الرب، أن يكون برفقته ملائكة كثيرين تحت رئاسته.

+ كما يذكر **النبي دانيال** في سفره أن **"ميخائيل واحد من الرؤساء الأولين جاء لإعانتي"** يقولها وهو واقف يشهد أمام رئيس مملكة فارس (دا١٠: ١٣). ويذكره دانيال مسانداً للشعب زمان الضيق قبل القيامة الأخيرة **"في ذلك الوقت يقوم ميخائيل الرئيس العظيم القائم لبني شعبك ويكون زمان ضيق لم يكن منذ كانت أمة"** (دا ١٢: ١).

وفي النصّين السابقين وحدهما يُذكر أن **ميخائيل** رئيس ملائكة. وحتى **جبرائيل** المبشر بالتجسد وولادة يوحنا يذكره الكتاب **كملاك الرب** (لو١: ١١) أو **جبرائيل الملاك** (الواقف قدام الله) (لو١: ١٩، ٢٦) وليس كرئيس ملائكة.

+ وفي **سفر الرؤيا** إشارة إلى حرب في السماء بين **ميخائيل** وملائكته والتنين وملائكته **"فطُرح التنين العظيم الحية القديمة المدعو إبليس والشيطان الذي يضل العالم كله، طُرح إلى الأرض وطُرحت معه ملائكته. وسمعتُ صوتاً عظيماً قائلاً في السماء: الآن صار خلاص إلهنا الذي وقدرته وسلطان مسيحه، لأنه قد طُرح المشتكي على إخوتنا الذي كان يشتكي عليهم أمام إلهنا نهاراً وليلاً، وهم غلبوه بدم الخروف وبكلمة شهادتهم ولم يحبوا حياتهم حتى الموت"** (رؤ١٢: ٧-١١).

+ وللملائكة دورهم عند موت الأبرار، وفي مجيء الرب الثاني. والرب يقول عن مثل **الحنطة والزوان**: أن **"الزرع الجيد هو بنو الملكوت. والزوان هو بنو الشرير... والحصاد هو انقضاء العالم. والحصادون هم الملائكة... يرسل ابن الإنسان ملائكته فيجمعون من ملكوته جميع المعاثر وفاعلي الإثم.. حينئذٍ يضيء الأبرار كالشمس في ملكوت أبيهم"** (مت١٣: ٣٨-٤٣).

وفي مثل **الغني ولعازر** يذكر الرب أن **لعازر** حملته **الملائكة** إلى حضن إبراهيم (لو١٦: ٢٢)، كما أنهم يصحبون الرب في مجيئه: **"ومتى جاء ابن الإنسان في مجده وجميع الملائكة القديسين معه..."** (مت٢٥: ٢١، ١تس٤: ١١، ٢تس ١: ٧).

+ والملائكة هم "**أرواح خادمة مرسلة للخدمة لأجل العتيدين أن يرثوا الخلاص**" (عب١: ١٤). وهم جند الرب (١مل٢٢: ١٩)، وأدواته ومبعوثوه يحملون أوامره ورسائله للبشر، أو لخدمتهم أو لتعزيتهم ومعونتهم وإنقاذهم. وبحسب قول الرب أنهم "**كل حين ينظرون وجه أبي الذي في السماوات**" (مت١٨: ١٠) ومن موقعهم الأثير هذا يستمدون كرامتهم وسط المؤمنين. فالله أرسل ملاكين لانقاذ **لوط** وعائلته من سدوم التي أحرقت بالنار (تك١٩: ١٦)، و**يعقوب** وهو يبارك ابني يوسف يقول "**الله الذي رعاني منذ وجودي إلى هذا اليوم، الملاك، الذي خلصني من كل شر، يبارك الغلامين**" (تك٤٨: ١٥، ١٦). والله أرسل ملاكه فسد أفواه الأسود فلم تمس **دانيال** (دا٦: ٢٢). والملاك **جبرائيل** بشّر **زكريا الكاهن** بميلاد يوحنا و**العذراء** بميلاد ابن الله (لو١: ١٣، ٣٠: ٣٣). وملاك الرب أخرج التلاميذ من السجن (أع٥: ١٩)، كما فتح باب السجن **لبطرس** (أع١٢: ٦-١٠)، ثم **لبولس وسيلا** (أع١٦: ٢٣-٢٦)، وهو ظهر **لكرنيليوس** كي يلتقي بطرس ويعلن إيمانه (أع١٠: ٣-٦). وكثير من ظهورات الرب في العهد القديم كانت على هيئة **ملاك** (يش٥: ١٤).

+ والكنيسة تذكر في تحليل الخدام **رؤساء الملائكة** (الأربعة المنيرين): **ميخائيل وغبريال (جبرائيل) وروفائيل وسوريال.**

+ والملائكة كشفعاء يحملون طلبات المؤمنين إلى العرش الإلهي، والله يرسلهم لمساندة مؤمنيه. ولرؤساء الملائكة خاصةً قدرة لتقديم المعونة لأولاد الله، وتجري باسمهم المعجزات في الأديرة والكنائس[٣] التي على اسمهم وفي أعيادهم.

(٣) مثل كنيسة الملاك البحري (شمال شرق القاهرة) وكنيسة الملاك القبلي بمصر القديمة.

عيد القديس باخوميوس أبي الشركة
(١٤ بشنس – ٢٢ مايو)

القديس باخوميوس (باخوم أو النسر) هو واضع نظام الشركة في الحياة الرهبانية، التي بدأت فردية (بالتوحد) على يد **القديس أنطونيوس**. وهو رتب قواعد هذا النظام من ناحية العبادة والعمل المشترك والطعام على مائدة واحدة، مع مبادئ الرهبنة الأخرى: الطاعة وعدم الاقتناء والاتضاع والخدمة. وهو جمع أصحاب كل حرفة من الرهبان في بيت وحدهم (خبازين، نجارين، مزارعين). ولكل دير رئيس ووكيل وأمين (ربيتة). وكان مركزه (طابانا) قرب مدينة فاو الحالية (محافظة قنا) شرق النيل. وكان يجتمع برهبان كل الأديرة في رأس السنة القبطية، وزاره في ديره **القديس أثناسيوس الرسولي**[١] (سنة ٣١١) وهو يتفقد إيبارشيات الكرازة.

---

(١) ولم يكن بين رهبان ديره أحد في درجة الكهنوت، ولا حتى **باخوميوس** نفسه الذي رفض أن يرسمه **البابا أثناسيوس** قساً، فكان يأتيهم كاهن من كنائس القرى المجاورة، لإتمام خدمة القداس يومي السبت والأحد. وظل هذا الأمر لمدة عام بعد انتقاله.

وُلد **باخوم** من أبوين وثنيين ثريين حوالي سنة ٢٨٩ في **إسنا** (إقليم طيبة). ولم يكن سعيداً بعبادة والديه، وكان يظهر احتقاره للأوثان وصار جندياً في سن العشرين، وذهب في حملة بقيادة الضابط (والد **الملك قسطنطين** فيما بعد) وقائد جيش **دقلديانوس** لإخضاع الحبشة. ولما دخلوا مدينة ديوسبولي، احتاج الجنود إلى الماء والطعام فخرج الأهالي وأكرموهم وعرفوا أنهم مسيحيون، وتأثر بسلوكهم ومحبتهم كما أنه كان متأثراً بسلوك الشهداء الأقباط من ناحية تمسكهم بإيمانهم واحتمالهم الآلام. فرفع قلبه إلى السماء طالباً أن يعرفه الله عن الإله الحقيقي وكيف يمجده ويخدم اسمه.

ولما عاد إلى وطنه ترك **الجندية** ومال إلى أن يدرس مبادئ المسيح. فذهب إلى كنيسة **ثيئوسكوبوس** (ناظر الله) وانخرط في سلك الموعوظين. وساندته النعمة ورؤى السماء وشجعته على السير في طريقه الجديد. وبعدها قَبِل العماد بيد **الأنبا سيرابيون** أسقف دندرة في عيد الفصح (٣١٤). وصار في نهج الفضائل. وذهب إلى أسوان وصار تلميذاً **للقديس بلامون** المتوحد[٢] الذي حذره من مشقّة طريق الرهبنة، ولكنه ألحّ في قبوله وصار ابناً له. وبعد سنوات توفى المعلم ولكن **باخوم** كان قد اشتد عوده الروحي وصار هو أباً لكثيرين[٣].

ورغم حبه للتوحد والعزلة إلا أنه كان يدرك صعوبة الرهبنة الانفرادية للمبتدئين بما قد يعطل مسيرتهم ويجعلهم ينسحبون من هذا النهج ويكسرون نذرهم. من هنا أنشأ نظام الشركة لممارسة الحياة المسيحية كعائلة واحدة يقتسمون العبادة والعمل المشترك، ويختبرون محبتهم بعضهم

---

(٢) للأنبا **بلامون** دير بناحية **القصر** (مركز نجع حمادي- قنا) لم يزل عامراً إلى اليوم.

(٣) قَبِل أخوه **يوحنا** الإيمان، وبعد سنوات من الجهاد قضى ١٥ سنة راهباً في هذا الدير ثم انتقل. كما دعا أخته للرهبنة (بغير أن يسمح لها أن تراه). ولما قبلت التكريس للرب شيد لها ديراً للراهبات (٣٤٠) تحت إشرافه.

لبعض. ويظل طريق التوحد مفتوحاً لأصحاب القامات العالية.

وقد ذاعت شهرة **القديس باخوميوس** ونظامه الديري، فأقبل عليه الكثيرون من مصر ومن أنحاء العالم حتى أجتمع في أديرته أكثر من ٧٠٠٠ راهب. وفي البداية كانت لغته **القبطية**، الوحيدة التي يعرفها عائقاً في الاتصال بمن يأتي من خارج البلاد، ولكنه استطاع فيما بعد أن يعرف بعض **اليونانية**، وقيل أنه وُهب التكلم بألسنة كإحدى مواهب الروح القدس بعد أن استجاب الرب لطلبته.

ولما دنا أجله عين الراهب **بترونيوس** ليتولى قيادة الرهبنة ولكنه لم يعش طويلاً، فعين بعده الراهب **هوريسيوس**، ولما يعين أقرب تلاميذه إلى قلبه وهو تلميذه **تادرس (تواضروس)** Theodoros، الذي ترهبن وهو في الثانية عشرة من عمره(٤)، إشفاقاً عليه من حمل الرئاسة الثقيل وما تأخذه من الوقت بما قد يعطّل من نموه في الفضيلة. ولكنه طلب إليه أن يقوم بدفنه ويحتفظ بمكانه سراً. على أن **تادرس** صار فيما بعد رئيساً للدير، ووقت نياحته كان في الدير ثلاثة آلاف راهب.

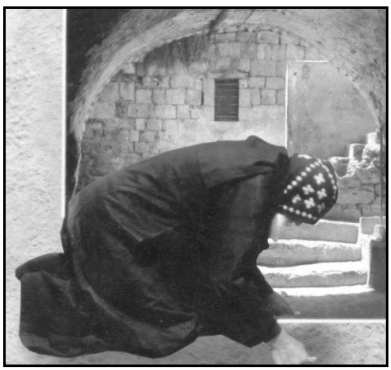

وانتقل **باخوميوس** من هذا العالم في نحو سنة ٤٠٥، متجاوزاً سن المائة، وترك في دير طابانا ١٤٠٠ راهب.

وفي تاريخ الكنيسة أنه نشأت أديرة في الغرب تتبع النظام الباخومي، منها واحد في القسطنطينية باسم **القديس باخوميوس** ويتبع قوانينه وفيه ٥٠٠ راهب.

---

(٤) الذي اقتفت أمه أثره وانضمت إلى دير النساء.

عيد دخول المسيح أرض مصر(*)

(٢٤ بشنس – أول يونيه)

لمصر أن تتيه وتزهو بين بلاد العالم، فهي البلد الوحيد الذي زاره الرب طفلاً مع أمه العذراء ويوسف النجار، فاستضافهم مرحّباً، كما أن شعبها هو أول الشعوب الأممية التي جاء الرب وبشرها بالخلاص.

وهو قد جاء إلى مصر في الحقيقة لاجئاً من طغيان ملوك ورؤساء كان القتل وسيلتهم السهلة للتعامل مع قضاياهم حتى ولو كان قتل من جاء لخلاصهم.

وهروب العائلة المقدسة من بيت لحم إلى مصر والعودة بعد موت **هيرودس** وجلوس **أرخيلاوس** (أي رئيس الشعب) ابنه ملكاً على اليهودية،

(*) **القراءات: عشية**: مز١٠٥: ٢٣-٢٤، مت٤: ١٢-١٧؛ **باكر**: مز١٠٦: ٢٢-٢٤، مت١٢: ١٥-٢٣؛ **القداس**: أف٢: ١-٢٢، ١يو٤: ٧-١٩، أع٧: ٢٠-٣٤، مز١٠٥: ٢٦، ٢٨، مت٢: ١٣-٢٣.
اقرأ عن "**خط سير رحلة العائلة المقدسة**" في **الكتاب الثاني عشر** من "**نور الحياة**" (ص ٢٠٦-٢١٢).

سجّله **إنجيل معلمنا متى** في أعداد قليلة[1]، إلا أن التقليد والتاريخ وما خلّفته هذه الرحلة وراءها من آثار أضاف كثيراً من التفاصيل عن هذه الزيارة المباركة[2] التي فسّرت لماذا قال الوحي قبل قرون "**مبارك شعبي مصر** " (إش١٩: ٢٥)، وهي أضافت إلى ما تتمع به مصر من مكانة في الكتاب المقدس[3]، فهي **جنة** "**كجنة الرب كأرض مصر** " (تك١٣: ١٠) **ومواطنوها أهل حكمة** " **تهذّب موسى بكل حكمة المصريين** " (أع٧: ٢٢).

■ ملاحظات أولية :

(**١**) مصرنا هي أرض الآباء والأنبياء والرسل: **إبراهيم ويوسف ويعقوب والأسباط، وموسى وهارون ويشوع، ودانيال**، ويقال أنه دُفن في مصر الأنبياء **أليشع وإرميا وحزقيال** (وربما **دانيال** أيضاً). ويتردد أنه جاءها القديسان **بطرس ولوقا**. وكان مبشرها الأول **القديس مرقس**، الذي استشهد على أرض الإسكندرية،كما بشر التلميذان **سمعان القانوي وبرثلماوس (نثنائيل)** جنوب مصر.

(**٢**) يذكر الكتاب مصريين كثيرين لعبوا أدواراً هامة في التاريخ الإنساني بينهم أكثر من **فرعون** وأكثر من **ملكة، وإسماعيل** ابن **هاجر** المصرية **زوجة إبراهيم، وزوجة إسماعيل، وأسنات زوجة يوسف** التي أنجبت له **منسى وافرايم، وصفورة زوجة موسى، وابنة فرعون زوجة سليمان الحكيم**.

---

(١) الكنيسة القبطية (المصرية) تقرأ هذا الجزء من الإنجيل، في الأحد الأول من شهر طوبه، الذي يذكر ملابسات **الهروب من بيت لحم إلى مصر ثم العودة**. ولكنها تحتفل **بعيد دخول العائلة المقدسة إلى مصر** في ٢٤بشنس (الذي يوافق **أول يونيو**) آخذة في الاعتبار فترة الشهور الأربعة التي استغرقتها الرحلة من الناصرة حتى الدخول إلى تخوم مصر (**العريش**).

(٢) لمتابعة **خط سير الرحلة** من **بيت لحم** إلى **مصر** والعودة إلى **الناصرة** يرجى الرجوع إلى ملحق رقم ١ في نهاية الكتاب.

(٣) عن "**مصر في الكتاب المقدس**" راجع **الكتاب الثالث** من "**نور الحياة**" (ص٢٣-٢٥)، **والكتاب الثاني عشر** (ص٢١٣-٢١٥).

(٣) مصر وحدها بين كل بلاد العالم التي تباركت بزيارة **المسيح والعذراء**، بل بإقامتهما فيها ما يقرب من سنوات أربع. وهي لم تكن أقرب البلاد إلى وطنه [فهناك الأردن وسورية وفينيقية (لبنان)]. ولم تستقر العائلة في أول مدينة على الطريق، وإنما جابت البلاد وأقامت في مدنها وقراها وعاشت بين ظهرانيها، وتكلمت لغة المصريين، وأكلت كما يأكل أهلها، وشربت من ماء النيل. وفي كل بقعة زارتها أو أقامت فيها حلت فيها بركة الرب وأمه "**الممتلئة نعمة**". وفيما بعد تأسست فيها الكنائس والأديرة والمزارات المقدسة في الدلتا، والصحراء الغربية، وفي مصر القديمة، وعلى امتداد طريق الصعيد، وصارت منارات للخلاص والبشارة السارة. من هنا فإن مصر تظل موضع فخرنا بالانتساب إليها مهما تغيرت الأحوال وتباينت حقوق المواطنة.

■ ما وراء الهروب من بيت لحم إلى مصر :

(١) أن مسلسل آلام الرب لم يبدأ فقط أثناء خدمته، آخذاً في التصاعد حتى بلغ مداه عند الجلجثة وفوق الصليب، وإنما قد بدأ منذ ميلاده حيث لم يكن له موضع في المترل ولم يُتح له إلا مذود الخراف المعّدة مثله للذبح (لو٢:٧). ولم يستقر به المقام طويلاً، كرضيع يحتاج إلى عناية خاصة، إلا أن الظروف تضطره وأمه كى يعبرا القفار فى مسيرة شاقة هرباً من التهديد بالقتل، متجهيْن إلى مصر، ويظلاّن تحت المطاردة. فليس غريباً أن يُقال **إن الرب قد ولد مصلوباً**، وفى احتمال الآلام يظل الرب عوناً وعزاء لكل المتألمين " **لأنه فيما هو قد تألم مجرباً يقدر أن يعين المجربين**" (عب٢: ١٨).

(٢) بينما استطاع الطفل يسوع وأمه العذراء القديسة الهروب تحت جنح الظلام إلى خارج دائرة الخطر، سقط حوالى ٣٠ طفلاً (يتراوح سن كل منهم بين سنتين فأقل) ضحايا القسوة والاستبداد والضعف البشرى، على توقّع أن يكون الرب واحداً منهم، مما أعاد إلى الأذهان نبوة إرميا "**صوت سُمع فى الرامة نوح وبكاء وعويل كثير، راحيل تبكى على أولادها**

ولا تريد أن تتعزى لأنهم ليسوا بموجودين" (إر٣١: ١٥، مت ٢: ١٨). ولكن هؤلاء صاروا أول شهداء من أجل المسيح، ونصيبهم مع سائر شهداء الإيمان أن يمسح الله كل دمعة من عيونهم وأن يكونوا حول العرش مثلهم، وهكذا سجَّل الكتاب صراخهم " **حتى متى أيها السيد القدوس والحق لا تقضى وتنتقم لدمائنا من الساكنين على الأرض.فأُعطوا كل واحد ثياباً بيضاً، وقيل لهم أن يستريحوا حتى يكمل العبيد رفقاؤهم وإخوتهم أيضاً العتيدين أن يُقتلوا مثلهم"** (رؤ٦: ١٠، ١١).

(٣) إن خطة الله فى مواجهة عنف هيرودس، الذى زلزل دعائمه مجيء المخلص، كانت هى تفادى مواجهة الشر. فهروب المسيح الذي أفسد خطط إبليس كان ترتيباً إلهياً. كان من الممكن أن يُهلك الله هيرودس وجنوده، لكن الله اختار البعد عن الصدام والشر، ودعا لهروب العائلة المقدسة بحسب النبوة (إش٩: ١) خاصة والرب جاء خلاصاً وحباً، وأخلى نفسه حتى من القوة الصاعقة، واستخدم فقط قوة تغيير الحياة إلى الخير والاختطاف من يد إبليس، وهو ما ينبغي أن يكون قانوننا في الحياة "**لا يغلبنك الشر بل اغلب الشر بالخير"** (رو١٢: ٢١)، "**لا تجازوا أحداً عن شر بشر"** (رو١٢: ٧، ١بط٣: ٩).

هذا يحثنا على التوقف والانسحاب من الشر والأشرار إلى الله عندما يكون الصدام منذراً. فالتصدي للشر بالشر هو هزيمة كاملة وانتصار للشر، والهروب هنا قوة لأن فيه ضبط للنفس، وتعبير عن طاعة المؤمن لله ووصيته، وثقته فى صدق وعوده وكمال تدبيره، متجاوزاً ذاته واهامه بالضعف. ويحضرنا هنا مثال **يوسف** الشاب الذى لما حوصر بالشر من امرأة سيده لم يبرر أو يناور، وانطلق هارباً دون أن يحسب حساب العواقب وكان قانونه: " **كيف أصنع هذا الشر العظيم وأخطئ إلى الله"** (تك٣٩: ٩-١٣)، وكما تفادى **داود** الصدام المباشر مع شاول.

والكتاب يحثنا أن "**اهربوا من الزنا.. اهربوا من عبادة الأوثان**" (١كو٦: ١٨، ١٠: ١٤).

(**٤**) الحياة هبة عظيمة من الله، والهرب أمام ما ومن يتهددها أمر طبيعي، إلا لو كان الموت حسب مشيئة الله ومن أجل الإيمان بالمسيح. والرب الذى هرب طفلاً من الشر، لأن مهمته لم تكن قد بدأت بعد، لم يهرب من الصليب والموت الذي كان به خلاص الناس، ومثله كل شهداء الإيمان على مدى العصور، الذين لما جاء وقت الشهادة لم يهربوا وإنما واجهوا جلاديهم معلنين إيمانهم بالدم حباً فى سيدهم الذى أحبهم أولاً حتى الموت "**وهم غلبوه** (إبليس) **بدم الخروف وبكلمة شهادتهم ولم يحبوا حياتهم حتى الموت**" (رؤ١٢: ١١)، فالهروب هنا إنكار للإيمان وخاتمة تعسة للحياة.

(**٥**) نعم، هناك مواقف يصير الهروب فيها نكسة روحية وخيانة لمبادئ المسيح. فلا يليق أن نهرب من **صوت الله** (الذى يأتينا أساساً فى كلمة الإنجيل)، كما فعل **يونان** (يون١: ٣)، ولا أن نهرب من **شكوى ضمائرنا** وتأنيبها (رو٢:١٥) وإسكات صوتها (الذى هو صوت الروح)، كما فعل **يهوذا** الذى بدل أن يتوب ويرجع مضى وشنق نفسه (مت ٢٧: ٣-١٠، أع١: ١٨)، ولا أن نهرب من **أداء الواجب** والمسئولية التى ألقيت على عاتقنا كخدام أو آباء أو أمهات أو عاملين فى أى موقع، ولا أن نهرب من **الضيقة** أو **الاضطهاد** من أجل المسيح فتفاديهما يصير تخلياً عن الصليب وإنكاراً للإيمان.

(**٦**) الرب يوصينا عملياً أن نهرب من الشر والأشرار إلى الله ونحتمي فيه، ولكن الكتاب يحثنا أيضاً أن "**قاوموا إبليس فيهرب منكم**" (يع٤: ٧)، وأنه إذا كان إبليس خصمنا كأسد زائر، يجول ملتمساً من يبتلعه، فإنه يوصينا "**فقاوموه راسخين في الإيمان**" (١بط٥: ٩). فهل نهرب

من الشر أم نقاومه؟. إن الهروب من الشر أحياناً هو أحد وسائل مقاومته وإحباط مؤامرته، ويمكن أيضاً أن نقاوم الشر في داخلنا فلا نستجيب لصوت الشهوة أو ضغط الذات أو الكبرياء التي تنادي بالانتقام والدفاع عن الكرامة مهما كانت النتائج ومهما كانت الخيانة للإيمان.

(٧) بعض المواجهات أليمة والمقدمات فيها تشي بالنتائج المُرة، ولابد من تفادي هذه المواقف وعدم الخضوع للجسد، وبذلك نمنع تداعي العلاقات في الحياة العائلية وبين الأصدقاء وفي مجالات العمل والخدمة.

✹ ✹ ✹

" **مبارك شعبي مصر**"(إش١٩: ٢٥) و"**من مصر دعوت ابني**" (هو١١: ١ – ٧٧٢ ق.م) و" **يكون مذبح للرب**[٤] **فى وسط أرض مصر وعمود للرب عند تخومها، فيكون علامة وشهادة للرب الجنود في أرض مصر.... ويُعرف الرب في مصر ويعرف المصريون الرب في ذلك اليوم ويقدمون ذبيحة وتقدمة...**" (إش١٩: ١٩-٢١). هذه نبوءات ثلاث تحققت بزيارة السيد لديارنا وعودته منها إلى الناصرة.

فلنبق جديرين بهذه النعمة التى فاضت علينا، بحياتنا فى الإيمان وفخرنا بالانتماء إلى أرض انتمى إليها الرب، والتمس فيها النجاة من الأشرار، وليبق قلبُنا وبيتُنا مستقَّراً دائماً لسكنى الرب، وأن نكون له شهود أمناء وبشارة حية لمن حولنا.

(٤) في تفسير **القديس كيرلس الكبير**: أنه إشارة إلى الكنيسة المسيحية التي قامت على أنقاض الهياكل الوثنية.

■ عيد العنصرة (*)

قوة من الأعالى

لأربعين يوما بعد قيامته، ظل الرب يظهر لتلاميذه يساندهم ويشددهم ويعّدهم لإرساليتهم العظمى **ببشارة الخلاص** للعالم "**اذهبوا إلى العالم أجمع واكرزوا بالإنجيل للخليقة كلها**" (مر١٦: ١٥) "**اذهبوا وتلمذوا جميع الأمم وعمدوهم باسم الآب والابن والروح القدس وعلموهم أن يحفظوا جميع ما أوصيتكم به**" (مت٢٨: ١٩، ٢٠)، ويتكلم معهم "**عن الأمور المختصة بملكوت الله**"(أع١: ٣).

وفى لقائه الأخير بتلاميذه، أكد الرب على كل ما سبق أن أوصاهم به وعلمهم إياه، وكيف تحققت فيه نبوات الأنبياء فاتحا ذهنهم لكى يفهموا الكتب قائلا: "**هذا هو الكلام الذى كلمتكم به وأنا بعد معكم أنه**

(*) **القراءات:** ١كو١٢: ١-٣١، ١يو٢: ٢٠-٣: ١، أع٢: ١-٢١، يو١٥: ٢٦-١٦: ١٥

انظر ملحق رقم (٢) عن "**صلاة السجدة**" (ص ٢٥٢) في نهاية الكتاب.

لابد أن يتم جميع ما هو مكتوب عنى فى ناموس موسى والأنبياء والمزامير.. وهكذا كان ينبغى أن المسيح يتألم ويقوم من الأموات فى اليوم الثالث وأن يكرز باسمه بالتوبة ومغفرة الخطايا لجميع الأمم مبتدئا من أورشليم وأنتم شهود لذلك" (لو٢٤: ٤٤-٤٨)، ثم أعلن لهم وعده "ها أنا أرسل إليكم **موعد أبى** فأقيموا فى مدينة أورشليم إلى أن تلبسوا **قوة من الأعالى"**(لو٢٤: ٤٩).

ويذكر **القديس لوقا** فى مقدمة سفر أعمال الرسل أن الرب "أوصاهم أن لا يبرحوا من أورشليم بل ينتظروا **موعد الآب**... لأن يوحنا عمد بالماء وأما أنتم فستتعمدون **بالروح القدس** ليس بعد هذه الأيام بكثير... لكنكم **ستنالون قوة متى حل الروح القدس عليكم وتكونون لى شهودا** فى أورشليم وفى كل اليهودية والسامرة **وإلى أقصى الأرض"**(أع١: ٤، ٥، ٨).

ويذكر الكتاب أن **الرب** بعد ذلك خرج مع **تلاميذه** إلى **بيت عنيا**، ورفع يده وباركهم، وفيما هو يباركهم انفرد عنهم **وأُصعد إلى السماء**، وهم ينظرون وأخذته سحابة عن أعينهم. **فسجدوا له** ورجعوا إلى أورشليم **بفرح عظيم** (لو٢٤: ٥٠-٥٢، أع١: ٩، ١٢).

وفى **يوم الخمسين**، وكان الجميع معا بنفس واحدة، **تحقق الوعد الإلهى وحل الروح القدس** على التلاميذ **"وصار بغتة من السماء صوت كما من هبوب ريح عاصفة وملأ كل البيت.. وظهرت لهم ألسنة منقسمة كأنها من نار، واستقرت على كل واحد منهم، وامتلأ الجميع من الروح القدس، وابتدأوا يتكلمون بألسنة أخرى كما أعطاهم الروح أن ينطقوا"**(أع٢: ٢-٤).

إذاً فقد جاءت **القوة** التى وعدهم الرب بها، وهى **قوة من الأعالى.**

■ ضرورة نوال القوة من فوق:

نحن جميعا، خداما كنا أم مؤمنين عاديين، نحتاج إلى **قوة من فوق** لكى نمارس مسيحيتنا فى المقام الأول. إن حياتنا الجديدة ليست منا وإنما هى ثمر الخلاص، الذى وهبه الرب لنا بموته وقيامته، وعمل الروح القدس.

وكلمات الرب واضحة: "**بدونى لا تقدرون أن تفعلوا شيئاً**" (يو١٥: ٥). والوحى الإلهى يؤكد **أننا خلصنا بالنعمة** (أف٢: ٥، ٨)، أى إنعاماً إلهياً مجانياً، وأن كل أعمالنا لا تنتسب إلينا بقدر ما تنتسب إلى نعمة الله "**لأننا نحن عمله مخلوقين فى المسيح لأعمال صالحة قد سبق الله فأعدها لكى نسلك فيها**" (أف٢: ١٠)، وبولس المتوشح بالنعمة يقول "**أستطيع كل شئ فى المسيح الذى يقوينى**"(فى٤: ١٣).

فوصايا الرب مستحيلة بدون شركة المسيح وعمل الروح، وبالمسيح وفي الروح تصير "**وصاياه ليست ثقيلة**"(١يو٥: ٣).

وسلوكنا بالروح، **وانفصالنا** عن روح العالم ونصرتنا على رئيسه، وقدرتنا على احتمال الآلام، ويقيننا بأبديتنا، **هذا كله عطاء إلهى**. ودورنا هو الإيمان ("**آمن فقط**" – مر٥: ٣٦، لو٨: ٥٠)، **وطاعة حق الإنجيل** (يو٢: ٥، ٢تس١: ٨، ١بط١: ٢، ٢٢، ٤: ١٧)، **وتسليم الحياة** ("**سلّمنا فصرنا نُحمل**" –أع٢٧: ١٥) ، **وأداء الواجب** ["**احملوا نيرى عليكم**" – مت١١: ٢٩)، "عملنا ما كان **يجب** علينا" (لو١٧: ١٠)، "**املأوا الأجران**"(يو٢: ٧)، "**ارفعوا الحجر... حلّوه ودعوه يذهب**"(يو١١: ٣٩، ٤٤)]. فنحن نقدم القليل الذى عندنا: الخمس خبزات والسمكتين (مت١٤، ١٧، مر٦: ٣٨، لو٩: ١٣، يو٦: ٩) وهو يمنح البركة الفائضة، بل ويقيم من الموت: موت الخطية وموت الجسد.

وبالنسبة للتلاميذ – ولكل الخدام من بعدهم – **فوصية المسيح** لهم بألا يشرعوا فى خدمتهم إلا بعد أن يتوشحوا **بقوة الروح**، الذى سيرسله إليهم سريعاً، هى **الأمر الإلهى** واجب الطاعة والنصيحة الذهبية التى تضمن نجاح الخدمة.

وكلمات الرب للتلاميذ وسائر الخدام خلال أيام خدمته على الأرض، وخاصة فى خطابه الوداعى ليلة الآلام، تكشف عن هذه

الضرورة ، وهو يشير إلى دور الروح فى الكرازة والتعليم ومؤازرة عمل الابن الخلاصى ومساندة الكارزين بالقوة والتعزية إلى النهاية: فهو "**روح الحق**" (يو١٤: ١٧، ١٥: ٢٦) "**المعزى**" (يو١٤: ١٦، ٢٦، ١٥: ٢٦، ١٦: ٧)، الذى "**يمكث معكم إلى الأبد**"(يو١٤: ١٦)، والذى "**يشهد لى**"(يو١٥: ٢٦)، وهو "**يمجدنى لأنه يأخذ مما لى ويخبركم**"(يو١٦: ١٤، ١٥)، وهو "**يعلمكم** كل شئ **ويذكركم** بكل ما قلته لكم"(يو١٤: ٢٦) "لأن لستم أنتم المتكلمين **بل روح أبيكم الذى يتكلم فيكم**" (مت١٠: ٢٠، مر١٣: ١١)، كما أنه "ليس أحد يقدر أن يقول يسوع رب إلا بالروح القدس" (١كو١٢: ٣)، وهو "يبكت العالم على **خطية** وعلى **بر** وعلى **دينونة**"(يو١٦: ١٠).

وفى حياتنا اليومية فالروح القدس هو **كنز الصالحات ومعطى الحياة، وروح الإيمان** (٢كو٤: ١٣)، **وروح القوة والمحبة والنصح** (٢تى١: ٧)، **وهو واهب القداسة** (مز٥١: ١١، رو١: ٢٤، ١كو٣: ١٦، ١٧، ٦: ١٩، أف١: ١٣، ٢: ٢١، ٤: ٣٠)، **والوداعة** (١كو٤: ٢١، غل٦: ١) **وسائر ثمار الحياة فى المسيح** (غل٥: ٢٢، ٢٣).

ومعلمنا **القديس بولس** يخصص جزءا كبيرا من رسالته الأولى إلى أهل كورنثوس **عن مواهب الروح القدس** (١كو١٢-١٤) خاصة ما يتعلق بالخدمة: كلام حكمة، كلام علم، إيمان، مواهب شفاء، عمل قوات، نبوة، تمييز الأرواح، أنواع ألسنة، ترجمة ألسنة "**ولكن هذه كلها يعملها الروح الواحد بعينه قاسما لكل واحد بمفرده كما يشاء**"(١كو١٢: ١١).

وفى رسالته إلى أهل غلاطية يحثّهم على **السلوك بالروح** كى ينالوا ثماره: "**محبة فرح سلام طول أناة لطف صلاح إيمان وداعة تعفف**" (غل٥: ٢٢، ٢٣).

نحن إذاً **لا نستطيع أن نكون مسيحيين بدون المسيح والروح القدس..** القوة التى أفاضها علينا من فوق. والذين هم فى الجسد **"لا يستطيعون أن يرضوا الله"** (رو٨: ٨) و"**إن كان أحد ليس له روح المسيح فذلك** (أى المسيح) **ليس له**" (رو٨: ٩)، أما "**كل الذين ينقادون بروح الله فأولئك هم أبناء الله**"(رو٨: ١٤).

■ مجالات لعمل قوة الروح :

القوة التى وعد بها الرب تلاميذه من الأعالى لا حدَّ لمجالات عملها.

إنها تشمل كل جوانب الحياة المسيحية للمؤمنين كما إنها تهيمن على كل أمور الخدمة من تعليم الأطفال وحتى رسامة الأساقفة، مرورا بكل خدمات الكنيسة المتنوعة والكرازة بالمسيح للمتغربين.

وسنختار فيما يلي بعضا من هذه المجالات وهى السلوك بالروح، وخدمة الكرازة، والشهادة للمسيح:

■ أولا : قوة من الأعالى للسلوك بالروح والتوبة المتجددة:

هذا مجال أساسى لعمل الروح القدس فى حياة كل مؤمن وخادم، سواء فى جانبها الإيجابى من نواحى العبادة والسلوك الروحى، وجانبها السلبى من رفض الخطية والانسلاخ من العالم الشرير.

فأى نشاط روحى لابد أن يستند لقوة من فوق كى ينجح ويتواصل، وبدون هذه القوة تتزلق النفس إلى الرياء والتدين الشكلى وإرضاء الناس وتتعرض النفس بالتالى لخطر فقدان المسيح.

والكتاب يوصينا أن "**اسلكوا بالروح** فلا تكملوا شهوة الجسد" (غل٥: ١٦)، وأن الله لم يعطنا روح الفشل "**بل روح القوة والمحبة والنصح**" (٢تى١: ٧). ومعلمنا بولس يصلى إلى الرب من أجل أهل أفسس "كى يعطيكم بحسب غنى مجده **أن تتأيدوا بالقوة بروحه فى الإنسان الباطن ليحل المسيح بالإيمان فى قلوبكم .. ولكى تمتلئوا إلى كل ملء الله**"(اف٣: ١٦-١٩).

ولن يستغنى مؤمن أو خادم **عن مؤازرة الروح** لممارسة عبادته من صلاة وصوم وتوبة متواصلة، واشتراك فى القداس، ومحبة الإخوة، وحفظ كلمة الله والالتزام بها وطاعتها. فنحن "**لسنا نعلم ما نصلى لأجله كما ينبغى**"(رو٨: ٢٦) كما يكتب معلمنا بولس إلى أهل رومية. وقد نصوم عن الطعام فقط ودون توبة وهكذا لا نتغير، وقد نقرأ الكتاب دون طاعة أو التزام ونظل متغربين عن الكلمة، وقد نشترك فى صلاة القداس ونحن لا ندرك حضور المسيح وروحه، والذهن شارد فى العالم الخارجى وهموم الحياة ومشاغلها، ونحن قد نكون مسيحيين إسميين ولم نلتفت بعد إلى وصية الرب أن ننكر أنفسنا ونحمل صليبنا ونتبعه (مت١٦: ٢٤، مر٨: ٣٤، لو٩: ٢٣)، ففى هذه كلها **نحن نحتاج إلى عمل المسيح وقوة الروح القدس** القادر وحده على "**ختان القلب**"(رو٢: ٢٩)، والذى به نستطيع أن نميت أعمال الجسد فنحيا (رو٨: ٣٣).

ولا شك أن للخدام الملتزمين دورا فى جذب الشاردين وتوجيههم لنوال هذه القوة كى يفلحوا مثلهم فى **رفض الخطية** ومقاومتها، **والانسحاب من محبة العالم** والمال وتعظم المعيشة، **والترفع عن الانحراف السلوكى** كألوان الغش (فى الامتحانات أو فى الإنتاج الزراعى أو الصناعى أو الأعمال الحرفية)، أو استخدام الرشوة، أو الانخراط فى علاقات جسدية غير سوية تغذيها الشهوة، وغيرها.

■ ثانيا: قوة من الأعالى لخدمة باذلة للكرازة والتعليم:

فى مجال الخدمة تكون القيادة بلا منازع **للروح** فى الكرازة "لأن لستم أنتم المتكلمين **بل روح أبيكم الذى يتكلم فيكم**"(مت١٠: ٢٠)؛ "وكلامى وكرازتى لم يكونا بكلام الحكمة الإنسانية المقنع بل **ببرهان الروح والقوة** لكى لا يكون إيمانكم بحكمة الناس **بل بقوة الله**"(١كو٢: ٤، ٥)؛ "لا بأقوال تعلمها

حكمة إنسانية بل بما **يعلمه الروح القدس** قارنين الروحيات بالروحيات"(اكو٢: ١٣)؛ "أنا غرست وأبلوس سقى **لكن الله كان ينمى** إذاً ليس الغارس شيئا ولا الساقى **بل الله الذى ينمى**"(١كو٣: ٦، ٧).

كلمات خادم الله **التى يرسلها الروح**، مقولةً كانت أم مكتوبة، لا ترد فارغة بل تنخس القلوب وتغير الحياة وتهب الإيمان. وعظة قصيرة **للقديس بطرس** حولت ثلاثة آلاف دفعة واحدة "**قبلوا كلامه بفرح واعتمدوا**" (أع٢: ٤١)، "**وكان الرب كل يوم يضم إلى الكنيسة الذين يخلصون**" (أع٢: ٤٧).

وفى الكنيسة الأولى كان الروح هو كاتب الأناجيل والرسائل (٢بط١: ٢١)، وهو الذى كان يسمح بالخدمة (أع٨: ٢٦، ١٣: ٢، ١٦: ٩) أو يمنع عنها (أع١٦: ٦)، وهو الذى كان يرأس المجامع (أع١٥: ٢٨)، وهو الذى شدد الكنيسة وسط المحن والضيقات (اع٤: ٣٢، ٩: ٣١، ١٢: ٥)، وهو الذى وحَّد جماعة المؤمنين وجعلهم "معا بنفس واحدة" (اع٢: ٤٦).

وعلى مدى الزمان فالروح هو الذى يدعو ويرسل ويتكلم ويمنح قوة الكلمة المغّيرة والمعزية، وهو الذى يهيئ القلوب للإيمان والتوبة، وهو الذى يساند كل خدمة صغرت أم كبرت.

وإلى اليوم وغدٍ، **فالروح قادر ومستعد لمؤازرة الخادم، وكل مؤمن يدرك مسئوليته كشاهد للمسيح وخادم لكل البشر، فيتوارى وراء الصليب تاركا للروح قيادة دفة الحياة والخدمة، وقابلا الكلمة على أنها مرسلة له قبل أن ترسل للآخرين، ممارسا للتوبة كأنه أول الخطاة** (١تى١: ١٥)، **متضّعاً سائلا الروح قبل كل خدمة وخلالها أن يتفضل ويحل ويعمل ويرسل ويتكلم ويخدم. وبغير ذلك يظهر الإنسان ويتوارى الروح وتتبدد الخراف.**

■ **ثالثا: قوة من الأعالى للشهادة للمسيح وقبول الآلام من أجله بفرح:**

عندما دعا الرب تلاميذه أن يكونوا شهودا له بدءاً من أورشليم وحتى أقاصى المسكونة، أى أن يعلنوا للعالم شهادتهم عن المسيح المصلوب والذى غلب الموت وقام فى اليوم الثالث، والذى "**ليس بأحد غيره الخلاص لأن ليس اسم آخر تحت السماء قد أعطى بين الناس به ينبغى أن نخلص**"(أع٤: ١٢)، كان يعرف أنه يرسلهم مثل **حملان وسط ذئاب** (مت١٠: ١٦، لو٧: ٣)، وأنهم يقتحمون مملكة رئيس هذا العالم لكى ينقذوا أتباعه من موت الخطية، مختطفين إياهم من النار لينضموا إلى خراف المسيح التى لن تهلك، وهى مهمة محفوفة بالمخاطر لن يستطيعوا القيام بها إلا **بقوة خاصة تأتيهم من الأعالى**. وهكذا استطاعوا بها أن يعلنوا شهادتهم للعالم بكل مجاهرة "**وبقوة عظيمة كان الرسل يؤدون الشهادة بقيامة يسوع**" (أع٤: ٣٣)؛ "وفى الليلة الثالثة وقف به الرب وقال ثق **يا بولس لأنك كما شهدت بما لى فى أورشليم هكذا ينبغى أن تشهد فى رومية أيضاً** "(أع٢٣: ١١)؛ "فقال الرب لبولس برؤيا فى الليل **لا تخف بل تكلم ولا تسكت لأن لى شعبا كثيرا فى هذه المدينة** (كورنثوس) فأقام سنة وستة أشهر يعلم بينهم كلمة الله" (أع١٨: ٤-١١)؛ "ولكن ملاك الرب فى الليل فتح أبواب السجن وأخرجهم وقال **إذهبوا قفوا وكلموا الشعب فى الهيكل بجميع كلام هذه الحياة**"(أع٥: ١٩، ٢٠).

أما محور الكرازة كلها فهو المسيح المصلوب المنتصر على الموت "لم أعزم **أن أعرف شيئا بينكم إلا يسوع المسيح وإياه مصلوباً** "(١كو٢: ٢)، وهو الذى يدين له التلاميذ والرسل بخلاصهم من الموت، وهو إذ أحبهم حتى المنتهى ومات عنهم فهم يبادلونه حبا بحب، ومستعدون لاحتمال الآلام، بل وقبول الموت من أجله بفرح "**أما هم فذهبوا فرحين من أمام المجمع لأنهم حُسِبوا مستأهلين أن يهانوا من أجل اسمه**"(أع٥: ٤١).

وفى حديثه لقسوس كنيسة أفسس يتكلم معلمنا بولس عن الآلام التى تنتظره قائلاً "**لست أحتسب لشئ ولا نفسى ثمينة عندى حتى أتمم بفرح سعيى والخدمة التى أخذتها من الرب يسوع لأشهد ببشارة نعمة الله**"(اع٢٠: ٢٤).

ولما جاء **القديس بولس** إلى قيصرية وحثه المجتمعون ألا يصعد إلى أورشليم خوفا على حياته أجابهم قائلا "تبكون وتكسرون قلبى، **لأنى مستعد ليس أن أربط فقط بل أن أموت أيضاً فى أورشليم لأجل اسم الرب يسوع**" (اع٢١: ١٣).

نعم... فى ساعات الحصار وضغوط الاضطهاد والتعصب، وخيانة الإخوة والأصدقاء، وسطوة الآلام الجسدية والنفسية من أجل الإيمان والخدمة، ينكشف ضعف الإنسان وقلة حيلته، **ولكن حضور المسيح وروحه القدوس** فى هذه المواقف هو الذى يشدد ويؤازر ويعزى ويخرج من الحبس إلى النور وينقذ الخادم والخدمة.

وبالنسبة للمؤمن المضطهَد فإن الروح يعينه إما بانتهاء المحنة، أو برفع درجة الإيمان بمقدار يتجاوز التجربة ويعبر به الأمر الواقع إلى ما لا يرى، ويرفع عينيه من الحاضر المر إلى مجد الأبدية، وهكذا يأتى الفرح ممتزجا بالألم.

❋ ❋ ❋

فلنطلب قوة من الأعالى:

+ للسلوك بالروح والتوبة الشاملة المتجددة؛

+ ولخدمة باذلة للكرازة والتعليم ومحبة الإخوة؛

+ وللشهادة للمسيح أمام العالم المضاد وقبول الاضطهاد من أجله بفرح. فنحن فى حاجة إلى هذه القوة وبدونها لن نقدر أن نفعل شيئاً.

الروح القدس بين العهدين

تبدأ الرسالة إلى العبرانيين بهذه الكلمات: "**الله** (الآب) **بعد ما كلم الآباء بالأنبياء قديماً بأنواع وطرق كثيرة، كلمنا في هذه الأيام الأخيرة في ابنه... الذي به أيضاً عمل العالمين**" (عب١: ١، ٢).

ويكتب معلمنا القديس يوحنا في صدر بشارته "**الله لم يره أحد قط. الابن الوحيد الذي هو في حضن الآب هو خبّر**" (يو١: ١٨).

ونقرأ في سفر الخروج أن موسى خاطب الرب قائلاً "**أرِني مجدك**"، فقال له "**لا تقدر أن ترى وجهي، لأن الإنسان لا يراني ويعيش**" (خر٣٣: ١٨، ٢٠).

نحن إذاً لم نعرف عن طبيعة الله إلا عندما تجسد ابن الله وحل بيننا فمنه عرفنا عن **الآب**: "**ليس أحد يأتي إلى الآب إلا بي**" (يو١٤: ٦)، وعن **الروح القدس**: "**الذي فيه** (في المسيح) **أيضاً إذ آمنتم خُتمتم بروح**

الموعد القدوس" (أف١: ١٣)[1].

والمسيح هو الذي استعلن لنا **الثالوث** في مشهد غير مسبوق، يوم معموديته من يوحنا، حيث كان يسوع **الابن** المتجسد، وهو يصعد من نهر الأردن، وإذا السموات قد انفتحت (انشقت) ونزل منها **الروح القدس (روح الله)** مثل حمامة واستقر عليه، ودوّى في الآفاق صوت **الآب** من السماء **"هذا هو ابني الحبيب الذي به سُررت (أنت ابني الحبيب بك سُررت)"** (مت٣: ١٦، ١٧، مر١: ١٠، ١١، لو٣: ٢١، ٢٢، يو١: ٣٢).

■ الله في العهد القديم:

نحن لم نعرف طبيعة **الله كثالوث** بصورة صريحة إلا في **العهد الجديد** بمجيء ابن الله يحقّق الوعد الإلهي القديم بالبركة **"لجميع قبائل الأرض"** (تك١٢: ٢) ويكون إبراهيم **"أباً لجمهور من الأمم"** (تك١٧: ٥) هم نسل إبراهيم بالإيمان (تك١٥: ٦) وليس حسب الجسد **"لكي يبين غنى مجده على آنية رحمة قد سبق فأعدها للمجد، التي أيضاً دعانا نحن أيضاً إياها، ليس من اليهود فقط بل من الأمم أيضاً"** (رو٩: ٢٥، ٢٦): **"ويتبارك في نسلك جميع أمم الأرض"** (تك٢٢: ١٨). كما يقول في هوشع أيضاً (هو١: ٩، ١٠): **"سأدعو الذي ليس شعبي شعبي، والتي ليست محبوبة محبوبة، ويكون في الموضع الذي قيل لهم فيه لستم شعبي أنه هناك يُدعون أبناء الله الحي"** (رو٩: ٢٥، ٢٦).

على أنه لم يخلُ الأمر في **العهد القديم** من إشارات واضحة **للثالوث**. فاسم **"الله"** بالعبرية **"إلوهيم"** هو اسم جمع موحد uni-plural. كما أن هناك بعض الآيات الموحية التي يتكلم فيها الله بصيغة الجمع مثل **"نعمل الإنسان على صورتنا كشبهنا"** (تك١: ٢٦)، **"هلم نترل ونبلبل هناك ألسنتهم"** (تك١١: ٧).

---

(١) **"الذي أظهر لنا نور الآب، الذي أنعم علينا بمعرفة الروح القدس الحقيقية"** (القداس الغريغوري).

وبصورة عامة فإن لفظ "**الله**" في أسفار العهد القديم قد يرد بغير تمييز لأحد الأقانيم (فيقصد **الثالوث**)، وإن كان في أكثر الأحوال يشير إلى شخص "**الآب**"[٢]. وهناك بعض المواقف التي ظهر فيها **الابن**[٣]، كظهوره **لإبراهيم** كواحد ضمن ثلاثة رجال (الرب وملاكين)[٤] (تك١٨: ١- ١٩: ١)، وظهوره **لجدعون** كملاك الرب (قض ٦: ١١- ١٤). ولكن الإشارة إلى **الابن** في معظمها هي في النبوات الكثيرة التي لا يمكن حصرها، وهي تبدأ مما جاء في سفر التكوين حتى سفر ملاخي باعتبار أن الابن هو الذي يتجسد ويموت ويقوم من أجل خلاص الإنسان الذي حققه مع الابن: الآب والروح والقدس، كما هو الحال عند خلق الإنسان وسائر الكون.

■ عن الروح القدس في العهد القديم:

يأتي ذكر الروح القدس في العهد القديم ضمناً كشريك في عملية الخلْق و"معطي الحياة": "**روح الله يرفّ على وجه المياه**" (تك١: ٢). ويشار إليه كثيراً "**كروح الله**" (تك٤١: ٣٧، ٣٨)، و"**روح الرب**" (عد١١: ٢٩، قض٦: ٣٤، ١١: ٢٩، ١٣: ٢٤، ٢٥، ١صم ١٠: ٦)، وإن لم ينكشف لآباء العهد القديم بصورة جلية أنه أقنوم بعينه مساو للآب والابن في الجوهر.

والروح القدس يظهر في أعماله (لأن مجاله الحياة والروح والنفس والباطن والفكر) ولا يظهر بشخصه (إلا في ظهوره في مشهديْن غير مسبوقيْن في العهد الجديد **كحمامة** يوم عماد الرب، **وكألسنة نار** يوم الخمسين)، فهو سر حياة كل الكائنات. ولكن سائر هباته لم تفِض على

---

(٢) وحتى في العهد الجديد، فإن كلمة "**الله**" إن لم تكن محددة للإشارة إلى الابن أو الروح القدس، فإنها تقصد "**الآب**".

(٣) لأن الآب لم يتجسد ولا يقدر أحد أن يراه. فكل الظهورات الإلهية في هيئات بعينها هي **للابن** باعتباره "**صورة الله**" (تك١: ٢٦، ٢٧، ٥: ٣، ٩: ٦، ١كو١١: ٧، ٢كو٤: ٤، كو١: ١٥)، "**ورسم جوهر الآب**" (عب١: ٣).

(٤) ويتضمن الحوار كثيراً تعبير "**قال الرب**"، وبعد انصراف الرجلين (الملاكين) لإنقاذ لوط من سدوم فإن إبراهيم "**كان لم يزل قائماً أمام الرب**" (تك١٨: ٢٢).

الكل في العهد القديم، وإنما اختُصَّت بها أمة واحدة هي شعب إسرائيل (كباكورة، قبل أن يصير الروح لكل من يؤمن بعد الخلاص)، ولأفراد بعينهم من هذا الشعب[٥]، خاصة الآباء والأنبياء وقادة الشعب من القضاة[٦]، وبعض الملوك الذين حكموا باسم الرب مثل داود وسليمان. وكان النبي يمسح الملك فيحل عليه روح الرب **"فأخذ صموئيل قرن الدهن ومسحه** (داود) **في وسط إخوته، وحل روح الرب على داود من ذلك اليوم فصاعداً"** (١صم١٦: ٣). وكان الروح يفارق الشخص إذا حاد عن طريق الرب كما جرى مع الملك شاول بحسب المكتوب **"وذهب روح الرب من عند شاول وبغته روح رديء من قبل الرب"** (١صم١٦: ١٤).

فمسيرة الآباء إبراهيم واسحق ويعقوب ويوسف، وقادة إسرائيل موسى ويشوع والقضاة كانت بإرشاد الروح القدس. كما كان الروح هو الذي يمسح الكهنة ويبارك الخدمة ويقبل الذبائح أو يرفضها، وهو الموحي للأنبياء[٧] كي يُفصحوا عنه[٨]، وأن ينبئوا عن تجسد المخلص وآلامه وأمجاده (لو٢٤: ٢٦، ٢٧، ٤٤، ٤٥، ١بط ١: ٩-١٢) وما يقترن بمجيئه من فيض الروح: **"ويخرج قضيب من جذع يسى وينبت غصن من أصوله**

---

(٥) بعد اختيار سبعين من شيوخ الشعب لكي يحملوا الأعباء مع موسى " **نزل الرب في سحابة وتكلم معه وأخذ من الروح الذي عليه وجعل على السبعين رجلاً الشيوخ"** (عد١١: ٢٥). وحلّ روح الرب على رجلين آخرين (ألداد وميداد) فتنبآ في المحلة. ولما قال غلام لموسى أن يردعهما، ردّ بالقول **"هل تغار أنت لي. يا ليت كل شعب الرب كانوا أنبياء إذا جعل الرب روحه عليهم"** (عد١١: ٢٩).

(٦) **"ولبس روح الرب جدعون"** (قض٦: ٣٤)، **"وكان روح الرب على يفتاح"** ،قض١١: ٢٩)، **"وكبر الصبي** (شمشون) **وباركه الرب وابتدأ روح الرب يحركه"** (قض١٣: ٢٤، ٢٥).

(٧) **"عالمين هذا أولاً أن كل نبوة الكتاب ليست من تفسير خاص.. لأنه لم تأت نبوة قط بمشيئة إنسان بل تكلم أناس الله القديسون مسوقين من الروح القدس"** (٢بط١: ٢٠، ٢١)، **"كل الكتاب هو موحى به من الله.."** (٢تي٣: ١٦).

(٨) فداود النبي يكتب **"لا تطرحني من قدام وجهك وروحك القدوس لا تنزعه مني"** (مز٥١: ١١) **"أين أذهب من روحك ومن وجهك أين أختفي"** (مز١٣٩: ١١) **"ترسل روحك فتُخلق، وتجدّد وجه الأرض"** (مز١٠٣: ٣٠).

ويحل عليه روح الرب: روح الحكمة والفهم، روح المشورة والقوة، روح المعرفة ومخافة الرب" (إش١١: ١، ٢)؛

"وأعطيكم قلباً (واحداً) جديداً وأجعل روحاً جديدة في داخلكم، وأنزع قلب الحجر من لحمكم وأعطيكم قلب لحم، وأجعل روحي في داخلكم، وأجعلكم تسلكون في فرائضي وتحفظون أحكامي وتعملون بها" (حز١١: ١٩، ٣٦: ٢٦، ٢٧)؛

"ويكون بعد ذلك أني أسكب روحي على كل بشر فيتنبأ بنوكم وبناتكم ويحلم شيوخكم أحلاماً ويرى شبابكم رؤى، وعلى العبيد أيضاً وعلى الإماء أسكب روحي في تلك الأيام" (يؤ٢: ٢٨، ٢٩، أع٢: ١٧، ١٨)؛

"لا بالقدرة ولا بالقوة بل بروحي قال رب الجنود" (زك٤: ٦).

■ عن الروح القدس في العهد الجديد:

من نِعَم التجسد أن **الروح القدس**، الذي كان ذكْره خافياً في العهد القديم، سطع في الحياة مع بزوغ العهد الجديد بدءاً من بشارة زكريا الكاهن بميلاد المعمدان، وبشارة العذراء مريم بميلاد ابن الله، مع تحديد اسمه: **الروح القدس**: "لا تخف يا زكريا لأن طلبتك قد سُمعت وامرأتك أليصابات ستلد لك ابناً وتسميه يوحنا... ومن بطن أمه يمتلئ من **الروح القدس"** (لو١: ١٣، ١٥)؛

"الروح القدس يحل عليك وقوة العلي تظللك، فلذلك أيضاً المولود منك يدعى ابن الله" (يو١: ٣٥)؛

"وامتلأت أليصابات من **الروح القدس** وصرخت قائلة..." (لو١: ٤١)؛ وامتلأ زكريا من **الروح القدس** وتنبأ قائلاً...." (لو١: ٦٧)؛

"أنا (يوحنا) أعمدكم بماء للتوبة، ولكن الذي يأتي بعدي هو أقوى مني... هو سيعمدكم **بالروح القدس** ونار" (مت٣: ١١، مر١: ٨، يو١: ٣٣).

والرب إذ يعود من الأردن ممتلئاً من **الروح القدس**، وبعد الصوم

وتجربة إبليس، يرجع بقوة الروح إلى الجليل ويدخل مجمع الناصرة ويكون أول ما يقرأ من سفر إشعياء النبي "**روح (السيد) الرب عليّ لأنه مسحني لأبشّر المساكين...**" (إش٦١: ١، لو٤: ١٨). ومن خلال تعاليم المسيح وكلماته على مدى سنوات خدمته نمت معرفتنا **بالروح القدس:**

+ "**وإن كان أحد لا يولد من (فوق) الماء والروح لا يقدر أن يرى (يدخل) ملكوت الله. المولود من الجسد جسد هو والمولود من الروح هو روح**" (يو٣: ٣، ٥، ٦)؛

"**الروح هو الذي يُحيي... الكلام الذي أكلمكم به هو روح وحياة**" (يو٦: ٦٣).

فالروح القدس هو الذي يهب الإيمان والحياة الجديدة، المتحررة من الخطية، والمتبررة بالنعمة بالميلاد الثاني الجديد في المعمودية ("**ختان القلب بالروح**" – رو٢: ٢٩) حيث تُشارك المسيح موته وقيامته. والروح القدس هو العامل في كلمة الإنجيل التي تغيّرنا إلى الأفضل كلما أطعناها وحفظناها.

+ "**الله روح والذين يسجدون له فبالروح والحق ينبغي أن يسجدوا**" (يو٤: ٢٤)؛

"**لأن لستم أنتم المتكلمين بل روح أبيكم الذي يتكلم فيكم**" (مت١٠: ٢٠، مر١٣: ١١، لو١٢: ١٢).

والعبادة ليست كلاماً من الشفاه أو جهداً بشرياً أو فرائض جسدية، وإنما هي شركة **الروح القدس** في القلب "**أما تعلمون أنكم هيكل الله وروح الله يسكن فيكم؟**" (١كو٣: ١٦)، فهكذا نتصل بالآب والابن في الروح. وفي كرازتنا بالكلمة كمؤمنين نستدعي الروح بالصلاة لكي يكون كلامنا لا بحكمة الناس بل "**ببرهان الروح والقوة**" (١كو٢: ٤). هكذا "**نسعى كسفراء عن المسيح كأن الله يعظ بنا**" (٢كو٥: ٢٠) وهكذا تتغير بنا حياة الآخرين أيضاً.

+ **"إن عطش أحد فليُقبل إلي ويشرب. من آمن بي كما قال الكتاب**[٩] **تجري من بطنه أنهار ماء حي. قال هذا عن الروح الذي كان المؤمنون به مزمعين أن يقبلوه، لأن الروح لم يكن قد أُعطى به، لأن يسوع لم يكن قد مُجِّد بعد** (بالصليب والموت والقيامة والصعود)" (يو٧: ٣٧-٣٩).

هكذا بدأ الرب – وهويقترب من الصليب – يُفصح عن وعد الآب بالبركة لكل الأمم (تك١٨: ١٨، ٢٢: ١٨، ٢٦: ٤٠) بحلول شامل **للروح القدس** على البشر بعد أن يُتم الرب مهمته الخلاصية، ويهيء القلوب لمجيئه الساطع القريب، كي يهب المؤمنين به كل عطايا الخلاص:

"وأنا أطلب من الآب فيعطيكم معزياً آخر ليمكث معكم إلى الأبد. روح الحق الذي لا يستطيع العالم أن يقبله لأنه لا يراه ولا يعرفه. وأما أنتم فتعرفونه لأنه ماكث معكم ويكون فيكم. لا أترككم يتامى، إني آتي إليكم" (يو١٤: ١٦-١٨)؛

"وأما المعزي (الباراكليت) **الروح القدس الذي سيرسله الآب باسمي فهو يعلمكم كل شيء ويذكّركم بكل ما قلته لكم"** (يو١٤: ٢٦)؛

"ومتى جاء المعزي الذي سأرسله أنا إليكم من الآب، روح الحق الذي من عند الآب ينبثق فهو يشهد لي" (يو١٥: ٢٦)؛

"خير لكم أن أنطلق. لأنه إن لم أنطلق لا يأتيكم المعزي. ولكن إن ذهبت أرسله إليكم" (يو١٦: ٧)؛

"متى جاء ذاك روح الحق فهو يرشدكم إلى جميع الحق، لأنه لا يتكلم من نفسه بل كل ما يسمع يتكلم به ويخبركم بأمور آتية. ذاك يمجدني لأنه يأخذ مما لي ويخبركم" (يو١٦: ١٣، ١٤).

---

(٩) **"فتستقون مياهاً من ينابيع الخلاص"** (إش١٢: ٤)، **"ويكون في ذلك اليوم أن مياهاً حية تخرج من أورشليم"** (زك١٤: ٨).

فالرب المقبل على الموت والقيامة والصعود إلى مجده، يساند تلاميذه الذين يخالجهم الخوف من الغد، عندما يخرج السيد من حياتهم، ويملأهم الحزن على افتقاده بعد سنوات الرفقة الممتلئة بالفرح.

ولكن صعود الرب إلى السماء لم يكن يعني أنه يغيب على الأرض لكي يأخذ مكانه **الروح القدس** الذي كان غائباً! فالروح لم يغب يوماً لأنه روح الآب (مت١٣: ٢٠) والابن (غل٤: ٦، ١بط١: ١١)، والرب المحيي (يو٦: ٢٦) **"وأما الرب فهو الروح"** (٢كو٣: ١٧)، وهو مالئ الكل، والمسيح يظل حاضراً في كل مكان بذاته وروحه (يو٣: ١٣).

الروح القدس ليس بديلاً عن **المسيح** بل هو يواصل رسالة الخلاص: يعزّي ويشفع (رو٨: ٢٧) ويحيا في المؤمنين **"ليحل المسيح بالإيمان في قلوبكم"** (أف٣: ١٧)، ويهييء القلوب للتوبة (يو١٦: ٨) والإيمان بالمسيح ربّاً ومخلصاً (١كو١٢: ٣)، ويعلم كل شيء ويذكر بكل ما قاله الرب في الكتاب، ويهب استحقاقات الفداء لكل من يؤمن، ويشهد للرب أمام العالم، ويعلن حق المسيح والإنجيل، ويأخذ مما للمسيح ويخبر عن المستقبل، ويمكث معنا إلى الأبد.

وفي أول لقاء للرب بتلاميذه بعد قيامته ألقى عليهم سلامه ثم نفخ وقال لهم: **"اقبلوا الروح القدس"** كي يغفروا باسمه خطايا التائبين الراجعين، وأن يمسكوا خطايا المتصلفين والمقاومين (يو٢٠: ٢٢، ٢٣).

وكان آخر ما قاله لهم قبل صعوده ألا يبرحوا أورشليم انتظاراً لموعد الآب ونوال القوة بحلول **الروح القدس** من الأعالي (يو٢٤: ٤٩، أع١: ٤، ٨، أف١: ٣). وبعد عشرة أيام، وفي عيد الخمسين، كان تحقيق الوعد بانسكاب **روح الله** بغنى على البشر **"من كل أمة تحت السماء"** (أع٢: ٥). هكذا وُلدت كنيسة المسيح التي لن تقوى عليها أبواب الجحيم (مت١٦: ١٨)، وبدأ التلاميذ بالكرازة باسم المسيح والروح **"يضم كل يوم إلى الكنيسة الذين يخلصون"**

(أع٢: ٤٧)، ويعطي قوة للكلمة (١كو٢: ٤، ٢تي١: ٧) ويرسل الخدام (أع٨: ٢٩، ١١: ١٢) أو يمنعهم (أع١٦: ٧)، ويقدّس الأسرار، ويقيم الأساقفة والخدام (أع٢٠: ٢٨) ويمدهم بالمواهب (١كو١٢: ١٤).

والروح القدس هو "**روح الحق**" (يو١٤: ١٧، ١٥: ٢٦، ١٦: ١٣، ١يو٤: ٦)، و"**روح النعمة**" (عب١٠: ٢٩)، و"**روح القداسة**" (رو١: ٤)، و"**روح المحبة والفرح والسلام**" (غل٥: ٢٢)، و"**روح الحكمة والإعلان**" (أف١: ١٧)، وهو الوسيلة لنوال عطايا المسيح، شفيعنا عند الآب (رو٨: ٣٤، ١يو٢: ١)، وبالمسيح يقدمنا إلى الآب "**لأن به** (بالمسيح) **لنا كلينا** (البعيدين والقريبين) **قدوماً في روح واحد إلى الآب** (أف٢: ١٨).

وسيف الروح هو كلمة الله (أف٦: ١٧، عب٤: ١٢)، ولأنه روح الحق فالكلمة كما تكون سلاحنا ضد العدو وغلبته، تكون أيضاً ضد الذات تبكيتاً وحثاً للرجوع وتوبة عن شهوة الجسد.

❋ ❋ ❋

صلاة الساعة الثالثة من صلوات الأجبية توجهها الكنيسة إلى **الروح القدس** (وهي الساعة التي حل فيها الروح القدس يوم الخمسين)، وضمنها هذا التوسل: "**أيها الملك السمائي المعزي، روح الحق الحاضر في كل مكان، والمالئ الكل كنز الصالحات ومعطي الحياة، هلم تفضل وحل فينا وطهرنا من كل دنس أيها الصالح وخلِّص نفوسنا**".

والكتاب يخاطبنا: "**أما تعلمون أنكم هيكل الله وروح الله يسكن فيكم**" (١كو٣: ١٦، ٦: ١٩)؛ "**اسلكوا بالروح**" (غل٥: ١٦)؛ "**امتلئوا بالروح**" (أف٥: ١٨).

مع هذا فإن كثيرين منا لا يفطنون إلى موقع الروح القدس في حياتهم، ولا يشعرون بحضوره ولا يتعاملون معه أو يسألونه. هم بالطبع يسلِّمون بوجوده، ولكنه بالنسبة لهم هو "الحاضر الغائب".

فكيف بغير الروح نحب الله والقريب، وكيف نقدم عبـــادة مقبولـــة، وكيف نفهم الكلمة ونطيعها، وكيف ينمو إيماننا ونعيش بالتوبة، وكيـــف نبشر الآخرين، وكيف ننكر ذواتنا ونغلب الجسد وضـــعفه، وكيـــف لا ننسحق تحت الآلام ووطأة الصليب، وكيف لا نخاف الموت ونملك يقـــين الحياة الأبدية.

عندما نتغرب عن الروح القدس نفقد النور والتعزية ويتقسّى القلـــب، وتتحول صلتنا بالآب والابن إلى علاقة شكلية لها صورة التقوى ولكنـــها تفتقد الروح والقوة والصدق، وفي ظلّها تبقى كل جوانب حياتنا القديمـــة ولا نتغير.

نحن لا نستطيع أن نستغنى عن الروح القدس إن كنا حقـــاً في الإيمـــان (٢كو١٣: ٥) ونريد أن نحيا في المسيح، وأن نغلب العالم، ونبلغ إلى قيامة الحياة.

يا روحَ قـــدْس الله أشرق على القلب
جدّد به روح الحياة والطُهـــر والحب

أعياد شهر بؤونة

■ عيد القوي القديس الأنبا موسى (الأسود) (٢٤ بؤونة)

عيد القوي القديس الأنبا موسى (الأسود) (*)
(٢٤ بؤونة)

■ البداية :

لا يُعرف الكثير عن نشأة هذا القديس على وجه الدقة، ولكن الأكثر احتمالاً أنه ولد بين ٣٣٠، ٣٤٠م في إحدى قبائل البربر ذوي البشرة الداكنة. وكان عبداً لشيخ قبيلة تعبد الشمس، ثم تمرد وانحرف إلى طريق الشر فصار سارقاً وقاتلاً، ثم زعيماً لعصابة من قطاع الطرق وأصبح من عتاة الإجرام، مع قوة في الجسد وشراهة في الشهوات من كل نوع.

(*) أتمنى أن نكف عن تلقيب "**القديس موسى**" بالأسود، لأن فيه تحقيراً للسود وهذا غير مقبول مسيحياً. فالكتاب ألغى التمييز بحسب الأصل أو الجنس أو اللون: "**لأنكم جميعاً أبناء الله بالإيمان بالمسيح يسوع. لأن كلكم الذين أعتمدتم بالمسيح قد لبستم المسيح. ليس يهودي ولا يوناني (ختان وغرلة). ليس عبد ولا حر (بربري سكيثي). ليس ذكر وأنثى. لأنكم جميعاً واحد في المسيح يسوع (بل المسيح الكل وفي الكل)**" (غل٣: ٢٦-٢٨، كو٣: ١١) كما أن التمييز مرفوض حضارياً ويعتبر جريمة يُعاقب عليها القانون: الأفراد والدول على السواء (الفصل العنصري Apartheid في جنوب أفريقيا في وقت من الأوقات). وحتى لو كان لون **القديس موسى** له بعد تاريخي، وكان السود في وقته يُحتقرون ويُستخدمون كعبيد، فهذا كان عيباً اجتماعياً مرحلياً ينبغي التخلي عنه ولا نستبقيه. ويكفي أن نقول كما في مجمع القديسين في القداس: **القوي الأنبا موسى** أو **الأنبا موسى القوي** تمييزاً له عن غيره ممن يحملون نفس الاسم.

■ التحول:

ولكن الرب كان يرى فيه إناءً مختاراً ليحمل اسمه، شاهداً على قوة نعمة الله التي تنقل من الظلمة إلى النور، وتصنع من كتلة من الفساد إناءً للكرامة والمجد.

وهكذا حرّك الله قلبه بعد أن وجد نفسه، رغم المال والسطوة، صفر اليدين من الكرامة الإنسانية، ويعذبه خواء قلبه الذي أثقله الشر والانحراف وغاب عنه السلام. وبدأ يشغله من يكون الإله الحقيقي لهذا الكون. فكان أحياناً يسائل الشمس أن تهديه سواء السبيل، أو كان يقول في نفسه **"أيها الإله الذي لا أعرفه.. عرفني ذاتك.. اخبرني عمن يعرفك"**.

فجاء من يخبره عن رهبان شيهيت الذين يعرفون الله، الإله الحقيقي. فراح، وسيفه في يده، إلى البرية يستكشف أحوالهم، وقرع على قلاية أحدهم. وكان **القديس ايسيذوروس** قس القلالي متجهاً إلى الكنيسة، والذي دهش لمرآه وهيئته المخيفة وسأله عن مراده، فأخبره بحيرته وقلبه الذي تثقله الخطية، وماضٍ شائه لوثه الشر والفساد حتى الأعماق، حتى أنه بكى حسرة وحزناً.

فكلّمه القديس عن الدينونة والحاجة إلى الخلاص، وكيف أن المسيح قد جاء إلى العالم ليخلص الخطاة وينقلهم إلى ملكوته، وتركه ومضى.

ولكن **موسى** وجد فيما سمعه رجاءه في حياة أفضل يتحرر فيها من عذابه وتأنيب ضميره. فتخلى عن عصابته، وأتى إلى **القديس ايسيذوروس** يعترف بما ارتكبه كل حياته من آثام مع تعهد بالتوبة وتسليم الحياة. فقاده **القديس ايسيذوروس** إلى **القديس أنبا مقار** الذي وضعه تحت رعايته وبدأ في تعليمه أسس الإيمان، ثم عمده، وسلمه **للأنبا ايسيذوروس** لمواصلة تعليمه وقيادته في طريق الحياة.

■ رهبنته :

بعد أيام طلب **موسى** أن يصير راهباً، ولكن **القديس ايسيذوروس** أوضح له صعوبة الطريق الرهباني وأن الضيقات تكون كثيرة ، خاصة وأن ماضيه سيظل يلاحقه، ولكنه أبدى عزماً وإصراراً مما جعل **القديس ايسيذوروس** يعود به من جديد **للقديس مقاريوس**.

وهناك قدم اعترافاً علنياً عما كان عليه أمام كل الرهبان، وكشف بذلك عن صدق توبته وعزمه على التخلص من ماضيه.

وبعد أن انخرط في طريق الرهبنة، قيل أن الأخوة كانوا يتحفّظون في معاملته في بادئ الأمر بسبب سمعته الرهيبة السابقة. ولكنهم ما لبثوا أن رأوا فيه مثال الاتضاع والالتزام ومجاهدة النفس وطاعة أبيه الروحي. حتى ارتفع اسمه في البرية وبدأ يكثر زواره مما جعله يشكو حاله **للقديس مقاريوس** الذي نصحه بأن ينفرد في قلاية بعيدة.

■ حروب العدو :

على أن إبليس لم يستسلم وأخذ يذكّره بماضيه، ويستثير فيه الشوق إلى خطاياه القديمة. وبتوجيه **القديس ايسيذوروس** تعلم أن يستخدم وسائط النعمة صوماً وصلاةً وانشغالاً بالعمل ولجوءاً لكلمة الله وطلباً لمعونته. وظل مثابراً لسنوات وهو يجاهد بالنعمة قامعاً جسده بالتعب الكثير حتى أنه كان يجلب الماء للرهبان الشيوخ ويقضي الليل في هذه المهمة، مما أثار عليه الشيطان فلاقاه في الطريق وأخذ يضربه حتى سقط بين حي وميت، وحمله الرهبان إلى الدير، واحتاج أياماً لكي يسترد قوته.

■ تأثيره في الآخرين :

وحدث في إحدى الليالي، وهو عائد إلى قلايته، فوجد فيها لصوصاً أربعة وقد سرقوا كل ما فيها، فما كان منه إلا أن ربطهم جميعاً بحبل كحزمة حطب، وقادهم إلى البيعة وألقاهم أرضاً أمام الشيوخ طالباً أن

يتصرفوا في هؤلاء الذين سرقوا قلايته لأنه لا يستطيع أن يصنع لهم شراً. مما أثار تعجب اللصوص، فسألوا الرهبان عن هويته وفوجئوا أنه هو **موسى الأسود** زعيمهم السابق. وهم قارنوا بين ما هم عليه وما صار هو إليه فأصبحوا تلاميذاً **للقديس موسى** يعلمهم ويأخذ بأيديهم في حياة التوبة، ثم صاروا رهباناً. وهكذا جذبت حياته الجديدة رفاقه القدامى فتحولوا عن الشر إلى نهج القداسة للمسيح.

■ القديس موسى قساً :

تغيرت حياة اللص السابق وصار راهباً مشهوداً له، وانتقل من مرحلة الحرب الروحية وأتعابها إلى مرحلة النصرة والسلام والجهاد. فصار مثالاً للتواضع ومحبة الآخرين وخدمتهم. فطلب الرهبان ترشيحه للكهنوت. وذهبوا به إلى الإسكندرية **للأنبا ثيئوفيلس** البطريرك الثالث والعشرين لرسامته. وأراد البطريرك أن يمتحن مستواه الروحي واستحقاقه لهذه الدرجة. فطلب من الكهنة أن يطردوه بمجرد دخوله الهيكل وهم يقولون له: "**اخرج من هنا يا أسود اللون**". ولما خرج مطأطئ الرأس أرسل البطريرك وراءه شماساً ليعرف بماذا ناجى نفسه. فسمعه يقول: "**لقد فعلوا بك ما تستحق لأنك بالفعل أسود اللون فكيف تجرأت لتجلس وسطهم**". فذهبوا وأعادوه وهم يسترضونه ويُفرحون قلبه باستحقاقه للكهنوت وتمت رسامته. وبعد أن ألبسوه ثياب الخدمة البيضاء قالوا له: "**ها قد صرت كلك أبيضاً يا موسى**". فرد في اتضاع: "**ليت هذا يكون من الداخل كما هو من الخارج**".

■ فضائله :

عاش **القديس موسى** متضعاً يتذكر دوماً ماضيه فلا ينتفخ، ويحتمل الاهانات خاصة التي تعرض للون جلده. وحدث أن طلبوه يوماً ليحضر محاكمة أخ في الاسقيط فامتنع عن الحضور. فأرسلوا إليه ليأتي فجاءهم

وهو يحمل على ظهره كيساً مثقوباً تتساقط من خلاله حبات الرمل الذي ملأه به. فلما سألوه عن هذا الأمر قال لهم: "**هذه خطاياي تجري وراء ظهري دون أن أراها، فكيف آتي اليوم لإدانة غيري**". فلما سمعوا سامحوا الأخ و لم يريدوا أن يكسروا قلبه.

■ استشهاده:

كان **القديس موسى** نجماً أضاء البرية. وكما بدأ حياته بين البربر كانت نهاية حياته بسيفهم. وهو عرف بقرب قدومهم، فطلب من رفاقه، وكانوا سبعة رهبان، أن يهربوا. على أنه لما هجم البربر على المكان، فإنهم قتلوا الرهبان السبعة ونال معهم إكليل الشهادة في ٢٤ بؤونة (الموافق أول يوليو) حوالي عام ٤٠٨.

■ عن دير القديس موسى (الأسود):

كانت البداية الكنيسة التي أنشأها **القديس مقاريوس** في وسط برية شيهيت على اسم **السيدة العذراء**، وكان القديسان الشابان **مكسيموس ودوماديوس** ابنا ملك الروم يأتيان إلى هذه الكنيسة للتناول، وسكنا في مغارة بالقرب منها. وبعد نياحتهما، بنى **أنبا مقار** في موقعهما كنيسة، ودُعي الدير المحيط باسميهما حيث دُفن جسداهما (**العذراء / براموس**).

ولما ذاع ذكر **القديس موسى**، واجتمع حوله عدد كبير من النساك، فبنى لهم ديراً صغيراً على اسمه بجوار دير براموس. وفي القرن الرابع عشر اندمج رهبان الديرين ليصيرا ديراً واحداً بأي الاسمين، ونُقلت محتويات **دير أنبا موسى** إلى **دير براموس**، بما فيها جسد **القديس موسى** إلى جوار **القديس ايسيذوروس**.

ومؤخراً (سبتمبر ٢٠١٥) أقام رهبان دير **براموس** القداس في أطلال **دير الأنبا موسى** بعد انقطاع ستة قرون.

بركة صلاة **القديس القوي أنبا موسى** فلتكن معنا. أمين.

أعياد شهر أبيب

- **عيد الرسل** (تذكار شهادة الرسولين بطرس وبولس) (٥ أبيب – ١٢ يوليو)
- **عيد الأنبا بيشوي** (٨ أبيب – ١٥ يوليو)

عيـــد الرســـل(*)

تذكار شهادة الرسولين بطرس وبولس

(٥ أبيب – ١٢ يوليو)

اختارت الكنيسة يوم استشهاد **الرسولين العظيمين بطرس وبولس** ليكون **عيداً لكل الرسل**، الذين كانوا خاصة المسيح، والذين بشرونا بالخلاص، ونقلوا لنا فيما كتبوه عما شاهدوه وسمعوه عن ومِن المسيح، وسجلوا لنا أسس الإيمان المسيحي، وأعلنوا شهادتهم بموت المسيح وقيامته وصعوده إلى السماء، وإرساله الروح القدس عليهم يوم الخمسين، وهي الشهادة التي كلفتهم حياتهم.

والكنيسة في احتفائها واحتفالها بالرسولين وسائر تلاميذ ورسل المسيح تعبر عن محبتها وامتنانها لهم، فهم الذين "**بشرونا باسمه القدوس وردونا إلى الإيمان الحقيقي بالثالوث الأقدس**" (كما تقول صلاة القسمة **في عيد الرسل**).

(*) **القراءات: عشية:** مز٦٨: ١١، ٣٥، مر٣: ٧-٢١؛ **باكر:** مز١٤٥: ١٢، ١٠، لو٦: ١٢-٢٣؛ **القداس:** رو١٠: ٤-١٨، ٢بط ١: ١٢-٢١، أع ٣: ١-١٦، مز١٩: ١-٤، مت١٠: ١-١٥.

القديس بطرس .. أول التلاميذ

■ البداية:

عرف **سمعان بن يونا** عن الرب يسوع من شقيقه **أندراوس**، وكان تلميذاً للمعمدان الذي وجه أنظاره، ورفيق له (**يوحنا** على الأرجح)، إلى **يسوع حمل الله**. فجاءا إليه ومكثا معه طيلة اليوم، فكان اللقاء الذي غير مسار حياتهما. وهكذا أخبر **أندراوس** أخاه **سمعان** قائلاً له: "**قد وجدنا مسيا. فجاء به إلى يسوع**" الذي لما رآه دعاه "**صفا الذي تفسيره بطرس** (أي الصخرة)" (يو١: ٣٥-٤٢). وكانت هذه البداية.

وكان يوم الاختبار عندما استخدم الرب سفينة بطرس كمنبر لتعليم الجموع المتزاحمة على شاطئ جنيسارت. وبعد معجزة صيد السمك، خر بطرس عند ركبتي يسوع قائلاً "**اخرج من سفينتي يا رب لأني رجلاً خاطئ**" (لو٥: ٨). ولكن الرب، فاحص القلوب، رآه رغم بساطة حاله إناءً مختاراً له فدعاه من تلك الساعة، هو وأخاه ورفيقيه ابني زبدي، ليكونوا صيادين للناس (مت٤: ١٩-٢٢، مر١: ١٧-٢٠، لو٥: ١٠). هكذا ترك الأربعة الصيد الكثير، بل كل شيء، وتبعوا الرب ليكونوا أول تلاميذه.

كان بطرس قريباً من الرب ورفيقاً له في كل جولاته. والرب دخل بيته وشفى حماته (مت٨: ١٤، ١٥، مر١: ٢٩-٣١، لو٤: ٣٨، ٣٩)، وكان شاهداً على كل معجزات الرب، وأحد شهود **تجلي الرب** في مجده على جبل طابور، (مت١٧: ١-٩، مر٩: ٢-٩، لو٩: ٢٨-٣٦). وظل هذا المشهد حياً في ذاكرته، وأشار إليه في رسالته الثانية (٢بط ١: ١٧، ١٨).

■ الصريح في الإيمان :

في مواقف كثيرة كشف **القديس بطرس** عن إيمانه المستقيم بغير مواربة. فالرب يسأل تلاميذه **"من تقولون إني أنا"** فيبادر بطرس بالقول **"أنت هو المسيح ابن الله الحي"** (مت١٦: ١٦، مر٨: ٢٩، لو٩: ٢٠). وبعد معجزة إشباع الجموع وحديث المسيح عن نفسه أنه **"الخبز الحي النازل من السماء"**، فإن كثيرين ممن تبعوه رجعوا إلى الوراء. فواجه الرب تلاميذه قائلاً: **"ألعلكم أنتم أيضاً تريدون أن تمضوا؟"** فانتفض **بطرس** مؤكداً باسمه واسم إخوته على تبعيتهم للرب: **"يارب إلى من نذهب. كلام الحياة الأبدية عندك. ونحن قد آمنا وعرفنا أنك أنت المسيح ابن الله الحي"** (يو٦: ٦٧-٦٩).

■ مواقف :

+ لما أفصح الرب لتلاميذه عن ما ينتظره من آلام، اندفع **بطرس** يسبقه حبه لسيده قائلاً له **"حاشاك يا رب. لا يكون لك هكذا"** فصدمه قول الرب **"اذهب عني يا شيطان"** لأنه بهذا يعطل مسيرة الخلاص التي بدأت (مت١٦: ٢١-٢٣، مر٨: ٣١-٣٣).

+ كما يستوقفنا مشهد غسل الأرجل حين امتنع **بطرس** أن يغسل الرب رجليه. ولما سمع من الرب أنه إن لم يغسل رجليه فلا نصيب له معه، فيطلب أن يغسل الرب ليس رجليه فقط بل أيضاً يديه ورأسه. فهو إنسان بسيط تستبد به عواطفه بين التمنّع والقبول بغير حد.

+ ولما يكشف الرب للتلاميذ بعد تناولهم جسده ودمه بأن كلهم يشكّون فيه في هذه الليلة، ليلة آلامه، فيدافع بطرس عن نفسه متعهداً أن يقف معه حتى لو تخلى عنه الجميع، فيسمع منه ما لم يصدقه أنه سوف

ينكره هذه الليلة (مت٢٦: ٣١-٣٥، مر١٤: ٢٧-٣١، لو١٢: ٣١-٣٤، يو١٣: ٣٦-٣٨). وهو ما جرى بالفعل عندما كان الرب يُحاكم، و**بطرس** يتبعه من بعيد مندساً بين الخدم والجواري، الذين لما اتهموه بتبعية الرب أنكر ذلك ثلاث مرات قبل أن يصيح الديك مرتين.

+ على أن **بطرس**، لما تذكر كلام يسوع، خرج إلى خارج وبكى بكاءً مراً (مت٢٦: ٦٩-٧٥، مر١٤: ٦٦-٧٣، لو٢٢: ٥٤- ٦٣، يو١٨: ١٦-١٨، ٢٥: ٢٧). ودموعه هذه وقلبه الكسير كفلت له الغفران الإلهي. والرب يرد له اعتباره بين التلاميذ، فظهر له وحده بعد القيامة، كما جاء للتلاميذ السبعة على بحر طبرية ويطلب من **بطرس** أن يرعى غنمه، وتنبأ له عن كيف سيمجد الله بموته شهيداً.

■ كرازة القديس بطرس:

+ قبل أن يحل **الروح القدس** في الخمسين، وجدنا **القديس بطرس** يسترد عافيته ويقود الجماعة الصغيرة المؤمنة في اختيار تلميذ بديلاً عن يهوذا الذي خان سيده وشنق نفسه (أع١: ١٥-٢٦). وبعد الخمسين نراه يتوشح بالقوة فيتألق ويتكلم في الجموع القادمة من أنحاء الدنيا مبشراً بالخلاص بيسوع المسيح فيؤمن الآلاف ويعتمدون[1]. وتجري على يديه المعجزات فيشفي الأعرج الجالس على باب الهيكل (أع٣: ١-٨) ويقيم **إينياس** من مرضه، و**طابيثا** من الموت (أع٩: ٣٢-٤٢). بل أن ظله كان كافياً كي يشفي من يخيم عليهم من المرضى (أع٥: ١٥، ١٦). ويُعلن المسيح مخلصاً وحيداً "**وليس بأحد غيره الخلاص. لأن ليس لاسم أخر تحت السماء قد أعطي بين الناس به ينبغي أن نخلص**" (أع٤: ١٢).

---

(١) رغم اقتصار كرازته على اليهود، إلا أن النداء الإلهي يقوده إلى كرازة **كرنيليوس** قائد المئة الأممي في قيصرية فيؤمن ويعتمد هو وأهل بيته (أع١٠: ١-٤٧).

ويصير مع **يعقوب ويوحنا "المعتبرون أعمدة"** (غل٢: ٩).

+ وخلال خدمته تعرض **بطرس** مع الرسل للسجن، ولكن الرب أرسل ملاكه وحررهم فعادوا لمواصلة تعليم الشعب، ليُقبض عليهم من جديد ولا يطلق سراحهم إلا بعد جلدهم. وفي مرة أخرى وُضع في السجن باعتباره المتقدم بين المؤمنين، ورُبط إلى جنديين بسلسلتين، فأتى ملاك الرب وحلّه من قيوده وقاده إلى الطريق وهو يظن أنها رؤيا (أع١٢: ٧-٩).

+ وبعد حوالي ثلاثين سنة من الكرازة في أورشليم واليهودية والسامرة وخارجهما، يمضي **القديس بطرس** في نهاية المطاف إلى **روما** وقت الإضطهاد النيروني، ومن هناك يكتب رسالتيه إلى إخوته الذين تشتتوا من جراء الإضطهاد يعزيهم ويشجعهم على الصمود في الإيمان والسلوك بالقداسة والتطلع إلى مجيء الرب، تاركاً كلماته الأخيرة للكنيسة قبل أن ينتقل إلى المجد.

■ بطرس الرسول شهيداً:

أخيراً تتحقق نبوة الرب **لبطرس** عند بحيرة طبرية. وكان حريق روما سبباً في تصاعد وطأة الإضطهاد على المسيحيين الذين اُتهموا زوراً بالحريق. وكان نصيب **القديس بطرس** الموت صلباً على رابية الفاتيكان، ولكنه لم يرتعب بل ناشد جلاديه أن يُصلب منكس الرأس، فلم يكن يرى نفسه مستحقاً أن يموت كسيده.

وأخذ المؤمنون جسده ودفنوه في روما، وعلى جسده شُيدت أكبر كاتدرائية في العالم هي **"كنيسة القديس بطرس"** في الفاتيكان. **والقديس بطرس** هو مؤسس كنيسة أنطاكية، وإن كانت الكنيسة الكاثوليكية تعتبره مؤسس كنيسة روما رغم أن **القديس بولس** سبقه إليها.

القديس بولس .. أخر الرسل

نعرف أن الرسل بعد صعود الرب اجتمعوا وصلوا لكي يرشدهم الرب إلى تلميذ يأخذ موقع يهوذا، واقترعوا على اثنين ممن شهدوا قيامة الرب معهم، فوقعت القرعة على **متياس** (أع١: ١٥-٢٦، ٢: ١).

على أنه كان في خطة الرب ترتيب أخر، وعين الرب الفاحصة التقطت من بين عتاة المضطهدين للكنيسة الوليدة، **شاول الطرسوسي**، ليكون ضمن الآخرين الذين صاروا أولين (مت١٩: ٣٠، ٢٠: ١٦، مر١٠: ٣١، لو١٣: ٣٠)، واختاره في لقاء عاصف مزلزل غير مسبوق، وتعين من قبل سيده مبشراً للمسكونة، يهودها وأممها، حتى انتهى به الأمر ليكون **بولس رسول المسيح للأمم** (أع٢٢: ٢١، غل٢: ٩).

وإذا كان من **ألقاب البطريرك** في كل كنيسة، أنه **ثالث عشر الرسل**، فأن كل خادم حقيقي في أي كنيسة هو **"التلميذ الثالث عشر"**، وهو ما يرمز إليه **القديس بولس** الذي اجتاحت كرازته الجبارة عالماً يمتد من أورشليم وأسيا الصغرى إلى أوروبا، وفي القلب منها **روما** عاصمة العالم الوثني القديم، وربما إلى **أسبانيا** في أقصى الغرب (رو١٥: ٢٤، ٢٨).

■ شاول مضطهد الكنيسة والإناء المختار:

دخل **شاول** التاريخ المسيحي من باب العنف الدموي كشاب متحمس متطرف دينياً ينتصر لعقيدته بكل وسيلة، وفي أول مشاهده في الكتاب نراه مع الغوغاء الذين كانوا يرجمون **استفانوس**، بل كان يحرس ملابس شهود قتله، ولم يشفع له عند شاول قوة حجته، ولا وجهه المشرق كملاك، ولا قولته الأخيرة وهو يصرخ طالباً الغفران لقاتليه، بل في تعصبه **"كان راضياً بقتله"** (أع٨: ١).

+ فيما بعد أمعن في عدائه للرب، وكان يقتحم بيوت المؤمنين ويقودهم إلى السجن رجالاً ونساءً وطاردهم إلى سوريا. وفي اقترابه من دمشق كانت مواجهته العاصفة مع شخص الرب الذي ظهر له في نور أبرق حوله حتى أسقطه ومن معه على الأرض، وأفقده بصره لثلاثة أيام، وصوت الرب الصارم، الذي لم يسمعه غيره، يملأ أذنيه: **"شاول شاول لماذا تضطهدني"**، ولم يحر شاول جواباً غير أن يقول خاضعاً **"ماذا تريد يارب أن أفعل"**. ورتب له الرب أن يلتقي **بحنانيا** الذي وضع يده عليه فأبصر ثم اعتمد، ليصير بالفعل **إناءً مختاراً ليحمل اسم الرب أمام أمم وملوك وبني إسرائيل، ويحتمل الآلام من أجل اسمه** (أع٩: ١-١٨).

+ ولكن اليهود، الذي صار شاول موضع سخطهم وعدائهم، تشاوروا ليقتلوه واستعانوا بوالي دمشق كي يقبض عليه، فأخذه التلاميذ ليلاً مدلّين إياه في سل (أع٩: ٢٣-٢٥، ٢كو١١: ٣٢- ٣٣).

+ واحتاج شاول إلى فترة اختلاء لإعداد نفسه لحياته الجديدة، فمضى إلى الصحراء الأردنية شرق البحر الميت حيث قضى ثلاث سنوات، وبعدها عاد إلى دمشق (غل١: ١٧).

+ ثم صعد إلى أورشليم، وكان الجموع يخافونه غير مصدقين أنه قد صار من جماعة التلاميذ. ولكن **برنابا** تولى مهمة لقائه **ببطرس** كما تعرّف على **يعقوب ابن حلفي** (غل١: ١٨، ١٩). وبدأ يجاهر باسم الرب وسط اليونانيين الذين حاولوا أن يقتلوه، فأحدره الإخوة إلى **قيصرية** ومنها عاد إلى **طرسوس** مسقط رأسه، حيث بقى يكرز فيها طويلاً (أع٩: ٢٦-٣٠)، إلى أن جاء به **برنابا** إلى أنطاكية (سوريا) حيث بشّرا فيها لمدة عام.

■ رحلات القديس بولس:

(١) من أورشليم، مع **برنابا** وابن اخته **يوحنا مرقس**، بدأ **القديس بولس** أولى رحلاته الكرازية (أع١٣)، التي امتدت ثلاثة سنوات، حيث عبروا البحر من **سلوكية** (ميناء أنطاكية) إلى **قبرس** فأسيا الصغرى، حيث بشروا بكلمة الله.

وتعرض **بولس** في **لسترة**، التي شفى فيها مقعداً، إلى الرجم، حتى ظنوا أنه مات. ولكنه واصل كرازته في أسيا الصغرى وعاد إلى أنطاكية. وفي هذه الرحلة تعرف في لسترة على **تيموثاوس** الشاب من خلال عائلته المؤمنة (أمه افنيكي وجدّته لوئيس). وحضر **بولس** مع **برنابا** و**تيطس** مجمع أورشليم الذي جرى فيه تزكية التلاميذ له ليكون **خادماً للأمم** وهم للختان (أع١٥: ١٩، ٢٠، غل٢: ١-٩).

(**٢**) وفي **رحلته الثانية** اختار **بولس سيلا** ليكون رفيقه (بعد أن أبحر برنابا ومرقس إلى قبرس)، وبدأ في الكرازة في **دربة** و**لسترة**، حيث انضم إليهما **تيموثاؤس**، وواصلوا مسيرهم غرباً حتى **غلاطية** و**ترواس**. وظهرت للقديس بولس رؤية لرجلٍ مكدوني يطلب أن يعبر إليهم، وهكذا عبروا إلى أوروبا. وكانت **فيلبي** (مقاطعة مكدونيا شمال اليونان) هي أول مدن أوروبا التي تطأها قدم مبشر مسيحي. وعلى شاطئ النهر التقى بولس بنسوة تقيات، فكرز لهن، وفتح الرب قلب بائعة أرجوان اسمها **ليديا**، كانت هي أولى من آمن في أوروبا، واعتمدت هي وأهل بيتها (أع١٦: ١١-١٥).

وأخرج **القديس بولس** روح عرافة من جارية مما أدى إلى إثارة أصحابها الذين كانوا يتكسبون من ورائها، وكان نصيب **بولس** و**سيلا** الضرب ثم السجن، ولكن زلزلة عظيمة زعزعت أساسات السجن فانفتحت أبوابه وانفكت قيود الجميع، وكاد حافظ السجن أن يقتل نفسه ولكن **القديس بولس** ناداه ألا يفعل بنفسه شراً إذ لم يهرب واحد منهم، فيخر أمامه مرتعداً سائلاً: "**ماذا ينبغي أن يفعل لكي يخلص؟**" فيقول له: "**آمن بالرب يسوع فتخلص أنت وأهل بيتك**"، ويأخذ **بولس** و**سيلا** إلى بيته فيكلماه وكل بيته بكلمة الرب، ويعتمد الكل.

وبعد **فيلبي**، يجتاز إلى **تسالونيكي**، و**بيريه**، ثم **أثينا**، حيث فلاسفة اليونان في أريوس باغوس، ومنها إلى **كورنثوس**، التي يبقى فيها عاماً ونصف يبشر اليهود والأمم، ومنها كتب رسالتيه إلى أهل **تسالونيكي**

(وهما أول ما كُتب من أسفار العهد الجديد بعد رسالة **يعقوب**)، وعاد بعدها إلى **أورشليم** و**أنطاكية** ماراً **بأفسس**.

(**٣**) ويعود من جديد في **رحلته الثالثة** إلى الكرازة في أسيا بادئاً من **غلاطية** و**أفسس** (حيث كتب رسالته الأولى إلى أهل **كورنثوس**)، وعبَر البحر إلى **فيلبي** (وفيها كتب رسالته الثانية إلى الكورنثيين). ثم جاء إلى **كورنثوس** حيث كتب رسالتيه إلى **غلاطية** و**رومية**، يعود بعدها بحراً إلى **تروآس**، حيث أقام الشاب أفتيخوس الذي سقط ميتاً من الطابق الثالث، ومنها يأتي إلى **ميليتس** حيث يستدعي قسوس **أفسس** ويحثهم على الخدمة متمثلين به. وأخيراً يعود إلى **أورشليم** حاملاً المساعدات إلى فقراء المدينة المقدسة، ويلتقي بالتلاميذ يحدثهم عن عمل الله وسط الأمم.

(**٤**) يهيج اليهود على بولس ويحاولون قتله، ولكنه بكل شجاعة يدافع عن خدمته أمام **حنانيا** رئيس الكهنة، ويهرّبه أمير الكتيبة ليلاً إلى **قيصرية** حيث يُحاكم أمام **فيلكس الوالي**. وبقي **القديس بولس** أسيراً وكارزاً في **قيصرية** لمدة سنتين (وكان **لوقا** مرافقاً له وكتب في هذه الفترة إنجيله). وحاول اليهود بعدها استدعاءه إلى أورشليم لمحاكمته وفي نيتهم أن يقتلوه في الطريق، ولكن **القديس بولس** من ناحيته طلب رفع دعواه إلى **القيصر** في **روما**، وهكذا تحققت نبوءة الرب له "**ينبغي أن تشهد في رومية أيضاً**" (أع٢٣: ١١)، وهكذا كانت رحلته الأخيرة إلى **روما** أسيراً في سلاسل.

تولى الرومانيون رحلة **القديس بولس** (سنة ٦٠م) إلى روما وأبحرت السفينة من **صيدا**، وفي وسط الرحلة انتقلوا إلى سفينة أخرى إسكندرية متجهة إلى إيطاليا مارين بجنوب اليونان، وتعرضت السفينة لرياح عاتية حطمتها وهدد الهلاك الجميع، ولكن السلام والثقة لم يفارقا **القديس بولس** ورفاقه، وكانوا قد اقتربوا من **مالطة**، ومنها استقلوا سفينة مصرية أخرى إلى **صقلية** ثم إلى **ريجيون** أقصى جنوب إيطاليا، وساروا شمالاً إلى

روما وفيها سُمح له أن يقيم وحده مع الجندي الحارس وبقي فيها سنتين (٦١-٦٣م)، في بيت استأجره لنفسه، يكرز بكل مجاهرة. ومن هذا السجن كتب القديس بولس أربعاً من رسائله: إلى **أفسس**، و**فيلبي**، و**كولوسي**، و**فليمون**، ومنها عرفنا أن رفاقه في روما كانوا إلى جانب **لوقا**: **ديماس** و**تيموثاوس** و**تيخيكس** و**مرقس** و**أرسترخس** و**أبفراس**.

■ ما بعد سفر الأعمال:

يشير التقليد أن دفاع **الرسول بولس** أمام **قيصر** انتهى إلى براءته وإطلاق سراحه. وفي هذه الفترة كتب رسائله إلى **تيطس** و**تيموثاوس** و**العبرانيين**، وامتدت كرازته إلى أقصى الغرب، إضافة إلى افتقاده الكنائس التي أسسها قبلاً.

وفيما بعد نجحت مؤامرات اليهود في القبض عليه وإعادته إلى **روما** مهاناً، حيث أعيدت محاكمته أمام **نيرون**. ومن سجنه وهو ينتظر ساعته الأخيرة يكتب أخر رسائله إلى **تيموثاوس** مشيراً إلى هذه الحقيقة: "**فإني الآن أُسكب سكيباً ووقت إنحلالي قد حضر. قد جاهدت الجهاد الحسن. أكملت السعي. حفظت الإيمان. وأخيراً قد وُضع لي إكليل البر الذي يهبه لي في ذلك اليوم الرب الديان العادل، وليس لي فقط، بل لجميع الذين يحبون ظهوره أيضاً**" (٢تي ٤: ٥-٨).

في ٢٩ يونيو سنة ٦٧م حسب التقويم الغربي الذي يقابل ١٢ يوليو (٥ أبيب) حسب التقويم الشرقي، وبعد محاكمة سريعة يُحكم على **القديس بولس** بالموت بحد السيف ليبقى اسم **الرسول بولس** خالداً بين أعظم خدام المسيح ونموذجاً يُحتذى في الجهاد واحتمال الآلام والالتزام والتجرد والتعفف والتطلع الدائم نحو السماويات.

عيـــد الأنبا بيشوي
(٨ أبيب – ١٥ يوليو)

وُلد **بيشوي** (حوالي سنة ٣٢٠) في بلدة شنشا من أبوين بارين، وكان أصغر سبعة إخوة، انتقل أبوهم مبكراً فأحسنت الأم تربيتهم.

وظهر ملاك للأم في رؤيا يطلب أحد أولادها ليخدم الرب طول حياته. فقالت كلهم لك يا سيدي فخذ ما تريد. فمد الملاك يده فأمسك برأس أصغر الأولاد. فقالت خذ واحداً قوياً، ولكنه تمسك باختياره واختفى.

■ إلى شيهيت (ميزان القلوب):

في سن العشرين (٣٤٠) انتقل **بيشوي** إلى اسقيط مكاريوس حيث بدأ حياته الرهبانية تلميذاً **للأنبا بموا** الذي توسم فيه الغيرة والاستعداد القلبي لهذه الحياة. وتعلم قوانين الرهبنة وانطلق في عبادات تقوية وتقشف وصلوات فألبسه إسكيم الرهبنة، واقتفى **بيشوي** أثر مرشده الروحي وهو دائم النظر إليه. وقد نصحه أن يطرق بوجهه إلى الأرض ولا ينظر لأحد

فأطاع واعتكف في قلايته لثلاث سنوات لا يرى وجه إنسان ونما في النعمة كثيراً. وارتبط بشركة وثيقة مع أخيه الروحي **أنبا يحنس (كاما)**، كما أحب أرميا النبي حتى سُمي **الأنبا بيشوي الأرمي**.

■ نهجه الروحي والرهباني:

بعد نياحة **أنبا بموا** وجد **بيشوي** في أخيه **يحنس** خير معزٍّ. وظهر لهما ملاك الرب ووجههما للوحدة والانفراد عن بعضهما، وأنبأ **بيشوي** أنه سيكون معلماً وله أبناء كثيرين.

نحت **بيشوي** مغارة في صخرة في أعلاها فتحة للضوء والهواء، وفي القاعدة مذبح، وفي الغرب مقعد لا يتسع إلا لشخص يجلس القرفصاء إذا أراد أن ينام، وفي أعلى المغارة خطاف يتدلى منه حبل يربط به شعر رأسه بحيث إذا مالت رأسه يشد الحبل شعره فيفيق كي لا يغالبه النوم.

ذاعت قداسة **الأنبا بيشوي** فأقبل عليه الناس يطلبون البركة والشفاء. وذلل جسده بالصوم الشديد والأكل القليل البسيط (خبز وماء). كما انكب على كلمة الله يقرأها ويحفظها ويفسرها ويطيعها، وسائر القراءات الروحية، وكثر تلاميذه. يعلمهم ويقودهم في الطريق الروحي ويبث فيهم محبة الله والمحبة الأخوية وأن يعملوا بأيديهم فيتكسبون منه ولا يكونوا عالة على أحد.

أعطى الله **الأنبا بيشوي** روح النبوة ومعرفة الأفكار، وهذا ساعده في قيادة الرهبان. ولما تذمر أحدهم في نفسه من الجهد كعمل اليدين، علم القديس بالروح وأفهمه أن عمل اليدين يحفظه من أن يهاجمه الفكر الشرير في فراغه إلى جانب الصلوات ولئلا يحتاج إلى أحد. وتعلم الراهب الدرس وتعزى بقوة الروح.

وكان يشجع الكل على الوحدة والانفراد للحصول على القوة، كما أنه لم يستغل موهبته في كشف الأسرار والأفكار في فضح المخطئين بل كان يسعى لتتويبهم ورجوعهم إلى حياة الفضيلة كما كان يصلي من أجل من يشرد من الرهبان ويتعثر في العالم فيعود إلى الطريق القويم. وكان يحذر الكل من انحراف القلب مقدماً نفسه قدوة، مبيناً أنه وهو المعلم يضبط نفسه لئلا يسقط "**إذاً من يظن أنه قائم فلينظر أن لا يسقط**" (١كو١٠: ١٢).

■ حبيب مخلصنا الصالح:

كان الرب يظهر لحبيبه **بيشوي**، وفي أحد المرات بعد أن سجد له، غسل قدميه بماء واحتفظ بهذا الماء للبركة.

ولما علم الآباء عن ظهور المسيح له تاقت نفوسهم لهذا الظهور، وسألوه أن يحقق لهم هذه الرغبة. وهكذا سمعنا عن هذه القصة الشهيرة في حياة **أنبا بيشوي**، فهو طلب من الرب أن يظهر لهم لكي يبهج قلبهم ويثبت إيمانهم فحدد له موعداً في الجبل. فملأتهم الحماسة وأخذوا يركضون في الموعد في اتجاه الجبل شباباً وشيوخاً. وهكذا سبقوا **الأنبا بيشوي** الذي لم يستطع مجاراتهم. وفي الطريق مروا على شيخ الذي لما علم منهم عن هدفهم سألهم أن يحملوه ويأخذوه معهم، ولكنهم أعتذروا لئلا يتأخروا. ولما وصل إليه **الأنبا بيشوي** وسمع طلبه حمله رغم سنه وضعفه، وكان ثقيلاً. ولكن بعد مسافة شعر بأن الحمل يخف وأحس أن في الأمر شيئاً. وفطن بالروح أنه يحمل السيد وبالفعل سمع صوته يطوبه لأنه نفذ الوصية و لم يتهرب من مساعدة المحتاج وأعلمه أن جسده لن يرى فساداً، ولما بلغ تلاميذه المتحيرين إذ لم يروا أحداً، أبلغهم أن الشيخ الذي أهملوه في الطريق كان هو السيد. فالرب من حولنا في أشخاص إخوته الضعفاء والمرضى وكل المحتاجين.

وفي رواية أخرى أن ما صادفه الرهبان و**الأنبا بيشوي** كان شاباً، وتبادل مع **الأنبا بيشوي** كل منهما حمل الآخر. ولما حمله **الأنبا بيشوي** كان خفيفاً في البداية كأنه لا يحمل أحداً. ولكن في النهاية ثقل جداً حتى أنه لم يعد قادراً على حمله، وهكذا انكشف له الأمر. وطوبه الرب وقال له لأنك حملتني فإن جسدك بعد انتقالك لا يفسد، ثم اختفى بعدها.

■ قديسون معاصرون له :

كان من القديسين المعاصرين **للأنبا بيشوي** القديسان **يوحنا القصير** و**أنبا بولا الطموهي**، وقد كان **الأنبا بموا** مرشدهما هما أيضاً. وفي فترة هجمات البربر على الأديرة (حوالي ٤٠٧-٤١٧) اتفق **أنبا بيشوي** و**أنبا يوحنا القصير** على مغادرة البرية فنزلا إلى مصر، ومضى **أنبا يوحنا** إلى جبل القلزم ومنه إلى دير الأنبا أنطونيوس (حيث تنيح هناك). أما **الأنبا بيشوي** فمضى إلى الصعيد إلى **جبل أنصنا** (قرية الشيخ عبادة بملوي حالياً، حيث يوجد **دير البرشا**) وسكن في الجبل وذاع صيته في هذا المكان كما حدث له في شيهيت.

■ انتقاله :

يُقال أن **الأنبا بيشوي** عاش ما يقرب من القرن (٩٧ سنة) إذ انتقل حوالي عام ٤١٧. ويُعيّد لنياحته يوم الثامن من أبيب (١٥ يوليو). وتولى **البابا أثناسيوس** جمع جسده مع جسد أنبا **بولا الطموهي** ودُفنا في أنصنا. وفي زمن **الأنبا يوساب الأول** (٨٣٠-٨٤٩) أخذوا جسده ووضعوه في الدير الذي حمل اسمه في برية شيهيت.

وكان الناس يتباركون من جسده من خلال فتحة في التابوت، حتى عهد **البابا ثيئوفيلس**. وعندما أراد الوالي أن يستوثق من صحة ما يقال أن جسده لم يفسد، بعدها أغلق البطريرك الفتحة التي كان يخرج منها القديس يده. وظل هكذا دون إصلاحات تذكر حتى القرن ١١، بعدها أضيف له الحصن في القرن ١٢.

■ دير القديس أنبا بيشوي:

بدأ هذا الدير في القرن الرابع كتجمع قلالي يحيط بمغارة **الأنبا بيشوي** وفي المركز كنيسة الدير. ولكن الدير تعرض لغارات البربر المتواترة فأصابه التخريب، الذي نال أيضاً سائر أديرة شيهيت التي أسسها القديس **أنبا مقار**، وأعيد بناؤه بعد الغارة الرابعة، ولكن حُرقت كل مبانيه من جديد في الإغارة التالية، إلى أن أُعيد تعميره أيام **البطريرك يعقوب** (٨١٩-٨٣٠). وفي عهد **الأنبا يوساب** (٨٣٠-٨٤٩) تم نقل جسد **القديس أنبا بيشوي** من أنصنا إلى **شيهيت**. ثم جاءت جولة جديدة من الإضطهاد أيام **البطريرك زكريا** (١٠٠٤-١٠٣٢)، والخليفة الفاطمي الحاكم بأمر الله. وأعاد **البابا بنيامين الثاني** (البطريرك ٨٢: ١٣٢٧-١٣٣٩) إصلاحه ودُفن فيه. وتدهور حاله من جديد خلال القرون ١٥ إلى ١٩ حين تضاءل عدد الرهبان إلى عدد أصابع اليد.

وفي القرن الماضي شهد الدير نهضة كبرى، خاصة عندما صار مقراً **للبابا شنوده** (١٩٧١-٢٠١٢) ودُفن فيه، وبُنيت فيه كاتدرائية ومقراً للبابا. وقد جاء منه البطاركة **غبريال الثامن** (١٥٨٧- ١٦٠٣)، **والبابا مكاريوس الثالث** الـ ١١٤ (١٩٤٤-١٩٤٥)، وحالياً **البابا تواضروس الثاني** الـ ١١٨ (٢٠١٢). ويتميز **دير الأنبا بيشوي** بين كل الأديرة بمعمودية تصلح لتعميد الكبار.

❁ ❁ ❁

بقى أن نقول أن الأنبا بيشوي الذي قاد مئات الرهبان لعشرات السنين، والذي تشع سيرته بالتقوى ومحبة الله ومحبة الإخوة لم يترك كتابات أو مواعظ، بل كان إنساناً بسيطاً وديعاً متضعاً يهرب من الكرامة والشهرة، ولكنه أنار البرية بمحبته لله وتكريس نفسه له. وهو **كالأنبا أنطونيوس** وآباء كثيرين لم يكن أسقفاً أو حتى قساً.

٦

أعياد شهر مسرى

- **عيد التجلي (١٣ مسرى – ١٩ أغسطس)**
- **عيد صعود جسد العذراء مريم (١٦ مسرى – ٢٢ أغسطس)**
  - دعوة للاتضاع

عيـــد التجلـــي[*]

(١٣ مسرى - ١٩ أغسطس)[١]

عيد التجلي (أو الجليان)[٢] هو أحد الأعياد السيدية الصغرى السبعة. والكنيسة في احتفالها به تقصد أن تلفت أنظار المؤمنين إلى هـــذا الحـــدث الكبير في حياة الرب والملابسات التي أحاطت به، وأبعاده الإيمانية الممتـــدة بين فجر الناموس وحتى مجئ الرب الثاني.

■ أولاً : ما قبل التجلي:

لا تتضح أبعاد التجلي كاملة دون الرجوع إلى ما سبقه من أحـــداث وأقوال مهّدت له وألقت عليه الضوء، وعندنا مادة غنية وفّرها لنا ذكر حدث التجلي في الأناجيل الثلاثة المتنـــاظرة (مـــت١٧: ١٠-١٣، مـــر٩: ٢-١٣، لو٩: ٢٨-٣٦).

(*) **القراءات: عشية:** مز٩٩: ٦، لو٩: ٢٨-٣٦؛ **باكر:** مز١٠٤: ٣١، ٣٢، مـــت١٧: ١-٩؛ **القداس:** كو١: ١-٢٣، ٢بط١: ١٢-٢١، أع٧: ٤٤-٨: ١، مز٨٧: ١، ٥، مر٩: ٢-١٣

(١) ويُحتفل به في ٦/٨ عند الروم والغربيين لاختلاف التقويم.

(٢) المعنى الحرفي هو الظهور الجليّ الساطع سواء في الهيئة أو في الأداء أو غيره.

(**١**) فهناك حوار دار بين الرب وتلاميذه وهم في نـــواحي قيـــصرية فيلبس عن شخصه الكريم:

" من يقول الناس إني أنا ابن الإنسان. فقالوا قوم يوحنا المعمـــدان. وآخرون إيليا. وآخرون إرميا أو واحد من الأنبياء. قال لهم وأنتم مـــن تقولون إني أنا. فأجاب سمعان بطرس وقال أنت هو المسيح ابن الله الحي. فأجاب يسوع وقال له طوبى لك يا سمعان بن يونا. إن لحماً ودمـــاً (أي إنسان) لم يعلن لك لكن أبي الذي في السموات. وأنا أقول لك أيـــضاً أنت بطرس وعلى هذه الصخرة أبني كنيستي وأبواب الجحيم لن تقوى عليها... " (مت١٦:١٣-٢٠، مر٨:٢٧-٣٠، لو٩:١٨-٢١).

(**٢**) وتبع ذلك إنباء الرب تلاميذه عما سوف يأتي عليه بعـــد قليـــل متعلقاً بمهمته الخلاصية: **"من ذلك الوقت ابتدأ يسوع يُظهر لتلاميذه أنه ينبغي أن يذهب إلى أورشليم ويتألم كثيراً من الشيوخ ورؤساء الكهنـــة والكتبة ويُقتل وفي اليوم الثالـــث يقـــوم"** (مـــت١٦:٢١، مـــر٨:٣١، لو٩:٢٢).

(**٣**) كان وقع الكلام على بطرس صاعقاً.. وهي أول مـــرة يـــصارح الرب تلاميذه بالهول القادم. وهنا يذكر الكتاب **"فأخذه بطرس إليه وابتدأ ينتهره حاشاك يا رب. لا يكون لك هذا. فالتفت وقال لبطرس اذهب عني يا شيطان. أنت معثرة لي لأنك لا تهتم بما لله لكـــن بمـــا للنـــاس"** (مت١٦:٢٢، ٢٣ ، مر٨:٣٢، ٣٣).

فالمسيح يتحدث عن الآلام والموت (والقيامة) كحقيقة حتمية لتحقيق الخلاص، وبطرس، الذي يحب الرب بجماع قلبه، لا يتصور بـــأي حـــال تعرّض الرب للآلام والقتل، ويحثّه بعاطفة جارفة أن يتجنّب هـــذا المـــصير

بكل وسيلة، وتفكيره منحصر في هذه النقطة (علاقته الإنسانية بالرب – بما للناس) دون أن يتجاوزها إلى تداعياتها فيما يتعلق بمهمة المسيح الخلاصية (بما لله). من هنا فقد رأى الرب في دعوة بطرس – مهما كان حسن النوايا – عثرة مؤلمة ونكوصاً عن طريق خلاص الإنسان، وفي تفادي الصليب انتصاراً للشيطان وإجهاضاً لخطة الله وتجريداً لإرسالية المسيح من غايتها، وكأن بطرس قد توّحد مع الشيطان في أهدافه، وهكذا كانت كلمات الانتهار **"اذهب عني يا شيطان. أنت معثرة لي"**.

بل أن الرب أضاف مشترطاً على كل من يتبعه أنه هو أيضاً **"ينكر نفسه ويحمل صليبه... فإن من أراد أن يخلص نفسه يهلكها ومن يهلك نفسه من أجلي يجدها"** (مت١٦: ٢٤، ٢٥، مر ٨: ٣٤، ٣٥، لو ٩: ٢٣، ٢٤).

(٤) كان الرب يشفق على تلاميذه ويدرك موقفهم الصعب إزاء آلامه القادمة ويريد حماية إيمانهم الذي نما مع رفقتهم الاختبارية معه وسماع تعاليمه ومعاينة معجزاته، من هنا فقد أراد لهم لا أن يروه فقط في ضعفه وموته المزمع أن يجتازه، ولكن أن يروا قبل ذلك جانباً من مجده وبهاء لاهوته المُخفَى فيتشدد به إيمانهم عندما تحل الساعات الأليمة التي هو ماضٍ إليها سريعاً. وهو بشّرهم بما سوف يرونه من مجده وهو يختتم حديثه إليهم بالقول:

"الحق أقول لكم إن من القيام ههنا (من بين الاثنى عشر) **قوماً لا يذوقون الموت حتى يروا ابن الإنسان آتياً في ملكوته (حتى يروا ملكوت الله قد أتى بقوة)"** (مت١٦: ٢٨، مر٩: ١، لو٩: ٢٧)، أي يرون قبساً من مجده الذي سيأتي به في مجيئه الأخير **"فإن ابن الإنسان سوف يأتي في مجد أبيه مع ملائكته وحينئذ يجازي كل واحد حسب عمله"** (مت١٦: ٢٧).

■ ثانياً : أحداث التجلي :

"بعد ستة أيام" من الوقائع السابقة[٣]، جاءت الساعة التي دبّرها الله ليزيح النقاب عن شئ من مجد الابن المستتر في الجسد، واختار الرب من تلاميذه ثلاثة شهود : **بطرس ويعقوب ويوحنا (ابني زبدي)** [٤] **"وصعد بهم إلى جبل عالٍ**[٥] **منفردين"** (مت١٧: ١).

وسنضم ما سجلته الأناجيل الثلاثة معاً عن مشهد التجلي الحافل بالأحداث لتتكامل أمامنا كل ملابساته بما يعيننا على استيعاب أبعاده الكثيرة (مت١٧: ٢-٩، مر٩: ١-١٠، لو٩: ٢٩-٣٦):

(١) "وصعد إلى جبل ليصلي وفيما هو يصلي صارت هيئة وجهه متغيّرة (وتغيرت هيئته قدامهم) وأضاء وجهه كالشمس وصارت ثيابه (تلمع) بيضاء (جداً) كالنور (كالثلج الذي لا يقدر قصّار على الأرض أن يبيّض مثل ذلك) (ولباسه مبيَضّاً لامعاً).

+ لم يكن كلام المسيح واضحاً عندما بشّر تلاميذه برؤية ابن الإنسان آتياً في ملكوته (أو كما سيأتي في ملكوته). وعندما صعد معه رفاقه الثلاثة فهموا أنه فقط يصعد إلى الجبل ليصلي كما عوّدهم. ولكن بينما هو يصلي حدث التجلي الذي قصد الرب أن يكونوا شهوداً له[٦]. فها هو يكشف عن بعض مجده المخفي: فوجهه تغيّرت هيئته وأضاء بأسطع من نور الشمس، كما أن ثيابه هي الأخرى أضاءت بنوره وصارت تلمع كالنور

---

(٣) حسب القديسين متى ومرقس، ويحسبها القديس لوقا "نحو ثمانية أيام" بإضافة اليوم السابق، الذي دار فيه الحوار، واليوم اللاحق، يوم التجلي، اللذين لم يحسبهما القديسان متى ومرقس.

(٤) راجع الملاحظة الأولى في نهاية المقال.

(٥) وهو، في رأي معظم الآباء والكنيستين القبطية والسريانية، جبل تابور – ويسمى الآن جبل الطير جنوب بحيرة طبرية، أو هو جبل حرمون – ويسمى الآن جبل الشيخ – في رأي البعض باعتباره الجبل الذي يقع في ضواحي قيصرية فيلبس حيث كان الرب مع تلاميذه قبل التجلي. وقد مدح داود النبي تابور مع حرمون (مز٨٩: ١٢). راجع الملاحظتين (٢) ، (٣) في نهاية المقال.

(٦) راجع ملاحظة (٤) في نهاية المقال.

بيضاء جداً كالثلج[٧].

+ هكذا ظهر مجد لاهوته الذي كان محجوباً بالناسوت[٨] وهو على الأرض [وإلا لاحترقت الأرض وما ومن عليها **"لأن الرب إلهنا هو نار آكلة"** (تث٤:٢٤، ٣:٩، عب ١٢:٢٩) كما هو مكتوب].

والنور الباهر أشرق منه وصدر عنه، ولم ينعكس عليه من خارج، كما جرى لموسى بعد أن صعد للقاء الله على جبل سيناء، وصار وجهه يلمع حتى أنه وضع عليه برقعاً (خر٣٤:٢٩-٣٥).

+ وقريب من هذا المشهد ما باغت شاول فيما بعد، وهو في طريق دمشق يحمل رسائل تحريضية للقبض على المؤمنين (أع٩:٣)، ويصفه بقوله **"ورأيت في نصف النهار في الطريق نوراً (عظيماً) من السماء، أفضل من لمعان الشمس، قد أبرق حولي وحول الذاهبين معي"** (أع٢٢:٦، ٢٦: ٣).

ويوحنا في رؤياه يصف ابن الله **"وأما رأسه وشعره فأبيضان كالصوف الأبيض كالثلج، وعيناه كلهيب نار، ورجلاه شبه النحاس كأنهما محميتان في أتون، وصوته كصوت مياه كثيرة (هدير)، وسيف ماضٍ ذو حدين يخرج من فمه، ووجهه كالشمس وهي تضئ في قوتها"** (رؤ١:١٤-١٦).

+ فليس غريباً إذاً على من هو **"النور الحقيقي"** (يو١:٩)، ومن قال عن نفسه أنه **"نور العالم"** (يو٨:١٢)، أن يسمح لبعض مجده أن يظهر لخاصته كي يساند إيمانهم بلاهوته وعظم مجده، قبل أن يشاهدوه مهزوماً في نظر العالم، مهاناً معلقاً على الصليب حتى الموت[٩].

---

(٧) راجع ملاحظة (٥) في نهاية المقال.
(٨) راجع ملاحظة (٦) في نهاية المقال.
(٩) راجع ملاحظة (٧) في نهاية المقال.

(٢) وإذا (رجلان هما) موسى وإيليا قد ظهرا لهم (وظهر لهم إيليا مع موسى) يتكلمان معه (اللذان ظهرا بمجد وتكلما عن خروجه الذي كان عتيداً أن يكمله في أورشليم).

+ يبدو أن صلاة الرب امتدت لساعات. وبعدها دون تمهيد سابق يبدأ فصل هام من الملابسات المصاحبة للتجلي. فالرب لم يكشف عن جانب من مجد لاهوته فقط وإنما استدعى من الجحيم – حيث تنتظر نفوس كل الراقدين قبل المسيح – **موسى** كليم الله وقائد الخروج الأول، وكبير الأنبياء **إيليا** النبي الغيور أو النارى الذي ناهض عبادة الأوثان وحارب الشر بضراوة حتى في قصور الملك (١مل١٨:١٨)[١٠].

+ موسى، الذي أتى بالناموس إلى الشعب **وإيليا** الذي أتى بالشعب إلى الناموس . **والأول** تأتي نفسه من الجحيم بعد أن ذاق الموت بألف وخمسمائة سنة ودفن في رأس جبل نبو حيث لا يعلم أحد قبره (تث ٦:٣٤) ويأخذ الآن جسداً أثيرياً مؤقتاً[١١] ، **والثاني** الذي لم يمت بل صعد إلى السماء حياً (**كأخنوخ** – تك ٥:١٤، عب ١١:٥)، في مركبة نارية قبل التجلي بألف عام (٢مل ٢:١١) ، وعاد بجسده الذي لابد أن تغيرت طبيعته وحاجاته كي تمتد حياته قرونا[١٢]. وهاهما يظهران إلى جانبي الرب وينالهما بعضاً من مجده (ظهرا بمجد) [١٣] (انظر حاشية ٩، ص ١١١).

---

(١٠) راجع ملاحظة (٨) في نهاية المقال.

(١١) كما تجسد الملائكة الذين ظهروا لإبراهيم (تك١٨:١٩)، والملاك الذي صارعه يعقوب (تك٣٢:٢٤). والملاك **جبرائيل** الذي بشر زكريا (لو ١:١١-٢٠) وبشر السيدة العذراء (لو١:٢٦: ٣٨).

(١٢) إلى أن تأتي آخر الأيام حيث يسمح الله بنزول **أخنوخ وإيليا** من مستقرهما إلى أرضنا ويستعيدان حياتهما الجسدية كما كانت قبل صعودهما، ثم كسائر الأحياء على الأرض – عند قدوم المسيح في مجيئه الثاني – يتغيران في لحظة (١كو١٥:٥١، ٥٢) ويختطفان على السحاب مع سائر المؤمنين لملاقاة الرب في الهواء (١تس٤:١٥-١٧).

(١٣) ومكتوب أيضاً أن الأبرار يضيئون **"كالشمس في ملكوت أبيهم"** بوجودهم في حضرة الله النور الحقيقي (مت١٣:٤٣).

+ هنا العهد القديم بناموسه وأنبيائه يسلّم الراية لصاحب العهد الجديد وغاية العهد القديم، الذي فيه اكتمل الناموس وتمت نبوات الأنبياء واجتمع فيه ملء الإعلان الإلهي وصار رأس الجسد الكنيسة (أف١:٢٢، كو١:١٨) ورأس الزاوية (أف٢:٢٠).

+ وها هو **موسى وإيليا** ممثلا العهد القديم يحتفيان باقتراب ساعة الخلاص ويعلنان بهجة الذين رقدوا على رجاء القيامة من آباء وأتقياء العهد القديم، وهما يتكلمان مع الرب عن "**خروجه الذي كان عتيداً أن يكمّله في أورشليم**" وهكذا يختلط مجد التجلي برؤى الآلام القادمة. وها نحن نلتقي بخروج يقترب في أورشليم. وإذا كان **الخروج الأول** مقترناً بذبح خروف الفصح والخلاص من عبودية فرعون ودخول أرض الميعاد، **فالخروج الثاني** يقترن بالفصح الأكمل - ذبيحة الصليب الواحدة - بخلاص ليس لإسرائيل فقط بل لكل العالم أيضاً، والانطلاق من أسر إبليس إلى حرية مجد أولاد الله ودخول العرس السماوي إلى الأبد.

(٣) (وأما بطرس واللذان معه فكانوا قد تثقّلوا بالنوم فلما استيقظوا رأوا مجده والرجلين الواقفين معه. وفيما هما يفارقانه) فجعل بطرس يقول ليسوع يارب (يا سيدي.. يا معلم) جيد يارب أن نكون ههنا. فإن شئت نصنع هنا (فلنصنع) ثلاث مظال[١٤] لك واحدة ولموسى واحدة ولإيليا واحدة (وهو لا يعلم ما يقول) (لأنه لم يكن يعلم ما يتكلم به إذ كانوا مرتعبين)".

+ كيف تثقّل التلاميذ بالنوم وسط هذا المشهد الباهر غير المسبوق وفي حضرة نبيين مهيبين من أعظم أنبياء العهد القديم؟ كيف أتاهم النعاس وهم يشهدون ما لم يشهده أنبياء وملوك؟ ربما كان المشهد أعظم مما يستطيعون

(١٤) صوامع أو ملاجئ صغيرة ظليلة من سعف النخيل.

احتماله بحواسهم المحدودة فالضوء كان أشد من ضوء الشمس في أوج سطوعها، ولما لم يستطيعوا التحديق فيه أو حتى النظر إليه أشاحوا بوجوههم بعيداً حتى داهمهم النعاس.

+ وربما كانت قد طالت صلاة الرب قبل التجلي، ولم يقدر التلاميذ في ضعف الجسد (مت٢٦:٤١، مر١٤:٣٨) أن يقاوموا النوم (كما حدث لهم فيما بعد في جثسيماني وسط ظروف أكثر إيلاماً كانت تقتضي السهر على الأقل كنوع من المشاركة في معاناة الرب). وقد يكون النوم هنا نوعاً من الهروب من واقع أليم لا يقوون على احتماله (**"فوجدهم نياماً من الحزن"** – لو٢٢:٤٥).

+ مهما كانت الأسباب فإن تثقّل التلاميذ بالنوم حرمهم من متابعة ما دار بين الرب و(رجلي) العهد القديم. ولكن قد يصح القول أيضاً إنه لم يكن سهلاً أن يفهموا وقتها الحوار الإلهي. فالكتاب يقول إن بطرس لم يكن يدري ما يقول، كما أنهم كانوا **"مرتعبين"**. وربما أنزل الله عليهم هذا "السبات" لكي يعبروا هذه الساعات الممتلئة بالرهبة.

+ عند استيقاظ التلاميذ كان مجد الرب لايزال ساطعاً وجهاً وثياباً، وتنعكس على النبيين الكبيرين اللذين وجدوهما يهمّان بالانصراف إلى مستقرهما وراء الحجب. ولإحساسهم بالأسف على ما فاتهم أثناء النوم مما لا يمكن استعادته، أسرع بطرس محاولاً إعاقتهما مفصحاً عن بهجته بالوجود في حضرة الله والأنبياء[١٥]، ومقترحاً لامتداد هذه الصحبة النادرة تدبير ثلاث مظال لراحة الرب وضيفيه، ولم يطلب لنفسه وزميليه تأدّباً واتضاعاً وإدراكاً للمقام السامي لمن هم في حضرتهم. على أن الاقتراح بدا

---

(١٥) داود عبّر عن مثل هذه المشاعر في مزموره **"ما أحلى مساكنك يا رب الجنود. تشتاق بل تتوق نفسي إلى ديار الرب. قلبي ولحمي يهتفان للإله الحي... طوبى للساكنين في بيتك أبدا يسبحونك"** (مز٨٤:١-٤).

غير متسق مع المشهد ولا يناسب النبيين اللذين لم يأتيا ليستقرا. وسبب قصوره ما يصف به الكتاب حال بطرس وابني زبدي في تلك الساعة "**لأنه لم يكن يعلم ما يتكلم به إذ كانوا مرتعبين**" (مر٩:٦). فالمشاعر متضاربة تختلط فيها البهجة مع رعب الوجود في حضرة الله وقديسيه **ويتصاغر فيها العبد أمام** السيد المهاب(١٦).

(٤) "**وفيما هو** (أي بطرس) **يتكلم** (**يقول ذلك**) **إذا سحابة نيّرة ظلّلتهم و**(**صار**) **صوت من السحابة قائلاً هذا هو ابني الحبيب الذي به سررت. له اسمعوا**".

+ بديلاً عن مظال بطرس (وقد تبدو استجابة له بصورة ما)، وقبل أن ينهي كلامه، جاءت سحابة منيرة غطّتهم معلنة حضور الله الآب(١٧). وهكذا فبعد شهادة العهد القديم بحضور النبيين **موسى وإيليا** وما تكلما به عن الخروج الثاني بذبيحة الصليب، تأتي شهادة الآب وهو يعلن مجدّداً ما أعلنه قبلاً والرب يعتمد في الأردن (مت٣:١٦، ١٧، مر١:١٠، ١١، لو٣:٢١، ٢٢)؛ والصوت الإلهي يؤكد للتلاميذ (ولنا من بعدهم) على طبيعة الرب [وهو ما أعلنه بطرس قبل أيام بالإلهام الإلهي "**أنت هو المسيح ابن الله الحي**" (مت ١٦:١٦ ، مر٨:٢٩، لو٩:٢٠)] لتثبيت إيمانهم على هذه الشهادة ولتأكيد طاعتهم لابن الله وشريعة العهد الجديد الخاتم على رسالة الأنبياء.

وفيما هتف به صوت الآب في هذا اليوم بحضور موسى كليمه تحقيق ما قاله الرب لموسى قبل خمسة عشر قرناً "**يقيم لك الرب إلهك نبياً من وسطك من إخوتك مثلي له تسمعون**" (تث١٨:١٥، ١٨، يو١:٤٥، أع٣:٢٢، ٧:٣٧) .

---

(١٦) راجع ملاحظة (٩) في نهاية المقال.

(١٧) راجع الملاحظة (١٠) في نهاية المقال.

(٥) "ولما سمع التلاميذ سقطوا على وجوههم وخافوا جداً. فجاء يسوع ولمسهم وقال قوموا ولا تخافوا. فرفعوا أعينهم ولم يروا أحداً إلا يسوع وحده (ولما كان الصوت وُجِدَ يسوع وحده) (فنظروا حولهم بغتة ولم يروا أحداً غير يسوع وحده معهم)".

+ خوف التلاميذ ورهبتهم مبرّرة، فهذا صوت الله الآب. ومنذ القديم أُحيط حضور الله بالمخافة في الداخل والدخان والرعود والبروق من الخارج. وأحداث ظهور الله في السحاب معروفة عند اليهود وأيضاً هذا القانون الإلهي **"الإنسان لا يراني ويعيش"** (خر٣٣:٢٠).[١٨]

+ على أن يسوع يقترب من تلاميذه بغير رعب ولا رعود أو بروق (خر٢٠:١٨-٢٠) - وبعد أن توارى مجد اللاهوت وانسحب الضياء الساطع وعاد الرب إلى هيئته الوديعة - وبكل الحب واللطف يربت على أخصّائه مهدئاً روعهم طارداً خوفهم ومنهضاً لهم كما كان يفعل كثيراً.

وإذ يطمئنّون يرفعون عيونهم حولهم فلا يرون أحداً غيره، فقد عاد شاهداً العهد القديم إلى مستقرهما بعد أن أدّيا شهادتهما لحساب مشتهى الأجيال، وكشفا عن أنهما ينتظران مع سائر الآباء خلاص الرب العتيد أن يتم، ومن ثم أخليا المشهد للسيد الوحيد والذي كان الحفل البهيج كله من أجله وحده. وهو ما أكده صوت الآب الذي دوّى في الآفاق (للمرة الثانية)[١٩] معلناً سروره بالابن المحبوب، وآمراً هنا بطاعته والاستماع له (وحده)، ففيه يكتمل الناموس كله وتتحقق رؤى الأنبياء ونبوءاتهم.

---

(١٨) وفيما بعد في ظروف مشابهة سقط **شاول** ورفاقه على الأرض جميعاً، وهو فقد بصره من بهاء ذلك النور الذي ليسوع الناصري (أع ٢٢:١١، ٢٦:١٣)، **ويوحنا** سقط عند رجلي الرب كميت (رؤ١:١٧).

(١٩) وأتاه ثالثاً وهو يقترب من الصليب ممّجداً إياه **"مجدّت وأمجّد أيضاً"** (يو ١٢:٢٨).

+ نعم .. فالمسيح هو "**الألف والياء. البداية والنهاية.. الأول والآخر**" (رؤ١:١٧، ٢٢:١٣)، وهو المخلص الوحيد الذي "**ليس بأحد غيره الخلاص**" (أع ٤:١٢)، والفادي الوحيد (عب٩:١٢)، والشفيع الوحيد عند الآب الذي يكفّر عن خطايا العالم كله (عب ٧:٢٥، ١يو٢:١)، ووسيط العهد الجديد (عب ٩:١٥) الوسيط الوحيد بين الله والناس (١تي ٢:٥)، وبالتالي هو الديان الوحيد (مت٢٥:٣١-٣٣، يو٥:٢٢، ٣٠،٢٧، عب٩:٢٧، ٢٨، رؤ٢٠:١١، ١٢، ٢٢:١٢).

+ وهو "**أعظم من الملائكة**" (عب١:٤)، **وأعظم من موسى** (عب٣:٣)، **وأعظم من يونان**" (مت١٢:٤١)، **وأعظم من المعمدان** (مت١١:١١)، "**وأعظم من سليمان**" (مت١٢:٤٢).

+ وهو الذي "**كل شئ به كان وبغيره لم يكن شئ مما كان**" (يو١:٣)، والذي "**فيه خُلق الكل ما في السموات وما على الأرض. ما يرى وما لا يرى.. الكل به وله قد خُلق**" (كو١:١٦، ١٧)، والذي هو "**فوق كل رياسة وسلطان وقوة وسيادة وكل اسم..**" (أف١:٢١).

+ وبالنسبة لكل مؤمن فيسوع المسيح هو "**رئيس الإيمان ومكمله**" (عب١٢:٢)، أي هو محور الإيمان وموضوع الإنجيل وغافر الخطايا، وهو الراعي والنور والباب والطريق والحق والحياة. إنه غاية الحياة ووسيلتها.

+ نعم .. **يسوع وحده**.. من يحب أحداً أكثر منه فلا يستحقه.. من يبغي أحداً غيره لا ينال شيئاً. "**الذي يؤمن به لا يدان والذي لا يؤمن به قد دين**" (يو٣:١٨) "**الذي يؤمن بالابن له حياة أبدية. والذي لا يؤمن بالابن لن يرى حياة بل يمكث عليه غضب الله**" (يو٣:٣١) "**من له الابن فله الحياة ومن ليس له ابن الله فليست له حياة**" (١يو٥:١٢).

(٦) "وفيما هم نازلون من الجبل أوصاهم يسوع قائلاً لا تُعلموا أحداً (أن لا يحّدثوا أحداً) بما رأيتم (بما أبصروا) حتى يقوم (إلا متى يقوم) ابن الإنسان من الأموات (فحفظوا الكلمة لأنفسهم يتساءلون ما هو القيام من الأموات) (وأما هم فسكتوا ولم يخبروا أحداً في تلك الأيام بشئ مما أبصروه)".

+ مع إشراقة نور الفجر كانت نهاية أحداث الليل الفريدة التي انفتحت خلالها السماء على الأرض. وبدأت بصلاة يسوع معظم الليل ثم تجلّيه المبهر، وظهور رجلي العهد القديم **موسى وإيليا**، ثم حضور الآب في السحابة وإعلانه حبه للابن وسروره به، والمشاعر المتضاربة التي اجتاحت التلاميذ : بهجة وانبهاراً واضطراباً فانسحاباً ونعاساً ضيّع منهم كلمات ثمينة، ثم محاولة لاستبقاء النبيين ولو قليلاً، وبحضور الآب وتمجيده للابن يحل الخوف الشديد الذي ينقشع بحنان المعلم الذي يعود إلى مظهره البسيط والودود الذي سبى به القلوب.

+ وإذا كان المسيح قد كشف لتلاميذه الثلاثة الكبار عن مجد لاهوته وسلطانه على العهد القديم، كي يتيقنوا بصورة قاطعة من حقيقته كابن الله قبل أن يرتفع على الصليب فلا يتزعزع إيمانهم، وإنما يظلون يرون اللاهوت في الجسد المستسلم المثخن بالجراح، فضلاً عن الجسد الهامد في القبر، فإنه بالنسبة للآخرين عموماً (بمن فيهم سائر التلاميذ) أراد الرب أن يستمروا في التعامل السهل معه بحب وتوقير دون خوف أو تحفّظ، مع الإيمان به **"كالمسيح ابن الله الحي"**. من هنا فقد أوصى الرب تلاميذه الثلاثة مشدداً وهم يهبطون الجبل أن يحتفظوا لأنفسهم بما رأوه وسمعوه إلى أن تنتهي الأحداث الدامية المؤدية إلى الموت فالقيامة.

وقد أطاع التلاميذ سيدهم رغم أنهم لم يفهموا مضمون الكلام تماماً، ولم يستوعبوا معنى قيامة المسيح وكيف تتم، بينما الرب يتكلم عن قيامته بتلقائية وتحصيل حاصل باعتبار أنه القيامة والحياة، وأنه يسلّم نفسه للموت بإرادته وهو عالم أنه سيقوم. هكذا كان.(٢٠)

+ من ناحية أخرى فإن إخفاء الرب لاهوته يتيح تصاعد الأحداث بلا عائق نحو الصليب والموت فلا يتعطل الفداء، وهكذا يتحقق الخلاص بقيامته في اليوم الذي حدده فيستعلن لاهوته بعد أن يتم الخلاص، ومن ثم يصعد إلى عرشه ويرسل الروح القدس فيمكث فينا إلى الأبد. ويسجل الكتاب أن كثيراً ما تفادى الرب محاولات حصاره وإثارة الأعداء لأن ساعته لم تكن قد جاءت بعد. وفيما بعد كتب القديس بولس في هذا المعنى عن "**الحكمة المكتومة**" (سر الخلاص) **التي سبق الله فعيّنها قبل الدهور لمجدنا التي لم يعلمها أحد من عظماء هذا الدهر لأنهم لو عرفوا لما صلبوا رب المجد** " (١كو٢:٧، ٨).

■ ثالثاً : ملاحظات :

(**١**) التلاميذ الثلاثة الذين صعدوا الجبل مع الرب تلك الليلة، **بطرس ويعقوب ويوحنا**، كانوا ضمن أول من اختارهم الرب من التلاميذ (مت٤:١٨-٢٢، مر١:١٦-٢٠، لو٥:١-١١)، وكانوا هم رفاقه عند ذهابه لبيت يايرس أحد رؤساء المجمع وشهود إقامته لابنته (مر٥:٣٧، لو٨:٥١) [وفيما بعد، كانوا معه في بستان جثسيماني (مت٢٦:٣٧، مر١٤:٣٣، يو١٨:١٠، ١١)، وذهب **بطرس ويوحنا** إلى القبر بعد سماع خبر القيامة (يو٢٠:٣-١٠)، وظهر الرب بعد قيامته **لبطرس** خصيصاً (١كو١٥:٥)، وكان الثلاثة مع آخرين عند لقاء الرب بعد قيامته على

(٢٠) راجع ملاحظة (١١) في نهاية المقال.

بحيرة طبرية (يو٢١:٢)، **وبطرس** كان المتقدم في الكنيسة الأولى في أورشليم (أع ١٥:١، ١٤:٢-٤١) وهو أول من بشر الأمم (أع ١٠) وهو مع **يوحنا ويعقوب**، أخي الرب أسقف أورشليم كانوا المعتبرين أعمدة بين التلاميذ (غل٩:٢). واختتم **بطرس** حياته في روما شهيداً مصلوباً منكس الرأس]، **ويعقوب ويوحنا** ابنا زبدي لقبّهما الرب بوانرجس أي ابني الرعد (مر١٧:٣) لحماسهما وغيرتهما [ويعقوب - فيما بعد - كان أول شهيد بين الاثنى عشر (أع٢:١٢)]، **ويوحنا** هو التلميذ الذي كان يسوع يحبه (يو٢٣:١٣، ٢٦:١٩، ٢:٢٠، ١١:٢١-٢٠) [وفيما بعد، عيّنه لرعاية القديسة مريم كأمه (يو٢٥:١٩-٢٧)، وظهر له الرب وقت نفيه في جزيرة بطمس في رؤيا شبيهة بحدث التجلي (رؤ٩:١-١٨) وهو آخر من بقى من التلاميذ (يو٢١:٢١-٢٣)].

(**٢**) تجلي الرب واحدُ من مشاهد كثيرة في حياته تنطق بتفرّده وتشير إلى علاقته بما فوق، بما لا يُرى (والذي لم يسمح بها كثيراً لتأكيد إنسانيته وتيسير تعامل البشر معه)، وسماحه بها كان لتأكيد لاهوته وبنوته للآب وانتمائه للأزل والأبد وسلطانه على الوجود: فلا ننسى حضور الملائكة للبشارة به أو التهليل بميلاده (مت٢٠:١، لو٢٦:١-٣٨، ٩:٢-١٤) أو خدمته (مت١١:٤، مر ١٣:١)، أو الظهور له وقت معاناته (لو٤٣:٢٢)، أو عند قيامته (مت٢:٢٨-٧، مر ٥:١٦، لو ٤:٢٤، يو ١٢:٢٠)، وصعوده (أع ١٠:١)؛ ولا ننسى الظهور الإلهي غير المسبوق ساعة عماده (مت١٦:٣-١٧، مر١٠:١، ١١، لو٢١:٣، ٢٢، يو٣٢:١-٣٤)، ولا معجزاته خاصة الإقامة من الموت، وتعامله بسلطان مع الطبيعة في حياته وعند صليبه وموته، وأعماله بعد قيامته كدخوله والأبواب مغلّقة ومشهد صعوده، وظهوره المزلزل لشاول وغيرها.

(٣) التجلي يكشف حقيقة اتحاد اللاهوت بالناسوت: فالمسيح قائم بجسده لم يزل ولكن النور الإلهي الباهر الذي يغشي الأبصار يفترش المكان كله، فاللاهوت دائماً هناك خافياً مستتراً تحت صفحة الجسد وإن لم يظهر إلا في مناسبات بعينها. والمسيح هو "**صورة الله غير المنظور**" (كو١:١٥) و"**فيه يحل كل ملء اللاهوت جسدياً**" (كو٢:٩) و"**هو بهاء مجده ورسم جوهره**" (عب١:٣). وفي كلمات قليلة تحمل كل الحقيقة فالمسيح هو "**الله ظهر في الجسد**" (١تي٣:١٦).

(٤) رغم أن أحداث الصليب أزاحت من ذهن التلاميذ مؤقتاً مشاهد التجلي حتى ممن كانوا مع الرب على الجبل المقدس (ولم تمنع بطرس نفسه من إنكار الرب ثلاث مرات رغم تحذيره مسبقاً)، إلا أن قيامة الرب أعادت لهم توازنهم وأحيت في أذهانهم بقوة ما رأوه وسمعوه ذلك اليوم السعيد والذي سجلوه فيما كتبوه في أسفار الكتاب المقدس. **فالقديس بطرس** يكتب مستعيداً ما رآه وسمعه ولم يغب قط من ذاكرته "**لأننا لم نتبع خرافات مُصنَّعة إذ عرّفناكم بقوة ربنا يسوع المسيح ومجيئه بل كنا معاينين عظمته لأنه أخذ من الله الآب كرامة ومجداً إذ أقبل عليه صوت كهذا من المجد الأسنى هذا هو ابني الحبيب الذي أنا سررت به. ونحن سمعنا هذا الصوت مقبلاً من السماء إذ كنا معه في الجبل المقدس**" (٢بط١:١٦-١٨)، و**القديس يوحنا** يذكر خلاصة المشهد في بداية إنجيله ".. **ورأينا مجده مجداً كما لوحيد من الآب مملوءاً نعمة وحقاً**" (يو١:١٤).

(٥) يمكن ملاحظة عدد من الوقائع المشتركة بين الرب ورفيقيه من العهد القديم، فلكل منهم علاقة مع جبل وبرية وصوم أربعين يوماً (خر٣٤:٢٨، ١مل١٩:٨، مت٤:٢، مر١:١٣، لو٤:٢).

وإلى جانب كل هذا فإن ظهور **موسى وإيليا**، اللذين غابا عن أرضنا وعودتهما من جديد على الجبل حول المسيح، يؤكد أن المسيح رغم دخوله

الزمن إلا أنه بلاهوته فوق الزمن، وعنده الماضي والمستقبل حاضران أمامه. ومن غياهب الزمن يأتي **موسى** و**إيليا** يقدمان له المجد ويتكلمان معه عن يوم الخلاص القريب الذي سيشمل كل من دعوا باسم الرب وماتوا على الإيمان منذ آدم وإلى آخر الدهور.

(٦) حادثة التجلي تشهد أيضاً بعدم فناء الأرواح، كما يدّعى الملحدون، وإنما انتظارها للمجازاة في اليوم الأخير. **فموسى** النبي العظيم الذي مات وصار رميماً وأُخفي قبره عن شعبه ها هو حي بروحه، و**إيليا** لم تبتلعه الطبقات العليا ولكنه عاد حياً كما صعد، وليؤكد مع **موسى** أن الذين سبقونا إلى فوق يعرفون أحوالنا. كما كشف الرب ذلك من قبل في قصة **الغني** و**لعازر** (لو١٦: ١٩-٣١) حيث رأينا **إبراهيم** عارفاً **بموسى** والأنبياء الذين أتوا بعده، والغني عرف **إبراهيم** وخاطبه "يا أبي إبراهيم ارحمني.."، والرب ألمح إلى معرفة إبراهيم بمجئ الخلاص بقوله "**أبوكم إبراهيم تهلل بأن يرى يومي فرأى وفرح**"، كما أن التلاميذ عرفوا **موسى** و**إيليا**. وهكذا عندما سنكون في السماء سنُعطى معرفة متسعة لكل سكان السماء خاصة الآباء والأنبياء.

(٨) التجلي سبق الصليب كحالة مجد باهر مبكر يعادل عار الصليب القادم. ولكن الحقيقة أن الصليب كان حاضراً من قبل التجلي. والملابسات تشهد أن الحديث عن الصليب والموت (مت١٦: ٢١، مر٨: ٣١، لو٩: ٢) كان سابقاً على وعد المسيح لتلاميذه بأن يروا الملكوت ومجد ابن الله آتياً بقوة وهو ما بدا في التجلي.

فتابور لن ينفصل عن الجلجثة، ولا التجلي عن الصليب والموت، ونحن لن نختبر أفراحاً عظيمة إلا إذا قبلنا شركة آلام الرب بفرح. ولكي نملك مع المسيح فعلينا أن ندخل من الباب الضيق ونجتاز في طريق الصليب على الأرض "**لأعرفه وقوة قيامته وشركة آلامه متشبهاً بموته**" (في٣: ١٠).

■ عيد صعود جسد العذراء مريم [*] (١٦ مسرى ـ ٢٢ أغسطس)

دعوة للإتضاع

هذه الدعوة يتقدم بها طرفان : **الأول ، من السماء،** هو المتضع الحقيقي وحده، **الرب الإله** الذي بإرادته ترك عرشه "**صائراً في شبه الناس.. وضع نفسه وأطاع حتى الموت موت الصليب** (في٢:٧، ٨). فهو الوحيد الذي ينطبق عليه أنه "**وضع نفسه**" فعلاً وفي اتضاعه نزل من ارتفاع المجد الذي لا يستقصى إلى قاع الضعف البشري وهوانه (دون خطية الناس).

(*) **قراءات القداس:** عب٩: ١-١١، ٢يو١: ١٣، أع١: ١-١٤، لو١: ٣٩-٥٦.
عن أعياد العذراء الأخرى: انظر (ص ٢٠).

والمتقدم بالدعوة **الثاني ، من الأرض، امرأة** وُهبت أن تحتوي الرب الإله فيها متجسداً منها، ومع هذا الاختيار المتفرّد لم تنتفخ أو تتعالى على سائر البشر، و لم تتنكر لحقيقتها كمترجية للخلاص مع سائر المنتظرين، وأنها، وهي **أم الإله** – **ثيئوطوكوس** – لا تزال رفيقة المزدرى وغير الموجود.

المفارقة .. أن العالم عرف عن الاتضاع من صاحبة الدعوة قبل أن يعرف من صاحب الدعوة. أي عرف من "الزمني" قبل أن يعرف من "المولود قبل كل الدهور"!

■ عن العذراء المتضعة:

عندما جاء ملء الزمان كي يتجسَّد الابن اختار من بين كل النساء في بيت داود **مريم** التقية النقية المتضعة، وأهَّلها اتضاعها كي تصير **حواء الثانية** أُم الخليقة الجديدة. وإذا كان كبرياء **حواء** وعصيانها هو الباب الذي ولجت منه الخطية والموت إلى كل البشر، فإن اتضاع **مريم** كان الباب الذي عَبَرَ منه خلاص البشرية ونوالها الحياة الأبدية. وهكذا باتضاعها وطاعتها صحَّحت **مريم** موقف **حواء** ورفعت رأس كل النساء اللاتي نُسبت إليهن في القديم كل نقيصة وصرن منذ التجسُّد يفتخرن بأنهن نساء من نفس جنس العذراء أُم الله.

وبشارة الملاك وتحيته لها وإعلانه أنها وجدت نعمة عند الله، وأنها ستحبل وتلد ابن الله (لو ١: ٣٠و٣٥)، كل هذا لم يُغيِّر موقفها من نفسها أنها **أَمَة الرب** (لو ١: ٣٨). وأكثر من ذلك، أنها لما عرفت من الملاك بأن نسيبتها أليصابات حُبلى في الشهر السادس، قامت وذهبت بسرعة إلى الجبال إلى مدينة يهوذا لزيارة أليصابات وتهنئتها وخدمتها لثلاثة شهور، وفي تسبحتها مجَّدت الله الذي **"نظر إلى اتضاع أمته... ورفع المتضعين"** (لو ١: ٤٨و٥٢).

وهكذا قبل أن يولد المسيح واضعاً نفسه أدنى من كل المتضعين، وقبل أن يُعلِّم عن الاتضاع وإنكار الذات، مارست العذراء هذا الاتجاه المسيحي بحقِّ أمومتها للمخلِّص والمعلِّم، وواصلته في حياة الرب؛ فعاشت كل حياتها في الظل، متوارية خلف ابنها سيد الكل، حتى أن الإنجيل لا يذكرها إلاَّ مرات قليلة أبرزها عند البشارة والميلاد ودخول الهيكل بالطفل، ثم وهي تبحث عن ابنها الصبي، وعند الصليب، ومع أحداث القيامة ويوم الخمسين.

■ عن المسيح المتضع:

وقد كان دخول المسيح بالجسد إلى العالم، ليُخلِّصه من الموت، من باب الاتضاع بأن "**أخلى نفسه آخذاً صورة عبد**" (في ٢: ٧)، ومارسه بأصدق من كل الناس؛ فاختار صغرى مدن يهوذا لتكون محل ميلاده، وامرأة فقيرة من عامة الناس لتكون أُمًّا له، ومذوداً للبهائم ليولد فيه، إذ لم يكن له موضع في المترل (لو ٢: ٧). وفي طفولته كان نموذجاً للطاعة: "**خاضعاً لوالديه**" (لو ٢: ٥١)، وكدح ليحصل على طعامه فعمل نجاراً مساعداً ليوسف (مت ١٣: ٥٥، مر ٦: ٣). وقَبِلَ أن يعتمد من يوحنا الذي قال إنه لا يستحق أن يحل سيور حذائه، واختار تلاميذه من بسطاء الناس. وخلال أيام خدمته لم يكن له أين يسند رأسه (مت ٨: ٢٠، لو ٩: ٥٨)، ولا هو امتلك مالاً (مت ١٧: ٧، ٢كو ٨: ٩).

واحتمل إهانات أقربائه الذين قالوا إنه مختلٌّ (مر ٣: ٢١). ولم يُقابل العنف أو الإساءة بالإساءة (١بط ٢: ٢٣). وقد حاول البعض أن يرجموه (يو ٨: ٥٩؛ ١٠: ٣١)، أو يلقوا به من فوق الجبل (لو ٤: ٢٩)، ولكنه لم يعرف الانتقام مؤكِّداً أن "**ابن الإنسان لم يأتِ ليهلك أنفس الناس بل ليُخلِّص**" (لو ٩: ٥٦)، وأجَّل مواجهاته مع العالم حتى الصليب، حيث غلب العالم ورئيسه عندما

اختطف من يده الإنسان ومصيره وأنقذه من الموت بموته وقيامته. وإذا كان الرب قد دان الكتبة والفرِّيسيين الذين قاوموه إلاَّ أنه ظل دوماً مترفِّقاً بالخطاة وقلبه فائض بالحنان على النفوس التي أذلَّها الشيطان.

وفي ليلة آلامه، ومشهد الصليب في الأُفق، فَعَلَ ما لم يتصوَّره حتى أقرب تلاميذه: قام عن العشاء وخلع ثيابه وجلس على الأرض وابتدأ يغسل أرجل تلاميذه التي غطَّاها تراب الطريق (يو ١٣: ٥)، مُقدِّماً درساً مُذهلاً في التنازل والاتضاع من أجل المحبة.

وخلال محنة المحاكمات والاقتراب من الصليب، قَبِلَ صامتاً الشتائم والتعييرات من أدنى الناس وكبارهم (إش ٥٣: ٧)، كما احتمل إنكار بطرس له والتخلِّي عنه والعالم يُحاصره، ولكنه قَبِلَ دموع توبته وشدَّده وأرسله لرعاية خرافه. وفي النهاية: **"وضع نفسه وأطاع حتى الموت، موت الصليب"** (في ٢: ٨).

■ الاتضاع في التعليم الكتابي:

+ منذ بداية الخليقة هناك قانون إلهي: **"يُقاوم الله المستكبرين، أما المتواضعون فيُعطيهم نعمة"** (يع ٤: ٦، ١بط ٥: ٥). فالشيطان وجنوده سقطوا بكبريائهم من النعمة، ومثلهم طُرد آدم وحواء من الجنة. ورجال الله الأوائل كانوا نماذج في الاتضاع أمام الله. **فإبراهيم خليل الله** (يع ٢: ٢٣) يخاطب الله قائلاً: **"شرعت أكلِّم المولى، وأنا تراب ورماد"** (تك ١٨: ٢٧). **وموسى** يقول لله: "مَن أنا حتى أذهب إلى فرعون وحتى أُخرج بني إسرائيل من مصر. لستُ أنا صاحب كلام... بل أنا ثقيل الفم واللسان" (خر ٣: ١١؛ ٤: ١٠). **وداود** المنتصر يصف نفسه أنه **"كلب ميت وبرغوث واحد"** (١صم ٢٤: ١٤). **وأيوب** المبتلَى يقول: **"ها أنا حقير، فماذا أُجاوبك؟ وضعتُ يدي على فمي"** (أي ٤٠: ٣).

+ ويتبدَّى الاتضاع في **تعليم المسيح** ورسله ساطعاً متجلِّياً وسط سائر الفضائل. ففي صدر الموعظة على الجبل جاءت كلمات الرب تطوِّب المتضعين: **"طوبى للمساكين بالروح، لأن لهم ملكوت السموات"** (مت ٥: ٣). كما أن الرب قدَّم نفسه نموذجاً للاتضاع، وحث الجميع على اتِّباعه: **"تعلَّموا مني، لأني وديع ومتواضع القلب، فتجدوا راحة لنفوسكم"** (مت ١١: ٢٩)، ونبَّه الناس إلى اختيار المكان الأخير: **"متى دُعيت فاذهب واتَّكئ في الموضع الأخير"**، مؤكِّداً أنَّ **"مَنْ يضع نفسه يرتفع"** (لو ١٤: ١٠و١١). وفي توجيهه لتلاميذه المتنافسين على المكان الأول أقام في وسطهم ولداً وحذَّرهم: **"إن لم ترجعوا وتصيروا مثل الأولاد فلن تدخلوا ملكوت السموات. فمَنْ وضع نفسه مثل هذا الولد، فهو الأعظم في ملكوت السموات"** (مت ١٨: ٣و٤). وفي ختام مَثَل الفرِّيسي والعشار، حيث تمتَّع العشار المتضع برحمة الله وغُفرَت خطاياه دون الفرِّيسي المتفاخر ببرِّه، كان التعليم: **"لأن كل مَن يرفع نفسه يتضع، ومَن يضع نفسه يرتفع"** (لو ١٤: ١١؛ ١٨: ١٤).

وجعل الرب **إنكار الذات** حجر الزاوية في البناء الروحي وتبعية الرب: **"إن أراد أحد أن يأتي ورائي، فلينكر نفسه ويحمل صليبه ويتبعني"** (مت ١٦: ٢٤)، **"إن لم تقع حبة الحنطة في الأرض وتَمُتْ، فهي تبقى وحدها. ولكن إن ماتت تأتي بثمر كثير"** (يو ١٢: ٢٤). وبعد أن غسل الرب أرجل تلاميذه أوصاهم أن يفعلوا مثله مُبيِّناً أنه: **"ليس عبد أعظم من سيده، ولا رسول أعظم من مُرسله"** (يو ١٣: ١٦).

+ وفي **تعليم الرسل** يقع الحثّ على الاتضاع في الصدارة:

"فتواضعوا تحت يد الله القوية لكي يرفعكم في حينه" (١بط ٥: ٦)؛ **"فالبسوا كمختاري الله القديسين المحبوبين أحشاء رأفات، ولُطفاً، وتواضعاً، ووداعة، وطول أناة"** (كو ٣: ١٢).

بل إن **القديس بولس**، رسول الأمم العظيم، لا يرى نفسه أمام برِّ المسيح إلاَّ أحد الخطاة، بل أولهم، فيكتب أن **"المسيح يسوع جاء إلى العالم ليُخلِّص الخطاة الذين أولهم أنا"** (١تي ١: ١٥)، ويصف نفسه أنه **"أصغر الرسل"**، بل إنه ليس أهلاً لأن يُدعَى رسولاً، لأنه اضطهد كنيسة الله، وينسب العمل كله لنعمة الله **"ولكن بنعمة الله أنا ما أنا.. ولكن لا أنا بل نعمة الله التي معي"** (١كو ١٥: ٩و١٠).

■ ولماذا الاتضاع؟

ليس غريباً أن يُطوِّب الرب المتضعين ويجعل إنكار الذات أساس السلوك المسيحي. فالاتضاع يعني اكتشاف الإنسان لحقيقة نفسه، وإدراك عجزه وقلة حيلته أمام المرض والمحن والموت، وأنه تراب ورماد، وأن حياته بخار يظهر قليلاً ثم يضمحل (يع ٤: ١٤)، وأنه بدون الله واهب الحياة لا يقدر على فعل شيء. وأنه ضعيف ويُخطئ، وأن أي فعل طيِّب يعمله ينتسب مباشرة إلى الله صانع الخيرات ومصدر كل بر، وأنه محدود القوة والمعرفة والأيام، وأن أحداً لا يملك حياته أو مواهبه أو فضائله أو صحته أو ماله أو جماله أو نسبه، وأن أحداً لا يستطيع وحده أن يفعل البر أو ينتصر على الخطية. هي كلها عطايا الله الغني.

وهكذا يُترجم الاتضاع إلى **إنكار الذات** أي عدم الاعتداد بالنفس وإخلائها، كي يصير الله هو المهيمن على الكيان دون منازع. وهكذا جعله الرب شرطاً أولياً لتبعيته، إذ بدونه ترفض النفس تبعية آخر، وبدونه لن تقبل حمل الصليب أي التألُّم من أجل المسيح، أو احتمال التجارب الداعمة للإيمان أو الجهاد ضد ميول الجسد. **ومن هنا يكون الاتضاع هو المفتاح للدخول إلى سائر الفضائل.**

على أن الأسباب التي تجعل الاتضاع الجوهرة الثمينة التي ينشد كل مؤمن أن يقتنيها، والتي تجعل كبرياء الإنسان تنكُّباً عن طريق الحق وقصوراً

عقلياً وعمىً روحياً، أكثر من أن تُحتوى؛ ونورد فيما يلي أهمها:

+ فكيف يتعالى أحد على آخر، وكل البشر سواءٌ، فهم جميعاً إخوة من أب واحد وأُم واحدة؟

+ وكيف ينسى الإنسان مهما ارتفع أنه في ساعة لا يعرفها سوف يواريه التراب وسيعود هو في نهاية الأمر إلى تراب؟

+ وكيف نتجاهل أن "**تعلَّموا مني**" (مت ١١: ٢٩)، أي تمثَّلوا بي وسيروا على نهجي في الاتضاع، وأن ليس التلميذ أفضل من المعلِّم بل يكفي التلميذ أن يكون كمعلِّمه (مت ١٠: ٢٤و٢٥)؟

+ وإذا كان البر الذاتي يُعطِّل شركتنا في المسيح ويدمِّر الحياة كلها، فإن الاتضاع يحفظ لحياتنا الروحية سلامتها ونموها إلى آفاق أرحب، ويُحبط مؤامرات الشرير ضدنا، فإبليس لن يجد طريقاً إلى النفس المتضعة المحتمية بإيمانها في قوة القدير.

+ يكفي أن الله الذي يُقاوم المستكبرين هو قريبٌ من المتضعين والمنكسري القلوب، يُخلِّصهم ويشفيهم ويجبر كسرهم (مز ٣٤: ١٨؛ ١٤٧: ٣، لو ٤: ١٨)، ويُعزِّيهم (٢كو ٧: ٦)، ويُعطيهم نعمة (يع ٤: ٦، ١بط ٥: ٥). كما أن مَن يتضع يرتفع، فالانحناء للدخول من الباب الضيق إلى الطريق الكرب هو السبيل المؤدِّي إلى الحياة الأبدية.

+ وإن دخول المسيح إلى مجده كان من باب الاتضاع "**لكنه أخلى نفسه آخذاً صورة عبد، صائراً في شبه الناس. وإذ وُجدَ في الهيئة كإنسان، وضع نفسه وأطاع حتى المَوت، موت الصليب. لَذلك رفَّعه الله أيضاً، وأعطاه اسماً فوق كل اسم، لكي تجثو باسم يسوع كل ركبة ممَّن في السماء ومَن على الأرض ومن تحت الأرض**" (في ٢: ٧-١٠).

+ وإن العذراء المتضعة رُفعت إلى السماء، وصارت في الكنيسة الشفيعة الأولى، ويجيء ذِكرها في مقدمة مجمع القديسين: "**وبالأكثر القديسة**

المملوءة مجداً العذراء كل حين والدة الإله القديسة الطاهرة مريم التي ولدت الله الكلمة بالحقيقة".

■ الاتضاع نبع الفضائل:

يُجمع القديسون على أن الاتضاع هو نبع الفضائل، أي أنه أساس قيام سائر الفضائل ونموها:

+ وفي المقام الأول، فإن ممارسة **محبة الله والقريب**، وهي أولى وأعظم الوصايا وبها يتعلَّق الناموس كله والأنبياء (مت ٢٢: ٣٦-٣٩، مر ١٢: ٣٠و٣١، لو ١٠: ٢٧)، والتي يصفها معلِّمنا بولس الرسول بأنها **رباط الكمال** (كو ٣: ١٤) و**تكميل الناموس** (رو ١٣: ١٠)، هي مهمة مستحيلة دون اتضاع النفس وإنكار الذات. فلا يمكن للمنحصر في ذاته أن يهتم بآخر، فضلاً عن أن يحبه ويبذل نفسه من أجله (يو ١٥: ١٣). والذي لا تشغله محبة الآخر الذي يبصره، كيف يقدر أن يحب الله الذي لم يبصره (١يو ٤: ٢٠)!

+ كما أن اتِّباع الرب **والإيمان به** يقتضي إدراك أن النفس خاطئة ومحتاجة إلى المخلِّص، وهكذا تنجذب إلى برِّه وقداسته. هكذا رأينا **بطرس**، بعد صيد السمك الكثير، يصرخ قائلاً: "اخرج من سفينتي يا رب **لأني رجل خاطئ**" (لو ٥: ٨)، ولأنه كان صادقاً في شعوره فقد ترك كل شيء وتبعه. وبدون هذا الشعور بالاحتياج الذي يُغذيه الاتضاع يظل الإنسان تائهاً يتخبط في الظلام وتفلت منه فرص التوبة والنجاة.

+ وبدون الاتضاع يعسر على الشخص الخاطئ **أن يعتذر أو يطلب المغفرة**، لأنه يظل دوماً باراً في عيني نفسه. كما يتعذر - حتى على المؤمن - أن **يسامح** أو **يغفر وينسى** إن لم يكن الاتضاع أصيلاً في بنيانه الروحي.

+ الاتضاع هو أساس **العبادة المقبولة**. فصلاة العشار المنسحق المعترف بخطيئته، دخلت إلى محضر الله ونال الغفران. **وطاعة الوصية** أمامها العقبات إن لم تستند إلى قوة الله، **والصوم** وما يتضمنه من تعفُّف وتقشف ونسك وتوبة وانسحاق وجهاد وصبر لا ينجح إلاَّ بالاتضاع.

+ بغير الاتضاع تُختزل العبادة كلها في ممارسات شكلية مظهرية تخلو من الحب والالتزام ولا تقصد غير إرضاء الناس والذات، فتتضخم ويزداد الشعور بالبر الكاذب. **وعملياً فإن عبادة بدون اتضاع هي في الحقيقة تُكرِّس البُعْد عن الله.**

+ الاتضاع مطلوب كي نشعر باحتياجنا **لكلمة الله** ومعرفتها ودراستها واللهج فيها بما يؤدِّي إلى النمو في معرفة الله وأصول الحياة الروحية. فالمكتفون المعتزُّون بمعرفتهم، الضائُّون بوقتهم على قراءة الكلمة، يحرمون أنفسهم من نور معرفة الله ويفقدون في مسيرة حياتهم السراج والسياج.

+ الاتضاع هو أساس **الخدمة** المثمرة الناجحة التي تقصد مجد الله، وفيه لا يصير البذل من أجل الآخرين عبئاً ووهقاً، وإنما بركةً وفرحاً. وكل جهد يؤول حتماً إلى **"تعب المحبة"** الذي لا يُنسى قدَّام الله (عب ٦: ١٠).

+ وفي الاتضاع **تُقبل الآلام من أجل المسيح** دون تذمُّر أو دمدمة: **"أألخير نقبل من عند الله، والشر لا نقبل"** (أي ٢: ١٠). ويصير **احتمال الاضطهاد** بسبب الإيمان أمراً واجب **الطاعة:** "إن كانوا قد اضطهدوني فسيضطهدونكم" (يو ١٥: ٢٠)، وتصير كل الوصايا التي تتطلَّب **التغصُّب وضبط النفس** قابلة للتنفيذ بكل رضى، ومعها ينمو **الصبر والاحتمال وطول الأناة وبطء الغضب.**

+ وكما علَّمنا القديسون: فلا يقهر إبليسَ ومؤامرته ضدنا، والحروب التي يستغل فيها ضعف جسدنا؛ غير اتضاعنا، الذي يعني أننا قد وضعنا كل ثقتنا واتكالنا، لا على أنفسنا وتقوانا، وإنما على الذراع الرفيعة لإلهنا الغالب دوماً القادر وحده أن يصلب فينا كل الأهواء والشهوات (غل ٥: ٢٤).

+ **وفي الحياة الزوجية**، فإن الاتضاع هو عماد التآلف، وفيه ينضبط الغضب ويتأصَّل **التسامح** وتصير النفس قادرة على **الغفران**: **"كما غفر لنا المسيح"** (كو ٣: ١٣)، ونسيان الإساءة كأن لم تكن، فتتوطد العلاقة وتنمو **المحبة** مع كل يوم. وعلى العكس، فعندما يغيب الاتضاع يتوارى الاحتمال ويحل الشقاق، ومع كل يوم يتعمَّق الاختلاف ويسود التباعُد ويتهدد العلاقة الانهيار.

+ **وفي الجانب السلوكي**، فإن الاتضاع هو الأرض الخصبة لنمو العديد من الصفات التي تجمِّل النفس وترتقي بها. فتتسم نفس المتضع بالوداعة واللطف والهدوء، وبالحلم وضبط النفس، وبالاحتشام في المظهر وبالتجرُّد وبساطة الحياة، والنفور من الطمع والترف وتعظُّم المعيشة، وسهولة التعامل مع الغير واكتساب حبهم، وإذا مال إلى المرح ففي غير ابتذال أو صخب. والمتضع دائماً يُقدِّم غيره، ويتجاهل المديح والكرامة، ويقبل النقد والتوجيه باتساع قلب. وفي وقت التجارب والآلام يعرف أن يشكر الله لا أن يشكو ويئن ويندب حظه، وهو لا ينحصر في همومه الذاتية، بل هو مستعد دوماً لمساندة المتضايقين وتعزيتهم فينال التعزية هو أيضاً.

+ وإذا كان الاتضاع يبدأ بإدراك قصورنا وضعفنا وخطيئتنا أمام كمال الله وقوته وقداسته، فإن نمونا فيه يُديم علينا نعمة الله، ويُعمِّق شعورنا بأن حضور الله في حياتنا هو سر تقدُّمنا وانتصارنا.

■ كيف نبلغ إلى الاتضاع؟

ولا نقصد كيف نتخذ هيئة الاتضاع (فما أسهل التظاهر بالتقوى – ٢تي ٣: ٥)، **لأن الاتضاع كالسجود ينبغي أن يكون بالروح والحق**. وهو لن يأتي بالاستماع أو القراءة عنه، وإنما باختباره وممارسته. ومظاهر المتضع الخارجية إذا كانت حقيقية، هي ثمار فعل روحي باطني (وليس فعلاً ذاتياً) يعمله الروح القدس (غل ٥: ٢٢)، ولن نناله إلاَّ عندما نطلبه منه بتوسُّل شديد. وأول ما سوف يعمله الروح هو أن يُسلِّط نوره على حياتنا، فنكتشف قصورنا ومحدوديتنا وعجزنا، ونتعرف على نقائصنا وعيوبنا ونقاط ضعفنا وكبريائنا المستترة خلف ستار الرياء والزيف.

وسوف يتعيَّن علينا أن نقبل خطة الله لتحطيم كبريائنا بكل وسيلة يختارها سواء بالألم أو المرض أو التجارب أو الخسائر، ليُنْهي بالتوبة وتسليم الحياة اعتمادنا على ذواتنا أو علي غيرنا أو على العالم وأشيائه، ويُحوِّل ثقتنا إليه كضابط للكل وقادر على كل شيء.

وسيسندنا في التغلُّب على كبريائنا، التمثُّل بالرب: **"ناظرين إلى رئيس الإيمان ومُكمِّله يسوع"** (عب ١٢: ٢)، والتطلُّع إلى حياته الوديعة (مت ١١: ٢٩)، وإلى حياة قدِّيسيه: **"تمثَّلوا بإيمانهم"** (عب ١٣: ٧)، متحوِّلين من حياة يُقاومنا فيها الله إلى حياة نتمتع فيها بنعمة الله ومساندته (يع ٤: ٦)، ويصير الاتضاع عنصراً أصيلاً في كياننا الروحي ينمو ويتعمَّق كل الحياة.

■ ملاحظات أخيرة:

+ لكي نستكمل صورة هذه الفضيلة المحورية في حياة المؤمنين، نرى لزاماً أن نشير إلى أن الاتضاع لا علاقة له بصغر النفس، أو ضعف الشخصية، أو غياب الطموح والتقدُّم، أو الانسحاب من الحياة، أو التردُّد

في أداء الواجب وخدمة العالم؛ فهذه أمراض نفسية واجتماعية يبرأ منها الروحيون المختبرون للإيمان المسيحي.

+ وبالأَوْلَى، فالاتضاع، تلك النعمة الإلهية التي يدعونا الرب إليها، لا علاقة له بسلوك ضعاف النفوس من الجُبن والتخاذل والهروب من المواجهة مع العالم المقاوِم. وإذا كان من الطبيعي أن يكون المتضع هادئاً محتملاً في الأحوال العادية، إلاَّ أنه في مثل هذه المواقف فإنه – مستنداً إلى قوة الله ومساندة النعمة – يتخلَّى عن هدوئه واحتماله، يدفعه التزام الإيمان مستخدماً ما أودعه الله فيه أيضاً من غيرة وصرامة وحسم.

وها هو الرب، وهو يُحاكَم وفي طريقه إلى الصليب، يقف صامداً قوياً أمام جلاَّديه وصالبيه ولا يتفادى الموت، وعلى نهجه كان **إيليا** أمام أخآب (١مل ١٨: ١٨؛ ٢١: ٢٠-٢٤)، و**المعمدان** في مواجهة هيرودس (مت ١٤: ٤، مر ٦: ١٨)، و**بطرس** أمام المجمع (أع ٥)، و**بولس** في أريوس باغوس وأمام قائد المئة والوالي فستوس والملك أغريباس (أع ٢٢ و٢٥ و٢٦)، وسائر **الشهداء** ساعة الموت.

+ كما أن الاتضاع لا يتعارض مع الكرامة الإنسانية والدفاع عنها أمام مَن يريد سحقها، كأولاد لله وخليقته الأثيرة، ولا يُنافي قول الحق والدفاع عنه دون خوف، وإن كان سيضمن أيضاً أن يشهد المؤمن للحق ضد نفسه هو إذا انسبق في زلة ما، كما سيضمن ألاَّ يقترن دفاعه عن الحق بالتهجُّم أو عثرات اللسان.

+ وهو لا يتنافى مع قيام المؤمن بمهام الرئاسة والقيادة والحُكْم والقضاء والتربية والتأديب وحماية المجتمع والدفاع عن الوطن. ولكن في هذه كلها

يبقى أميناً ولن يستخدم سلطانه لحسابه هو، ولن يتجاوز وصية الله، ولن ينسى أنه أيضاً تحت قيادة الله وسلطانه وتأديبه: **"عالمين أن سيدكم أنتم أيضاً في السموات، وليس عنده مُحاباة"** (أف ٦: ٩).

❋ ❋ ❋

هذه دعوة للاتضاع من الرب وأمه العذراء.

وإذا كان الكتاب يقول إن: **"مَن لا يحب لم يعرف الله، لأن الله محبة"** (١يو ٤: ٨)، فإنه يمكن القول أيضاً **إن مَن لا يتضع لم يعرف الله، لأن الرب وضع نفسه وطلب أن نتعلَّم منه الوداعة واتضاع القلب، فنجد راحة لنفوسنا.**

ولنسلِّم نفوسنا لعمل الروح متقدِّمين بثقة إلى عرش النعمة: **"كي ننال رحمة ونجد نعمة، عوناً في حينه"** (عب ٤: ١٦).

ملاحـــق

- ملحق رقم (١) : شم النسيم
- ملحق رقم (٢) : عن صلاة السجدة

ملحق رقم (١)

شم النسيم[١]

بحسب التاريخ فيوم "**شم النسيم**" يبدو عيداً شعبياً قديماً، بدأ قبل ٥٠ قرناً (أواخر الأسرة الثالثة أو ربما قبل عصر الأسرات باسم "**عيد بعث الحياة**"). وارتبط موعده بالاعتدال الربيعي (عندما يتساوى الليل والنهار) في ٢١ مارس. وكانوا يبدأون احتفالهم في الليلة السابقة حيث يتابعون غروب الشمس حتى تعلو قمة الهرم الأكبر وتبدو كأنها تشطره نصفين.

أما عن ارتباط هذا اليوم **بعيد القيامة**، فذلك يعود إلى العصر المسيحي لما عرف المصريون **الصوم الأربعيني**، وصار **شم النسيم** يأتي في وسط الصوم الذي هو فترة عبادة وتعفف عن المأكولات الحيوانية[٢]. وكان لازماً أن يتحرك هذا العيد بكل طقوسه (خاصة أكل الأسماك المملحة والبيض) إلى اليوم التالي لعيد القيامة (منذ أواخر القرن الثالث الميلادي)، وحمل اسم **اثنين القيامة**، حيث يقام فيه قداس مبكر تذكاراً للقاء الرب بتلميذي عمواس. بعدها يخرج المصلون إلى الحدائق لكي يحتفلوا مع سائر المصريين، يمجدون الله على عطايا الطبيعة في أوجها، ويتناولون بالشكر الأطعمة الموسمية المعروفة، والتي لها جذورها التاريخية ولكن حملت الآن سمات مسيحية أضفت عليها بُعداً روحياً.

+ **فالبيض**، الذي تخرج منه الحياة في الطيور والزواحف، هو رمز لقيامة الرب الذي خرج من القبر والحجر باق. ويصبغونه في كل البلاد باللون

---

(١) أصل الكلمة بحسب اللغة المصرية القديمة هو (**شم نيس ايمي**) وتعني (اخرج نادي على الزهرة)، وأصلها في اللغة القبطية (**شمّو**) وتعني بستان الزهور وحُرِّفت إلى "**شم**" وضمت إليها كلمة "**النسيم**" (٢٩ برمهات) المرتبطة بالمناسبة. وقيل أن اليهود انتهزوا فرصة احتفال المصريين جميعاً بشم النسيم ليكون يوم خروجهم وعبورهم البحر.

(٢) ومن هنا جاء المثل "**عاش القبطي ومات وماكلش لحمة في برمهات**".

الأحمر رمزاً لدم الصليب، فالصليب والقيامة لا يفترقان.

+ **والسمك** المملح يحمل رموزاً مسيحية كثيرة. فالاسم اليوناني للسمكة ichthys (ichthus) يحمل الحروف الأولى من **"يسوع المسيح ابن الله مخلص"** (ايسوس خريستوس ايسوس ثيئوس سوتير ΙΧΘΥΣ).

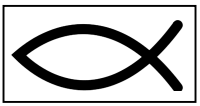

وفي أيام الاضطهاد الأولى كانت **السمكة** هي الرمز الذي يتعرف المسيحيون به على بعضهم البعض، وكما في الرسم فذيل السمكة يشبه الصليب. وارتبطت السمكة بالتاريخ المسيحي فأكثر التلاميذ كانوا صيادين، وصاروا صيادين للناس، وهم تبعوا الرب بعد صيد السمك الكثير. والرب أشبع الجياع مرتين بتكثير السمك والخبز. والرب أمر بطرس أن يصطاد سمكة يجد فيها استاراً يسدد منه الضريبة عنهما، وفي لقاء الرب بتلاميذه في العلية يأكل معهم سمكاً مشوياً، وفي لقائه معهم عند بحيرة طبرية يجري لهم معجزة صيد كبيرة، ويقدم لهم سمكاً وخبزاً (لو٢٤: ٤٢، ٤٣، يو٢١: ٦، ٩-١٣).

ومن ناحية أخرى فالسمك في معظمه يبيض بغير اتصال بين الجنسين فهو رمز للتعفف. كما أن الأسماك الصغيرة تولد في الماء كما يولد المسيحيون في ماء المعمودية.

+ والملح الجيد هو رمز المسيحي الذي بحياته يُصلح العالم ويحفظه من الشرير، كما يُصلح الملح السمك ويحفظه من الفساد. والسمك المملح يرمز أيضاً إلى شخص المسيح الذي لم يُمسك من الموت وقام حياً في اليوم الثالث.

وشم النسيم هو يوم يجسد وحدة البشر بغير تمييز. فكل المصريين يخرجون معاً ويبتهجون معاً كأسرة واحدة، ولا يتخلف عنه غير أعداء الحياة الذين يقتاتون على الكراهية. وهو يوم يعلن توقف الزمن، فكل ما يفعله المصريون في هذا اليوم هو ما كان يفعله أسلافهم على مدى العصور في مثل هذا اليوم بغير توقف. فهو واحد من أقدم الأعياد في التاريخ الإنساني.

ملحق رقم (٢)

عن صلاة السجدة

■ صلاة السجدة:

تتعامل الكنيسة مع **الخمسين** يوماً التالية على عيد قيامة الرب، على أنها أيام بهجة وفرح بالخلاص، فلا صوم فيها. ولكن من الطبيعي، خلال صلوات القدَّاس، أن يكون هناك انحناء وركوع كفعل عبادي وتعبير عن الاحتفاء بحضور الله، ولكن **لا سجود** تذلُّل فيها؛ بل تكون هذه الفترة كأنها عُرْس ممتد لتمجيد قيامة الرب.

من هنا فقد رتَّبت الكنيسة **صلاة السجدة**، التي تنفرد بين احتفالات الكنيسة وطقوسها، كتقليد كنسي قديم، بأنها اجتماع الكنيسة خصيصاً لتمجيد **السجود لله في يوم العنصرة**، عيد تأسيس الكنيسة وتدشينها، بحسب وعد المسيح لتلاميذه قبل صعوده (لو ٢٤: ٤٩؛ أع ١: ٤،٥).

ولزمان طويل كانت **صلاة السجدة** ضمن صلوات عيد العنصرة، عقب قراءة فصل الإبركسيس، ولكن لطول وقت الصلاة، ولكي تنال صلاة السجدة نصيبها من التركيز والاهتمام، فقد أصبح يُحتَفَل بها مستقلة لتكون في **الساعة التاسعة** (أي الساعة الثالثة) عصر يوم عيد العنصرة.

وكما نعرف ففي طقوس العبادة اليهودية **صلوات سبع**، يلتزم بها أتقياء إسرائيل. وفي سفر الأعمال نجد أنَّ **الرسولَيْن بطرس ويوحنا** صعدا إلى الهيكل وقت الساعة التاسعة (أع٣: ١) حيث تمَّ شفاء الأعرج من بطن أمه.

وخلال **صلاة السجدة**، تستعيد الكنيسة كلمات الرب، عند بئر يعقوب في سوخار، في حواره مع السامرية التي انشغلت **بمكان** السجود: "**آباؤنا سجدوا في هذا الجبل** (جرزيم)، **وأنتم** (اليهود) **تقولون إنَّ في**

أورشليم الموضع الذي ينبغي أن يُسجَد فيه". والرب رفع ذهنها إلى **طبيعة** السجود، وأنه لا يهم المكان: "**يا امرأة صدِّقيني أنه تأتي ساعة، لا في هذا الجبل، ولا في أورشليم تسجدون للآب... ولكن تأتي ساعة، وهي الآن، حين الساجدون الحقيقيون يسجدون للآب بالروح والحق، لأن الآب طالبٌ مثل هؤلاء الساجدين له**"، وأنَّ "**الله روح. والذين يسجدون له فبالروح والحق ينبغي أن يسجدوا**" (يو ٤: ٢١،٢٣،٢٤).

وبعد **خصوصية** حلول الروح القدس في العهد القديم على الملوك والأنبياء والكهنة، يأتي حلول الروح القدس كألسنة نار على الكنيسة كعطية **عمومية** لكل مَن يؤمن: "**لأن الموعد هو لكم ولأولادكم، ولكل الذين على بُعْد، كل مَن يدعوه الرب إلهنا**" (أع ٢: ٣٩).

+كلمات الرب فتحت الباب للكل، أينما كانوا، للاقتراب من العرش الإلهي، **للسجود** أمام الله. فالله ضابط الكل يملأ الكون كله بحضوره الشخصي بغير حدود، **والروح القدس هو روح الحق** (يو ١٥: ٢٦؛ ١٦: ١٣). ومن هنا يصير لائقاً أن نجعل من **يوم الخمسين**، يوم حلول روح الحق المُعزِّي، يوماً **للسجود بالروح والحق** لكل المؤمنين، سواء منهم المجاهدون على الأرض أو إخوتهم في الكنيسة المنتصرة الذين يسكنون الفردوس. وخلال هذا السجود الحقيقي يُصلِّي أهل الأرض وهم في الجسد، وأهل السماء وهم في الروح، كل منهم للآخر.

+ كان الله – بحسب التدبير – يسكن في وسط إسرائيل في **الهيكل** فقط، ومن خلف حجاب، ولم يكن مسموحاً للسجود إلاَّ فيه. ولكن يوم الصليب انشقَّ **حجاب الهيكل** إلى اثنين. فبدم المسيح نُقِضَ "**حائط السياج المتوسط**"، وقُتلت العداوة وتمَّت المصالحة بين السماء والأرض، وصار الكل – يهوداً وأُمماً – في المسيح إنساناً واحداً جديداً، وأهل بيت الله (أف ٢: ١٤-١٩).

والله الذي كان مستتراً وراء الحجاب، صار مرئياً: "**قد رأينا الرب**" (يو ٢٠: ٢٥)، والمسيح صار **المسكن الحقيقي** "**الذي نَصَبَه الرب لا إنسان**" (عب ٨: ٢)، **والهيكل الحقيقي** الأعظم والأكمل: "**وأما المسيح، وهو قد جاء رئيس كهنة الخيرات العتيدة، فبالمسكن الأعظم والأكمل، غير المصنوع بيد، أي الذي ليس من هذه الخليقة، وليس بدم تيوس وعجول، بل بدم نفسه، دخل مرة واحدة إلى الأقداس، فوَجَدَ فداءً أبديّاً**" (عب ٩: ١١،١٢).

ونحن صرنا في الكنيسة "**أعضاء جسمه، من لحمه ومن عظامه**" (١كو ٦: ١٥؛ أف ٥: ٣٠)، وفيه صرنا "**هيكل الله وروح الله يسكن فينا**" (١كو ٣: ١٦) أو هيكلاً للروح القدس (١كو ٦: ١٩).

■ عن طقس صلاة السجدة:

رتَّبت الكنيسة **صلاة السجدة** على فترات ثلاث. وتضم فقرات كل سجدة قراءة **نبوَّات من العهد القديم** (كلها من سفر التثنية)[١]، وقراءة من **البولس** (كلها من الرسالة الأولى إلى أهل كورنثوس)[٢]، وقراءة من **الإنجيل**[٣].

---

(١) هي على الترتيب: تث ٥: ٢٢-٦: ٣؛ ٦: ١٧-٢٥ (عن حفظ الوصايا وتلقينها للأبناء)؛ ١٦: ١-١٨ [عن عيد الفطير أو الفصح، وعيد الأسابيع (الخمسين والحصاد)، وعيد المظال، التي تُشير إلى عمل المسيح الخلاصي].

(٢) هي على الترتيب: (١كو ١٢: ٨-١٣: ١٢؛ ١٣: ١٣-١٤: ١٧؛ ١٤: ١٨-٤٠)، أي أنها معاً تمتد من (١كو ١٢: ٨-١٤: ٤٠) التي تعرض لمواهب الروح القدس، ثم عن الموهبة الأعظم: المحبة، وموهبة التكلُّم بألسنة التي كان لها دورها الكبير في الكرازة يوم العنصرة وخلال العقود الأولى بصورة خاصة. ولكنها تبقى كموهبة وعلامة على حلول خاص لأصحاب المواهب في أيِّ وقت، وضع لها القديس بولس الضوابط لئلا تتحوَّل إلى التعاجُب الذاتي أو التشويش، وبيَّن أنّ موهبة التنبُّؤ أكثر فائدة من التكلُّم بألسنة، وهو شدَّد على ربطها - من أجل الفائدة الروحية - بموهبة الترجمة لضمان الفهم وبناء الكنيسة وعدم إعثار غير المؤمنين وتنفيرهم.

(٣) هي على الترتيب: يو ١٧: ١-٢٦ (صلاة المسيح الشفاعية)، لو ٢٤: ٣٦-٥٧ (لقاء المسيح بتلاميذه بعد قيامته ووعده بإرسال موعد الآب)، يو ٤: ١-٢٤ (لقاء المسيح بالسامرية وحديثه عن عطية الروح القدس، الماء الحي الفائض، الذي يُعطيه الابن، وعن السجود لله بالروح والحق).

وعقب قراءة الإنجيل في كلٍّ من السجدات الثلاث، يُصلِّي الكاهن **الأواشي**، ويُنادي الشماس بعدها على الشعب بالسجود بخوف ورعدة. ثم يُصلِّي الكاهن **طلبة** خشوعية، والشعب كله ساجد، كي يقبل الرب صلواتنا كذبيحة مسائية ويغفر خطايانا.

وتتميَّز **السجدة الثالثة** أنها تُصلَّى في الخورس الأول أمام الهيكل المفتوح (بينما السجدتان الأولى والثانية تُصلَّيان في الخورس الخارجي). وقبل قراءة الإنجيل يُرتَّل لحن الروح القدس الكبير: **Πῆνευμα ἅπαρακλητον**[٤] أي الروح المُعزِّي.

وفي هذا اليوم يذكر العابدون إخوتهم المنتقلين باعتبار أنهم أحياء في الفردوس. ويمرُّ شماس **بالبخور** فيأخذ مَن يُريد عدداً من حبَّات البخور بأسماء المنتقلين أحبَّائه، الذين يودُّ أن يُصلِّي من أجلهم كما يطلب صلواتهم.

ويضع الكاهن كل حبَّات البخور فيما بعد في المجمرة، فيتصاعد منها البخور كثيفاً، يحمل في ثناياه صلواتهم إلى العرش الإلهي: "**وجاء ملاكٌ آخر ووقف عند المذبح، ومعه مبخرةٌ من ذهب، وأُعطيَ بخوراً كثيراً لكي يُقدِّمه مع صلوات القديسين... من يد الملاك أمام الله**" (رو ٨: ٣، ٤). والبخور، من ناحية أخرى، يُشير إلى وجود الله، فبرائحة البخور تتهلَّل النفس إحساساً بحضرة الله.

هلم نسجد، هلم نسأل المسيح إلهنا. هلم نسجد، هلم نطلب من المسيح ملكنا. هلم نسجد، هلم نتضرع إلى المسيح مخلصنا.
(من صلاة باكر)

(٤) يُرتَّل هذا اللحن أيضاً يوم عيد العنصرة، وعند رسامة الأساقفة، وفي سرِّ الزيجة. فالروح القدس هو الذي يُقدِّس الأسرار.

كتب صدرت من هذه السلسلة :

الكتاب الأول : في السلوك المسيحي
التدين المضاد...ومقالات أخري (طبعتان)

الكتاب الثاني : عـن المسيـــح
يسوع المسيح الشفيع الكامل... ومقالات أخري (طبعتان)

الكتاب الثالث : المسيح في حياة الكنيسة والخدمة
عثرة الصليب ... ومقالات أخري (طبعتان)

الكتاب الرابع : شخصيات كتـــابيـــة
١- القديس بطرس .. أول التلاميذ
٢- القديس بولس .. آخر الرسل (طبعتان)

الكتاب الخامس : قضـــايـــا إيمـــانيـــة
المسيح يعرفنا عن ذاته ... ومقالات أخري

الكتاب السادس : في السلوك المسيحي (٢)
نحن والصليب والخلاص ...ومقالات أخري

الكتاب السابع : قضايـــا إيمانيـــة (٢)
قضية الشفاعة ...ومقالات أخري

الكتاب الثامـن : في السلوك المسيحي (٣)
ضبط النفس ...ومقالات أخري

الكتاب التاسع : في السلوك المسيحي (٤)
رفاق الإيمان وخصومه

الكتاب العاشر : قضايـــا إيمانيـــة (٣)
الخطية التي لا تُغفر...ومقالات أخري

الكتب من ١١- ١٣ : دراسات وتأملات في فصول أناجيل قداس الآحاد

الكتابان ١٤، ١٥ : الأعياد الكنسية

تطلب من بيت مدارس الأحد (٧٠ ش روض الفرج) ودار مجلة مرقس (٢٨ ش شبرا).